

بين
النصوص الدينية والتغطية الإعلامية

الشيخ علي الباميانى

خلافة الإمام علي (عليه السلام)

بين

النّصوص الدينيّة والتّغطية الإعلامية

الشّيخ علي البامياني

علي صراط الحق

الطّبعة الأولى

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م

الطّبعة الثانية

١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م

تمتاز هذه الطبعة بتصحيح كامل

وإضافات وتغييرات هامّة من قبل المؤلّف

خلافة الإمام علي عليه السلام

بين

النّصوص الدينيّة والتّغطية الإعلامية

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطّاهرين.

أمّا بعد، فإنّ حاجة الإنسان في حياته الاجتماعيّة إلى قيادة تتكفّل مسؤولية إسعاده بإيجاد الأمن والأمان حاجة طبيعيّة وضروريّة.

فإنّ الإنسان لا يستطيع إدامة الحياة إلاّ مع التّعاون، لأنّ الاحتياجات الضّروريّة والملحّة من غذاء وملبس ومسكن، تفرض على بني الإنسان الاتّجاه نحو التّعاون، وفي نفس الوقت، الإنسان كتلة من الغرائز، مثل غريزة السّيطرة والتّملّك، وغريزة شهوة البطن والفرج، وكلّ واحدة منها تتطلّب من صاحبها الإشباع بأيّة وسيلة من الوسائل، ولو بطريقة تبعث على الضّرر بمجموعة كبيرة من بني البشر، دون إعطاء أيّ اعتبار لمشاعرهم وآلامهم، ودون اكتراث بإفساد أوضاع المجتمع.

وحينئذ إذا تُرك الإنسان حرّاً بالمعنى الحيواني، أي من دون تقيّد بنظام، لتفسّخ المجتمع الإنساني، ويحكم عليه الفوضى، وبالتّالي تُملأ الأرض ظلماً وجوراً.

وإذاً لابدّ من قيادة ونظام للحدّ من الفوضى ولمحاولة التّمكن من ضبط الأمور، سواءً كانت القيادة تحكم بدستور إلهي، كالرّسالة والنّبوّة، أو بدستور البشر، كالملكيّة أو الجمهوريّة. وبعبارة أخرى، لابدّ من نظام في حياة الإنسان الاجتماعيّة، سواءً كان ذلك النّظام وضعياً وضعه البشر، كالأنظمة المعاصرة، أو نظاماً إلهيّاً، كنظام الإسلام.

ثمّ الحكومة الإسلاميّة تختلف عن الحكومات الموجودة في العالم بكونها مبرمجة بالتّعاليم القرآنية الّتي لا يأتيها الباطل، فلا عجب أن تنعم بالاستقرار، وأمّا الحكومات الوضعيّة فتأتيها الأباطيل من كلّ جهة، وتعجز عن الاستقرار فلا نرى منها إلاّ أن عُدّلت أو بُدّلت أو ألغيت، حسب ما اقتضت أهواء أصحابها. ثمّ النّظام الإسلامي يقوم على أساس أنّ الحاكميّة لله عزّ وجلّ، وسائر الأنظمة تقوم على أساس أنّ الحاكميّة للإنسان من دون الله، فبينهما التّباين من حيث المصدر والهدف والغاية.

التّباين من حيث المصدر: فإنّ النّظام الإسلامي هو المنهج الوحيد الّذي يستمدّ مصدره من كلمات الله وحدها، لأنّ واضع القانون في الإسلام هو الله سبحانه وتعالى، الّذي يأمر وينهى ويحلّل ويحرّم ويكلّف بمقتضى ربوبيّته وألوهيّته وملكه لخلقه جميعاً، فهو ربّ النّاس، وملك النّاس، وإله النّاس، وله الخلق وله الأمر، بخلاف الأنظمة المعاصرة الّتي تستمدّ مصادرها من أوهام البشر، فيلازمها نقص إدراك البشر وعجز أفكارهم وقصر نظرهم.

فإذاً هذه الأنظمة ناقصة وعاجزة وقاصرة، لأنّها نابعة من أهواء أصحابها وميولهم الّتي تعطي الأولويّة دوماً لمصالحهم الشّخصيّة أو القوميّة أو الحزبيّة أو الطّبقيّة، فقد تسبّبت هذه الأنظمة في انقسام العالم إلى كتل وأحزاب متناحرة تناحراً بشعاً، هدّد البشريّة ولا يزال يهدّد بالدّمار الشّامل. ويظهر لنا أنّ الأنظمة المعاصرة على اختلاف ألوانها لا تتكفّل إسعاد البشر، ولا تستطيع توطيد الأمن في المجتمع الإنساني، وتؤكّد على هشاشة تلك الأنظمة الحروب الطّاحنة المستمرّة على الأرض، فمادامت هذه الأنظمة حاكمة على الأرض، كانت حمامات الدّم فوّارة ساخنة، ولا سبيل لنا للنّجاة من الحروب والدّمار والشّقاء إلاّ بالبراءة من هذه الأنظمة، واللّجوء إلى النّظام الإسلامي الشّامخ، والمنزّه عن جميع النّقائص بتنزّه واضعه عنها. هذا ملخّص الكلام في التّباين من حيث المصدر.

وأمّا التّباين من حيث الهدف والغاية: فهو أنّ هدف النّظام الإسلامي هو إعلاء كلمة الله في الأرض، وتقريب النّاس إلى طاعة الله وإبعادهم عن الرّذائل والمعاصي، ورفع شأن الإنسان، وإشاعة العدل في المجتمع الإنساني، وإزالة جبروت الطّغاة الّذين يستعبدون النّاس بقوّة السّلاح والمال، وتوطيد الأمن والاستقرار بالعدل والمساواة بين البشر وتكريمهم بتحريرهم من عبادة الهوى، ومن ثمّ الوصول إلى المجتمع النّقيّ والصّافي، حيث لا مكان للطّغاة، ولا وجود للظّلم، ولا رغبة في الاستعباد.

ثمّ إنّ الهدف الموحّد للأنظمة المعاصرة هو خنق الإسلام، بل نفيه من الوجود، أو إقصاؤه عن الحكم، لكون الإسلام هو النّظام الوحيد الّذي يستنكر بالشّدّة للفواحش والمنكرات، وهو النّظام الّذي يحول دون عبث أصحاب الأنظمة الفاسدة بمقدّرات الشّعوب.

وما كان من الأنظمة الفاسدة إلاّ أن تعادي الإسلام بكل السّبُل وأكثر الأساليب الاستعماريّة خطورةً هو أسلوب الفصل بين الإسلام والمسلمين، واتّباع سياسة غسل العقول الّتي تتمثّل بزرع المدارس ذوات المناهج الاستعماريّة في البلاد الإسلاميّة، وتوجيه أكبر الاهتمام إلى هذه المدارس بغية الحصول على قادة المستقبل ذوي العقول المغسولة، ومن ذوي التّربية الاستعماريّة لضمان سلامة سير العمل بسياسة الاستعباد من دون قلاقل أو احتجاجات.

ومن المؤسف حقّاً أنّ الاستعمار استطاع على إقصاء النّظام الإسلامي عن الحكم بأساليبه وسياسته الخبيثة، فجاء بنسائه العاريات، وخموره ومسارحه ومراقصه وملاهيه وقصصه وجرائده، وجرّ شبابنا وفتياتنا ونساءنا إلى ركب الفساد والانحراف باسم الحريّة والدّيمقراطية، وشوّه صورة الإسلام في أذهان الملايين من شباب المسلمين.

نعم لقد استعمل الاستعمار العدو شتّى الحيل والأساليب لإفساد المجتمعات

الإسلاميّة، وجلب كل شيء إلى بلادنا لتحقيق غاياته، كالرّقص والغناء والأفلام والخمور والكتب والمجلاّت الخليعة، وانفرد بالسّيطرة على وسائل الإعلام كالإذاعة والتّلفزيون والصّحف والمجلاّت، ووضع جميع الخطط الكفيلة بإفساد المجتمع من أمثال المسابح المختلطة وبرامج التّعارف وو..

وقد تدخّل حتّى في امتحان القبول في الجامعات وبمؤازرة عملائهم في الدّاخل فكانت أسئلة اختبار الذّكاء تتضمّن أسئلة عن أسماء الفنّانات السّاقطات والأفلام الرّديئة والشّخصيات القذرة.

فكانت النّتيجة هي تنشئة جيل ظاهره مسلم وباطنه لا دين له بل صفاته وملامحه العامة مسيحيّة.

فقد عانت البلاد الإسلامية من شوكة الاستعمار، ولا تزال تعاني منها وجذور الضّعف والمشكلات تكمن في اختلاف المسلمين، لأنّ الاختلاف والنّزاع يذهبان ريح العظمة، ويوجبان الفشل والحقارة، كما يؤكّد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

وقد انفجر الاختلاف بعد وفاة النّبي ﷺ بدقائق معدودة، فكان يوم وفاة الرّسول ﷺ بدايةٌ للانحراف الطّويل والاختلاف المؤلم، ونهايةٌ للعهد السّعيد.

وهذا الكتاب يبحث عن المبرّرات الّتي قيلت حول الخلافة من وجهة نظر أهل السّنّة والشّيعة الإماميّة، تحت عنوان: «خلافة علي عليه السلام بين النّصوص الدينيّة والتّغطية الإعلامية».

المؤلف علي البامياني

٢٢ شعبان ١٤١٢هـ

---

[1] - سورة الأنفال: ٤٦.

أقسام الكتاب

١ : المقدمة.

٢ : **الفصل الأول** : الخلافة أو الإمامة .

٣ : **الفصل الثّاني** : إثبات خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام .

٤ : **الفصل الثّالث** : في أبرز ما سجّله التّاريخ لعمر بن الخطّاب .

٥ : **الفصل الرّابع** : المقارنات .

٦ : **الفصل الخامس** : فضائل فاطمة الزّهراء عليها السلام .

الفصل الأول

الخلافة أو الإمامة

«الخليفة» في اللّغة مأخوذة من الخلافة والخلافة يقصد بها الإمارة على أمّة من النّاس والحكم بشريعة إلهية، كما يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿يا داوُدُ إنّا جَعَلْناكَ خَلِيْفَةً فِي الأرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى﴾[١].

والخلافة والإمامة بمعنى واحد، يَعنى بهما القيادة، وإن كان مفهومهما متغايراً، فالخلافة هي القيادة بعد وفاة النّبي ﷺ. ثمّ قيادة الأمّة الإسلاميّة تتطلّب رجلاً يجمع صفات متميّزة، يستطيع من خلالها إدارة شؤون الأمّة وأداء وظيفته الكبرى، وهي الحفاظ على سلامة دين الأمّة الإسلاميّة من التّلاعب والانحراف.

والصّفات المتميّزة للخليفة تتجلّى في العلم والأخلاق الرّفيعة، والسّداد في الرّأي، والاستقامة في السّلوك، والصّرامة في تطبيق الأحكام، لأنّ من مهام خليفة المسلمين أن يتابع تطبيق شرع الله بأمانة تامّة وببصيرة كاملة ووجدان حيّ.

ولا خلاف بين المسلمين في لزوم الإمام أو الخليفة، وإنّما الاختلاف بين السّنّة والشّيعة الإماميّة حول طريقة تعيين الإمام أو الخليفة، والدّور الّذي يقوم به، وهذا الاختلاف يعدّ من أعظم الاختلافات، وباقي الاختلافات نتيجة طبيعيّة له.

ومجمل الحديث هنا أنّ الإمامة عند الشّيعة الإماميّة إنّما هي بنصّ من

---

[١] - سورة ص: ٢٦.

الرّسول ﷺ، ومختصّة بالأئمّة الاثني عشر من أهل البيت ﷺ، لأنّ أهل البيت أدرى بما في البيت مع الغضّ عن النّصّ.

وأمّا الإمامة عند أهل السنّة فتكون بالشّورى، ولكنّهم لا يمانعون أن تكون بنصٍّ من الخليفة السّابق إلى اللاّحق، كما هو المعروف في نصّ الخليفة أبي بكر على خلافة عمر.

وكذلك يجوّزون أن تؤخذ الخلافة بالقهر وغلبة السّيف، كما هو الحال في الخلافة الأمويّة والعبّاسيّة والعثمانيّة.

هذا مجمل البحث عن الإمامة.

وأمّا تفصيل البحث عنها فيدور حول أمور:

١: تعريف الإمامة.

٢: هل الإمامة من الأصول الاعتقاديّة أو الفروع العمليّة؟!

٣: ما هي شرائط الإمامة؟

٤: وما به تنعقد الإمامة.

وأمّا وجوب نصب الإمام فلا حاجة إلى البحث عنه، لأنّ وجود القيادة في الحياة الاجتماعيّة من الأمور الضّروريّة بالفطرة.

تعريف الإمامة عند الإماميّة

الإمامة عند الإماميّة عبارةٌ عن رئاسة عامّة إلهية في أمور الدّين والدّنيا كالنّبوّة.

والفرق بين النّبي والإمام: أنّ النّبيّ والرّسولَ ﷺ طرفٌ للوحي الإلهي، والإمام ليس بطرف، بل شأن الإمام هو التّبليغ والبيان، وتفصيل المجمل، وتفسير المعضل، وصون الدّين من التّحريف والدّس.

وأمّا الإمامة عند أهل السنّة، فلها معانٍ متشابهة.

الأول : «الإمامة رئاسةٌ عامّةٌ في أمور الدّين والدّنيا»[١] .

الثّاني : «الإمامة خلافةٌ عن الرّسول ﷺ في إقامة الدّين، بحيث يجب اتّباعه على كافّة الأمّة»[٢] .

الثّالث : «الإمامة نيابةٌ عن صاحب الشّريعة في حفظ الدّين وسياسةالدّنيا»[٣] .

والمعنى الأوّل أقرب إلى ما هو عند الإماميّة . ولكن المعاني المذكورة تنافي ما سيأتي لاحقاً من تجويزهم إمامة الفاسق والجاهل على المسلمين، حيث يقولون بانعقاد الإمامة بالقهر والاستيلاء، ولو كان فاسقاً أو جاهلاً . ذلك تحت عنوان ما تنعقد به الإمامة .

هل الإمامة من أصول الدّين أو من فروعه؟

وهي عند الشّيعة الإماميّة من أصول الدّين كالنّبوّة، فيجب الاعتقاد بها مثل وجوب الاعتقاد بالنّبوّة .

قال الشّهيد في رسالة «حقائق الإيمان» : إنّ التّصديق بإمامة الاثني عشر إماماً أصلٌ من أصول الإيمان عند الطّائفة المحقّة الإماميّة .

وأمّا الإمامة عند أهل السنّة، فقد اتّفقت كلمتهم على أنّها من فروع الدّين . قال في «المواقف» : «وهي عندنا من الفروع وإنّما ذكرناها في علم الكلام تأسّياً بمن قبلنا»[٤] .

ولكن كون الإمامة من الفروع لا يستدعي شنّ الحروب الدّمويّة ضدّ الشّيعة، إذ ليس شأن الإمامة عند القائل بأنّها من الفروع إلاّ كشأن الصّلاة والصّوم فكما لا يجب قتل تارك الصّلاة والصّوم، كذلك لا يجب قتل تارك أمر الإمامة والخلافة .

---

(١) - «المواقف» : ص٣٩٥ .

(٢) - نفس المصدر السّابق .

(٣) - «مقدّمة ابن خلدون» : ص١٩١ .

(٤) - «المواقف» : ص٣٩٥ .

ولو عدنا إلى التّاريخ لرأينا أنّه ما سُلّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينيّة، مثل ما سُلّ على الإمامة عبر العصور.

فإن لم تكن الإمامة من أصول الدّين، لما كان هنالك داعٍ لسلّ السّيف لأجل الحكم الفرعي، لأنّ المخالفة فيه لا تستلزم تفسيق المخالف فضلاً عن تكفيره.

إذ الاختلاف بين السنّة والشّيعة الإماميّة في أمر الخلافة حينما نعتبرها من الأمور الفرعيّة، ليس أكبر وأكثر من اختلاف أصحاب المذاهب الأربعة أنفسهم في الأحكام الفرعيّة.

ومع ذلك نرى فتوى بعض علماء السنّة بتكفير الشّيعة بحجّة أنّهم ينكرون خلافة الشّيخين، مع علمهم بأنّ صفوة أصحاب الرّسول ﷺ كأبي ذر وسلمان وعمّار والمقداد وبني هاشم جميعاً، وفيهم عليّ بن أبي طالب، قد أنكروا خلافة الشّيخين.

وإليك القارئ العزيز نصّ فتوى نوح الحنفي في جواب من سأله عن السّبب في جواز قتل الشّيعة: «اعلم -أسعدك الله- أنّ هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة، جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد، وأنواع الفسق والزّندقة والإلحاد، ومن توقّف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم»[1]، إلى أن قال:

«وأمّا الكفر فمن وجوه:

منها: أنّهم يستخفّون بالدّين، ويستهزئون بالشّرع المبين.

ومنها: أنّهم يهينون العلم والعلماء.

ومنها: أنّهم يستحلّون المحرّمات، ويهتكون الحرمات.

ومنها: أنّهم ينكرون خلافة الشّيخين».

كلّ تلك الاتّهامات الحاقدة والخبيثة كاذبةٌ، أراد بها صاحبها إرضاء سلاطين

---

[1] - «حلب والتّشيّع»: ص١٥٥ للشّيخ إبراهيم نصر الله.

الجور.

شرائط الإمام

اختلف السنّة والشّيعة في الشّروط الّتي ينبغي توفّرها في الإمام.

وكذلك اختلف السّنّة فيما بينهم وفيما يلي سنذكر أقوال علماء السّنّة في الشّروط الّتي يجب توفّرها في الإمام.

قال الباقلاني[1]: «يشترط في الإمام:

١: أن يكون قريشياً من صميم.

٢: وأن يكون في العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين.

٣: وأن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب وتدبير الجيوش والسّرايا، وسدّ الثّغور، وحماية البيضة، وحفظ الأمّة والانتقام من ظالمها، والأخذ لمظلومها».

قال عبد القاهر البغدادي: «إنّ الّذي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف:

الأوّل: العلم، وأقل ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام.

الثّاني: العدالة والورع، وأقل ما يجب له من هذه الخصلة أن يكون ممّن يجوز قبول شهادته تحمّلاً وأداءً.

الثّالث: الاهتداء إلى وجوه السّياسة وحسن التّدبير، وأن يعرف مراتب النّاس، فيحفظهم عليها، وأن يكون عارفاً بتدبير الحروب.

الرّابع: النّسب من قريش»[2].

قال الماوردي: «الشّروط المعتبرة في الإمامة سبعة:

---

[1] - «التّمهيد»: ص١٨١.

[2] - «أصول الدّين»: ص٢٧٧.

الأوّل : العدالة على شروطها الجامعة.

الثّاني : العلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النّوازل والأحكام.

الثّالث : سلامة الحواسّ من السّمع والبصر واللّسان.

الرّابع : سلامة الأعضاء.

الخامس : الرّأي المفضي إلى سياسة الرّعيّة وتدبير المصالح.

السّادس : الشّجاعة والنّجدة.

السّابع : النّسب، وهو أن يكون من قريش»[1].

قال ابن حزم: «يشترط فيه أمور:

الأوّل : أن يكون صلبه من قريش.

الثّاني : أن يكون بالغاً مميّزاً.

الثّالث: أن يكون رجلاً.

الرّابع : أن يكون مسلماً.

الخامس: أن يكون متقدّماً لأمره.

السّادس : أن يكون عالماً بما يلزمه من فرائض الدّين.

السّابع : أن يكون متقياً لله بالجملة غير مُعلن الفساد في الأرض.

الثّامن : أن لا يكون مولّى عليه»[2].

قال القاضي سراج: «صفات الأئمّة تسع:

الأوّل: أن يكون مجتهداً في أصول الدّين وفروعه.

الثّاني: أن يكون ذا رأي وتدبير.

---

[1] - «الأحكام السّلطانيّة»: ص٦.

[2] - «الفصل»: ج٤ ص١٨٦.

الثّالث: أن يكون شجاعاً.

الرّابع: أن يكون عادلاً.

الخامس: أن يكون عاقلاً.

السّادس: أن يكون بالغاً.

السّابع: أن يكون مذكّراً.

الثّامن: أن يكون قريشيّاً.

التّاسع: أن يكون حُرّاً». [1]

قال التّفتازاني: «ويشترط أن يكون مكلّفاً، مسلماً، عدلاً، حرّاً، ذكراً، مجتهداً، شجاعاً، ذا رأي وكفاية، سميعاً، بصيراً، ناطقاً، قريشيّاً. فإن لم يوجد من قريش من يستجمع هذه الصّفات المعتبرة، ولّي كناني، فإن لم يوجد فرجل من ولد إسماعيل، فإن لم يوجد فرجل من العجم» [2].

وتعبّر الأقوال المذكورة في شرائط الإمام عن وجوب اعتبار العدالة والعلم فيه.

فاعتبار العلم والعدالة في الإمام متّفق عليه عند أهل السنّة.

وهذا ينافي ما يأتي من تجويزهم إمامة الفاسق والجاهل على المسلمين، حيث يقولون بانعقاد الإمامة بالقهر والاستيلاء، ولو كان فاسقاً أو جاهلاً.

وهذا التّنافي والتّناقض منهم ليس إلاّ نتيجةً لرفضهم ما ورد من النّصوص في الإمام وشرائطه.

ويعلم من اختلافهم في عدد شرائط الإمام، قلةً وكثرةً، أنّ المصدر الوحيد لشرائط الإمام عندهم هو الاستحسانات العقليّة الغير المعتبرة الّتي توجب الاختلاف الكثير، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً

---

[1] - «مطالع الأنوار»: ص٤٧.

[2] - «شرح المقاصد»: ج٢ ص٢٧١.

كَثِيراً ﴾[1].

شرائط الإمام عند الإماميّة

وهي أربعة: الأوّل : العصمة ، وهي : قوّة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ ، بحيث لا يترك واجباً ، ولا يفعل محرّماً مع قدرته على التّرك والفعل .

فالمعصوم من بلغ من التّقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشّهوات والأهواء ، ويبلغ من العلم في الشّريعة مرتبةً لا يخطئ معها أبداً .

والإماميّة يشترطون العصمة بهذا المعنى في الإمام ، كما هي شرط في النّبي باتّفاق المسلمين .

قال الشّيخ المفيد في «أوائل المقالات» : «إنّ الأئمّة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام ، وإقامة الحدود ، وحفظ الشّرائع ، وتأديب الأنام معصومون ، كعصمة الأنبياء ، لا تجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة . . . ولا سهو في شيء من الدّين ، ولا ينسون شيئاً من الأحكام» .

وقال العلاّمة الحلّي في «نهج الحقّ» : «ذهب الإماميّة إلى أنّ الأئمّة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش ، من الصّغر إلى الموت ، عمداً وسهواً ، لأنّهم حفظة الشّرع والقوّامون به ، حالهم في ذلك كحال الأنبياء ، ولأنّ الحاجة إلى الإمام إنّما هي للانتصاف للمظلوم من الظّالم ، ورفع الفساد ، وحسم مادّة الفتن ، ولأنّ الإمام لطف يمنع القاهر من التّعدّي ، ويحمل النّاس على فعل الطّاعات ، واجتناب المحرّمات ، ويقيم الحدود والفرائض ، ويؤاخذ الفسّاق ، ويعزّر من يستحقّ التّعزير ، فلو جازت عليه المعصية ، وصدرت عنه ، انتفت هذه الفوائد ، وافتقر إلى إمام آخر» .

ويؤكّد على اعتبار العصمة في الإمام العقل والنّقل : .

---

[1] ـ سورة النّساء : ٨٢ .

أمّا العقل، فلأنّ الغاية من وجود الإمام إرشاد النّاس إلى الحقّ وردعهم عن الباطل، فلو جاز عليه الخطأ في الأحكام والمعصية في أمر الله، لكان من يجعله إماماً، كمن يطهّر الجرثومة بجرثومة من جنسها ومثلها؟! إذ من جاز عليه الخطأ، وارتكب المعاصي، لا يتمكّن من إرشاد النّاس إلى الحقّ وحملهم على الطّاعات.

وأمّا النّقل، فقوله تعالى: ﴿إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١]، وقول الرّسول الأعظم ﷺ: «عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ يدور معه كيفما دار»[٢]، وقوله ﷺ: «إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي، وإنّهما لن يفترقا، حتّى يردا عليّ الحوض»[٣]. والحديثان ممّا رواه الفريقان في كتبهما المعتبرة. وقول النّبيّ الأعظم ﷺ: «بأنّ الحقّ مع عليّ يدور معه كيفما دار»، يدلّ على استحالة صدور الأخطاء من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ لا يعقل أن تصدر الأخطاء من شخص دار الحقّ معه كيفما دار.

وأمْرُ الرّسول للمسلمين بالتّمسك بالعترة والقرآن، يدلّ على عصمة عترته من الخطأ، تماماً كعصمة القرآن، وقوله ﷺ: لن يفترقا، أي لا يخالف أحدهما الآخر، ولا يناقضه. ويأتي تقريب دلالة الآية على العصمة في الاستدلال بالآيات على خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فإذا كان النّبي ﷺ هو الّذي وصف أهل بيته بالعصمة، فأيّ ذنب للشّيعة الإماميّة إذا أطاعوا ربّهم، وعملوا بسنّة نبيّهم؟!

بل لو كانت لخصومهم أدنى خبرة بسنّة الرّسول ﷺ لقالوا بمقالتهم بدلاً عن

---

[١] - سورة الأحزاب: ٣٣.

[٢] - «مستدرك الحاكم»: ج٣ ص١١٩، و«مجمع الزّوائد»: ج٧ ص٢٣٥.

[٣] - «صحيح مسلم»: ج٤ ص١٢٣، و«ينابيع المودّة»: ص٣٤-٣٧.

الطّعن عليهم.

ولقد أقام العلماء المضلّون الدّنيا وأقعدوها على الشّيعة الّذين قالوا بعصمة أهل بيت الرّسول.

مع أنّ قول الشّيعة بعصمة الأئمّة الأطهار من آل الرّسول ليس بأعظم من قول السنّة بأنّ الصّحابة كلّهم عدول، مع علمهم بجريان الحروب الدّامية بينهم، وما وقع بينهم من شتم وسباب، هذا مضافاً إلى لعن النّبيّ ﷺ لبعضهم، فكيف يمكن القول بعدالة الصّحابة كلّهم؟!

وكيف كان فإنكار عصمة الأئمّة من آل الرّسول إنكار لسنّة الرّسول الّذي ساوى بين عترته وبين الكتاب العزيز، وتغطية لما جرى على آل الرّسول بعد وفاته ﷺ.

الثّاني: أن يكون الإمام منصوصاً عليه، لأنّ العصمة من الأمور الباطنيّة الّتي لا يعلمها إلاّ الله، فعليه تعيين الإمام على الخلق بواسطة الرّسول ﷺ. وانظر التّفصيل في أدلّة الإمامة.

الثّالث: أن يكون الإمام أعلم وأفضل من جميع الأمّة بعد النّبي ﷺ ولا يجوز أن يكون الإمام فاضلاً مع وجود الأفضل، وذلك لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً.

قال الشّيعة الإماميّة: يجب أن يكون الإمام أفضل من جميع رعيّته في صفات الكمال كلّها من العلم والفهم والرّأي والحزم والكرم وحسن الخلق والعفّة والزّهد والعدل والتّقوى والسّياسة الشّرعية ونحوها.

الرّابع: أن يكون الإمام أشجع الأمّة لدفع الفتن، واستئصال أهل الباطل ونصرة الحقّ.

وفي هذه الشّروط تتجلّى روح الثّورة على الباطل وعلى كل من يتطلّب مناصب ليس أهلاً لها. وقد أنتجت هذه الشّروط تنكيل الحكّام بالشّيعة عبر العصور.

والشّيعة قد أراحوا واستراحوا، وسلّموا أمرهم لله ورسوله، ولم يبق منهم من

يدّعي الخلافة لنفسه، أو يطمع فيها، لا بالنّصّ ولا بالاختيار، لأنّ النّصّ الّذي ينفي الاختيار والشّورى قد وقع من رسول الله ﷺ على أشخاص معدودين ومعيّنين بأسمائهم، وهم الإمام عليُّ بن أبي طالب، والإمام الحسن، والإمام الحسين، والإمام زين العابدين، والإمام محمّد الباقر، والإمام جعفر الصّادق، والإمام موسى الكاظم، والإمام علي الرّضا، والإمام محمّد الجواد، والإمام علي الهادي، والإمام حسن العسكري، والإمام الحجّة محمّد بن الحسن ﷺ.

فإنّ الشّروط المعتبرة في الإمام عند السّنّة والإماميّة قد جمعت فيهم. فهم أئمّة المسلمين بالاتّفاق نظراً إلى اتّصافهم بأوصاف الإمام عند جميع المسلمين، فإنّهم اتّفقوا على طيب عنصرهم وكريم صفاتهم، لكونهم أهل بيت رسول الله ﷺ، وأهل البيت أدرى بما في البيت.

ويكفينا من فضائلهم ما وصل إلينا دون ما حيل بيننا وبينهم، إذ الأقلام كانت تتقرّب إلى الحكّام بوضع الأحاديث، يدعمها السّيف ويردفها المال، ويدفعها الطّمع والخسّة وخلوّ الضّمير من النّبل. وكان من يذكر أهل البيت بخير محكوماً بالموت.

ولا تزال معظم الأقلام إلى يومنا هذا تكتب ما كتبته الأيدي الملوّثة والأقلام المستأجرة أيّام محنة أهل البيت ﷺ.

ونظراً إلى هذا ليس من صدفة أن تنحرف جماعةٌ كثيرةٌ عن طريقٍ عيّنه لهم نبيّهم ﷺ في مجالات مختلفة.

إذ من المستبعد أن يترك النّبيّ ﷺ بيان أمر الإمامة شرطاً وصفةً، مع أنّه ﷺ قد بيّن أبسط الأشياء وأدناها من المكروهات والمستحبّات. ويعتقد الإماميّة بأنّ النّبيّ ﷺ قد عيّن الإمام من بعده، فانتظر ما استدلّوا به من الآيات والأخبار المتواترة.

ما تنعقد به الإمامة

الإمامة عند الشّيعة الإماميّة منصب إلهي كالنّبوّة كما ذكرنا فيجب أن يكون الإمام منصوباً من قبل الله بواسطة الرّسول ﷺ. وقد ثبت النّص لعليّ عليه السلام بالخلافة بعد الرّسول من القرآن الكريم والسنّة النّبوية، فانتظر استدلالهم بالكتاب والسنّة على الخلافة.

وأمّا أهل السنّة، فقد اختلفوا على أقوال:

قال التّفتازاني: «وتنعقد الإمامة بطرق:

أحدها: بيعة أهل الحلّ والعقد من العلماء والرّؤساء ووجوه النّاس الّذين يتيسّر حضورهم من غير اشتراط عدد، ولا اتّفاق من سائر البلاد، بل لو تعلق الحلّ والعقد بواحد مطاع كفّت بيعته.

الثّاني: استخلاف الإمام وعهده وجعله الأمر شورى بمنزلة الاستخلاف إلاّ أنّ المستخلف عليه غير متعيّن، فيتشاورون ويتّفقون على أحدهم.

الثّالث: القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام، وتصدّى للإمامة من يستجمع شرائطها، من غير بيعة واستخلاف، وقهر النّاس بشوكته، انعقدت الخلافة له وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً»[1].

قال الأسفرائني الشّافعي: «وتنعقد الإمامة بالقهر والاستيلاء، ولو كان فاسقاً أو جاهلاً أو عجمياً»[2].

قال الماوردي: «اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى، فقالت طائفة: لا تنعقد إلاّ بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد، ليكون

---

(١) ـ «شرح المقاصد»: ج٢ ص٢٧٢.

(٢) ـ «الجنايات من الينابيع على ما في إحقاق الحقّ»: ج٢ ص٣١٧.

الرّضا به عاماً، والتّسليم لإمامته إجماعاً»[1].

وهذا مدفوعٌ ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها، ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

وقالت طائفةٌ: أقلّ ما تنعقد به الإمامة خمسةٌ يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضاء الأربعة استدلالاً بأمرين:

أحدهما: إنّ بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثمّ تابعهم النّاس فيها، وهم عمر بن الخطّاب، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة (رضي الله عنهم).

والثّاني: إنّ عمر جعل الشّورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضاء الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاّها أحدهم برضاء الاثنين، ليكونوا حاكماً وشاهدين، كما يصحّ عقد النّكاح بوليّ وشاهدين.

وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد، لأنّ العبّاس قال لعليّ (عليه السلام) أمدد يدك أبايعك، فيقول النّاس: عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بايع ابن عمّه، فلا يختلف عليك اثنان ولأنّه حكم وحكم واحد نافذ».

وقال إمام الحرمين: «اعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الإمامة، وإن لم تُجمع الأمّة على عقدها» إلى أن قال: «بأنّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد»[2].

وقال القاضي: «إنّ الإمامة تثبت بالنّصّ من الرّسول (صلى الله عليه وآله) ومن الإمام السّابق بالإجماع، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد» إلى أن قال: «بل الواحد والاثنان من

---

[1] - «الأحكام السّلطانيّة»: ص٦ و٧.

[2] - «الإرشاد»: ص٤٢٤.

أهل الحلّ والعقد كاف، لعلمنا أنّ الصّحابة مع صلابتهم في الدّين اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبي بكر وعقد عبد الرّحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماعهم هذا، ولم ينكر عليه أحد»[١].

قال الباقلاني: «إنّ طريق تولية الخليفة بأحد أمرين:

أحدهما: مبايعته بالخلافة ولو من رجل واحد من أهل الحلّ والعقد.

ثانيهما: العهد إليه من الخليفة القائم قبل وفاته باعتبار أنّ الخليفة وكيل الأمّة في إدارة شؤونها، فله أن يعهد بالأمر من بعده لمن يراه أهلاً للقيام مقامه متى لحق بربّه»، ثمّ قال ببطلان النّصّ من النّبي ﷺ، وقال في وجه ذلك ما هذا لبّه: «والّذي يدلّ على إبطال النّصّ أنّه لو نصّ النّبي ﷺ على إمامٍ بعينه لنُقل إلينا كسائر الأحكام»[٢].

قال ابن حزم: «إنّ عقد الإمامة يصحّ بوجوه أوّلها وأفضلها وأصحّها أن يعهد الإمام القائم إلى إنسان يختاره إماماً بعد موته، كما فعل الرّسول ﷺ بأبي بكر، وكما فعل أبو بكر بعمر، وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز»[٣] ثمّ ذكر ابن حزم أنّ الرّسول نصّ نصّاً جليّاً على استخلاف أبي بكر[٤].

ويظهر من كلام ابن حزم أنّ غرضه من النّصّ على خلافة أبي بكر هو بطلان ما ذهب إليه الشّيعة من نصّ الرّسول على خلافة عليّ بن أبي طالب بعد وفاته.. هذا تمام الكلام في الوجه الأول الّذي ذكره ابن حزم، إلى أن قال: «وهذا هو الوجه الّذي نختاره ونكره غيره، لما فيه من اتّصال الإمامة وانتظام أمر الإسلام وأهله ورفع ما يتخوّف من الاختلاف والشّغب، ممّا يتوقّع في غيره من بقاء الأمّة فوضى وانتشار

---

[١] - «المواقف»: ص٣٩٩.

[٢] - «التمهيد»: ص١٧٨.

[٣] - «الفصل»: ج٤ ص١٠٨.

[٤] - راجع كتاب «الفصل»: ص١٦٩.

الأمر وحدوث الأطماع». وقد تكلّم ابن حزم بما هو الحقّ من وجوب النّصّ على الخلافة دفعاً لوقوع الفوضى وسداً لأطماع الفجّار والفسّاق في الخلافة، إلاّ أنّ النّصّ إنّما هو على خلافة عليّ بن أبي طالب دون أبي بكر. إلى أن قال:

الوجه الثاني: إذا مات إمام ولم يكن عهد إلى أحد، أن يبادر رجل مستحقّ للإمامة، فيدعو إلى نفسه ولا منازع، فيكون فرضاً علينا حينئذ اتّباعه والانقياد لبيعته والتزام إمامته وطاعته، وذلك كما فعل عليّ بن أبي طالب، إذ قُتل عثمان (رضي الله عنهما).

الوجه الثّالث: أن يجعل الإمام عند وفاته اختيار خليفة المسلمين إلى رجل ثقة، أو إلى أكثر من واحد، كما فعل عمر بن الخطّاب قبيل موته، وليس عندنا في هذا الوجه إلاّ التّسليم لما أجمع عليه المسلمون إلى أن قال ابن حزم: «فبأحد هذه الوجوه تصحّ الإمامة، ولا تصحّ بغير هذه الوجوه البتّة».

والأقوال المذكورة أقوال لكبار علماء أهل السنّة فيما تنعقد به الإمامة. وهذه الأقوال، كما ترى، متضاربة ومتناقضة تماماً، إذ فيها القول باعتبار الإجماع في انعقاد الإمامة، ويناقض القول بعدم اعتبار الإجماع، وعرفت نقل القول باعتبار الإجماع وردّه عن الماوردي. وفيها القول بثبوت الإمامة بالنّصّ من الرّسول، كما تقدّم من القاضي في «المواقف»، ومن ابن حزم في كتاب «الفصل»، بل ذكر ابن حزم أنّ الرّسول نصّ نصاً جلياً على خلافة أبي بكر. وهذا القول منهما يناقض ما تقدّم من الباقلاني حيث أكّد على بطلان النّصّ على الإمامة من الرّسول مطلقاً. وفيها القول بقياس عقد الإمامة بعقد الزّواج، حيث قال: يصحّ عقد الإمامة بثلاثة يتولاّه أحدهم برضاء الاثنين، كما يصحّ عقد النّكاح بوليّ وشاهدين. وفيها انعقاد عقد الإمامة بالقهر والاستيلاء، وإن كان فاسقاً وجاهلاً وفيها انعقاد البيعة بالشّورى.

وهذه الأقوال مردودة من وجوه:

الأوّل : كونها متضاربة ومتناقضة يكفي في بطلانها وعدم صحّتها ، لأنّ التّناقض كاشف عن عدم كونها من الدّين إذ الدّين بريءٌ من الاختلاف ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[1] .

فالأقوال المذكورة أمورٌ مستنبطةٌ باجتهادات أصحابها ، فهي لهم خاصّةٌ ، وليست للدّين والمسلمين ، إذ بعض المسلمين في العالم الحاضر أعلم منهم قطعاً .

نعم ، يمكن أن يكون الغرض من تلك الأقوال المتضاربة تصحيح الأحداث التّاريخيّة بعد وفاة النّبي ﷺ ، بأن تكون الأقوال المذكورة مستندة إلى تلك الأحداث ، وكان استنادها إليها دليلاً ولو بشكل غير مباشر على أنّ الأحداث الّتي وقعت بعد وفاة النّبي ﷺ في خصوص الخلافة هي الطّرق الشّرعيّة للخلافة الإسلاميّة .

إلاّ أنّ تصحيح تلك الأحداث بما يوجب الطّعن على الإسلام والمسلمين ليس إلاّ مغامرةً خطيرةً وتلاعباً جائراً بحقّ الإسلام كنظام . إذ كيف يعقل أن تتمّ القيادة الإسلاميّة ، بوصفها قيادة دينيّة ودنيويّة ، ببيعة واحد لواحد؟! مع أنّ القيادة في الأنظمة المعاصرة بوصفها قيادة دنيويّة فقط بحاجة إلى الشّورى الشّعبيّة .

ثمّ إنّ كفاية بيعة واحد لواحد تناقض ما حدث بعد وفاة النّبي ﷺ مباشرةً من التّجمّع الغير العاديّ في السقيفة . نعم ، لا يتوجّه أيّ طعن إلى الإسلام والمسلمين على القول بنصّ الرّسول على خلافة شخص معيّن بعده ، إذ نظيره موجودٌ في الملوكيّة .

الثّاني : بطلان قياس عقد الخلافة الإسلاميّة بعقد الزّواج . أليس هذا القياس من الأراجيف ، إذ كيف يقبل العقل السّليم قياس قائد الأمّة الكبيرة بالأسرة الزّوجيّة؟! .

---

[1] ـ سورة النساء : ٨٢ .

فالقول بانعقاد الخلافة ببيعة واحد أو أكثر بلا قيد وشرط مرفوض بأحد وجهين :

الأوّل : إنّ الخليفة يحتلّ المركز الأوّل في المجتمع الإسلامي لكونه خليفة رسول الله ﷺ فعليه تطبيق الإسلام على النّاس وردعهم عن الانحرافات والسّلوك بهم في الطّرق المقرّبة إلى الله تعالى ، وعليه أن يحفظ حوزة الدّين ، ويدافع عن الشّريعة ، ويروّج أحكامها . ومن البديهيّ أنّ الخليفة بهذه المواصفات لا يعقل أن يكون بانتخاب واحدٍ أو أكثر ، إذ الواحد أو الخمسة ربّما يبايعون لأحد طمعاً في الجاه والمال .

الثّاني : إنّ انعقاد الخلافة ببيعة واحد أو أكثر يفسح المجال لمن يريد التّلاعب بالدّين عن طريق الخلافة .

وربّما يكون هدف الخليفة القضاء على الدّين الإسلامي ، كما فعل ذلك مصطفى كمال أتاترك على الخلافة العثمانيّة .

إذا أردت المزيد فانظر إلى تاريخ الخلفاء الأمويّين والعبّاسيّين كيف تلاعبوا بالدّين الحنيف عن طريق الخلافة .

الثّالث : الاجماع المزعوم على خلافة أبي بكر مردودٌ ، وقد تقدّم ردّه في كلام الماوردي ، حيث قال : «هذا مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها» ولكن بيعة أبي بكر لم تتحقّق بمن حضر المدينة أيضاً ، لرفض ذلك من قبل عدد كبير كعليّ بن أبي طالب وسلمان وأبي ذرّ والمقداد وغيرهم من صحابة الرّسول الأعظم ، بل احتجّوا على ما حدث في السّقيفة . لأنّ الاجماع هو اتّفاق أمّة محمّد خاصّة على أمرٍ من الأمور ، كما عن الغزالي ، والإجماع بالمعنى المذكور لم يحصل على خلافة أبي بكر .

فاتّهام الإماميّة بأنّهم شقّوا عصا المسلمين حيث خالفوا إجماع المسلمين في أمر الخلافة كذبٌ محض ، والطّعن عليهم يرجع إلى الطّاعن حيث شقّ عصا المسلمين تحت غطاء الإجماع المزعوم .

فدعوى الإجماع على خلافة أبي بكر مع عدم وجود الإجماع أصلاً، وإنكار النّصّ من الرّسول الأعظم على خلافة عليّ بن أبي طالب مع تواتره عند الفريقين ليس إلاّ تغطيةً للحقّ.

الرّابع: ردّ القول بانعقاد الخلافة بالقهر والاستيلاء ولو كان الخليفة فاسقاً أو جاهلاً بوجوه:

الأوّل: إنّ القول بانعقاد الخلافة بالقهر والاستيلاء يعطي حجّة بالغة لأعداء الإسلام على أنّ الإسلام دين سيف.

الثّاني: إنّ هذا القول يناقض قولَ أهل السّنّة بخلع الإمام بالكفر والفسق حيث قالوا «ويوجب خلع الإمام أمورٌ: منها كفره بعد إيمان، ومنها فسقه وظلمه»[1]، كما أنّه يناقض قول النّبي ﷺ: «أشدّ النّاس عذاباً إمام جائر» وقوله ﷺ: «وأبغض النّاس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر»[2].

الثّالث: إنّ القول بمشروعيّة قيادة الفاسق يفتح الباب بمصراعيه أمام الفُسّاق، كي يحكموا على المسلمين بسفك الدّماء وهتك الأعراض ونهب الأموال. وهذا ما لا يقبله الجهّال فضلاً عن العقلاء، لأنّ الإسلام نظام العدل والمساواة، وليس نظام الظّلم والاستبداد، حيث لا فرق في الإسلام بين الشّريف والوضيع، ولا بين الحاكم والمحكومين، بل الإسلام في العدالة القانونيّة أتى بمبدأ لم يسبق له قطّ.

حيث لم يعترف بامتيازات للحاكم أمام القوانين الجزائيّة، بل تكبر الجريمة في الإسلام إذا صدرت من الحاكم، مع أنّ أكثر القوانين الحاضرة لا تجعل الجريمة من رئيس الدّولة لها عقوبة.

وقد ورد في الخبر: «إنّ امرأة من قريش سرقت عقب فتح مكّة فأهمّ قريش أنّ

---

[1] – «مذاهب الإسلاميّين»، تأليف الدّكتور عبد الرّحمن بدوي: ٦٣٢.

[2] – «المصطفى من أحاديث المصطفى»، تأليف مصطفى طلاّس: ص٢٠٦.

محمّداً سيقطع يدها، وفي ذلك سبّة الأبد على قبيلتها، فدفعوا إلى الرّسول ﷺ أسامة بن زيد، فذهب إلى النّبي ﷺ يستشفع لها، فقال ﷺ له: **أتشفع في حدّ من حدود الله؟** ثمّ وقف بين النّاس خطيباً يقول: **«ما بال أقوام يشفعون في حدّ من حدود الله، إنّما هلك الّذين من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق الشّريف تركوه، وإذا سرق الضّعيف أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها»**.

فكيف يرضى الإسلام أن يكون الحاكم فاسقاً أو جاهلاً؟

أليس النّظام الإسلامي في يد الجاهل كالجريدة المقلوبة في يد رجلٍ أمّي؟! وممّا ذكرنا يظهر شناعة ما ذكره شارح الوقاية في فقه الحنفيّة حيث قال: «لا يحدّ الإمام حدّ الشّرب لأنّه نائب من الله تعالى»[1].

ويكفي في إبطال هذا القول إجماع المسلمين على حرمة شرب الخمر على جميع المسلمين، من دون فرق بين الحاكم والمحكومين والفاسق وغيره. ويدلّ على حرمتها قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾**[2]. ولازم القول المذكور: إنّ أحكام الله وحدوده مختصّة بالرّعيّة، فلا تجري في حقّ الحاكم الفاسق هذا ما يكذّبه الإجماع وضرورة الإسلام، لأنّ الإسلام قد قرّر على أنّ الجريمة تكبر من المجرم الكبير كالإمام الفاسق، ولذا تكون عقوبة العبد نصف عقوبة الحرّ في الإسلام.

ويزيد في شناعة القول المذكور تعليله عدم حدّ شارب الخمر الفاسق بأنّه نائبٌ من الله. وهذه الفتوى وأمثالها تشجّع الحكّام على شرب الخمور والفسق والفجور.

كيف يقبل وجدان مسلم بأن يجعل الفاسق الجائر نائباً عن الله تعالى؟! نعم،

---

[1] - «إحقاق الحقّ»: ج٢ ص٣١٩.

[2] - سورة المائدة: ٩٠.

هو نائبٌ عن الشّيطان دائماً، لأنّه يفعل ما يريد منه الشّيطان، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[(١)]

ثمّ قول بعض أهل السّنّة بعدم انعزال الإمام بالفسق والجور لا يقلّ شناعةً عن القول المذكور.

ثمّ انعقاد الإمامة بالسّيف وعدم انعزال الإمام بالفسق والجور معروف من أهل السّنّة. هذا أحمد بن حنبل زعيم الحنابلة يقول: «ومن غلبهم بالسّيف صار خليفة ويسمّى أمير المؤمنين، ولا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً عليه، برّاً كان أو فاجراً»[(٢)].

وهذا ابن خلدون يقول بشرعيّة خلافة الخلفاء الأمويّين والعبّاسيّين مع كونهم مشهورين بالفسق والفجور، إلى درجة لا يخفى على من يراجع تاريخهم الأسود، حيث لم تخلو مجالسهم من كؤوس الخمر والفواحش[(٣)].

أليس من الجزاف أو الأراجيف القول بعدم انعزال الإمام بالفسق والجور، تارةً بحجّة أنّه قد ظهر الفسق والجور من الأئمّة والأمراء بعد الخلافة الرّاشدة، وأخرى بحجّة أنّ النّبي ﷺ أمر النّاس بالصّبر إذا كرهوا من أميرهم شيئاً، حيث قال ﷺ: **«من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنّه من خرج عن السّلطان شبراً فمات، مات ميتة جاهلية»**[(٤)].

أليس هذا الحديث من وضع الوضّاعين الّذين يجعلون الأحاديث لتثبيت شرعيّة حكّام الجور؟!

أليس هذا مناقضاً لما تقدّم في شرائط الإمام من كونه عالماً وعادلاً شجاعاً عاقلاً

---

(١) - سورة النور: ٢١.

(٢) - «نظام الحكم في الإسلام» تأليف الدكتور محمّد يوسف موسى: ص١٤٧.

(٣) - «مقدّمة ابن خلدون»: ص٢١٠و٢١١.

(٤) - «الإمامة والخلافة» تأليف عبد الكريم الخطيب: ص٣٠٠.

بالغاً قريشياً.. إلخ؟! إذ لازم القول بشرعيّة إمامة الفاسق هو إسقاط جميع الشّروط المعتبرة في الإمام.

فإذا تولّى الإمامة فاسق يسقط اعتبار العدالة، وإذا تولاّها جاهل يسقط اعتبار العلم والاجتهاد، وإذا تولاّها بالقهر والغلبة تسقط حرّيّة اختيار الإمام، ويسقط اعتبار الشّورى في انتخاب الخليفة.

وبالتّالي، إذا تولاّها كافر يسقط اعتبار الإيمان، وكل ذلك بحجّة ظهور الجور من الأئمّة والأمراء، وليس ذلك منهم إلاّ تغطيةً للحقّ، متجاهلين قوله تعالى: ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوانِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3]، وقول النّبي ﷺ: «وأبغض النّاس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر»[4].

فإذا قلنا: بشرعية إمامة الفاسق لا نكون عباد الله، بل نحن عبيد الواقع وعبيد من استولى علينا، ولو كان هادفاً إلى القضاء على الإسلام.

فهل يبقى للإسلام حرمة ومنزلة إذا كان إمام المسلمين شارب الخمر وقاتل النّفس المحترمة؟!

أليس القول بشرعيّة الإمام الفاسق الجائر مناقضاً لقول الرّسول الأعظم ﷺ حيث قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله».

---

[1] – سورة المائدة: ٢.

[2] – سورة الحجرات: ٩.

[3] – سورة البقرة: ١٢٤.

[4] – «المصطفى من أحاديث المصطفى» تأليف مصطفى طلاّس: ص٢٠٦.

نعم، رسول الله ﷺ بريءٌ عن قيادة الفسقة والظّلمة. والإسلام لا يرضى بقيادتهم، وإن رآهم جمهور النّاس قادةً لهم يأتمّون بهم وينقادون لأوامرهم.

بل للإسلام قادة وهم صفوة خلق الله تعالى كمحمّد المصطفى ﷺ حيث قضى على العادات الجاهليّة، وأنقذ البشريّة من الضّلالة، وعليّ المرتضى عليه السلام، حيث تجد حياته مليئة بالعزّ والشّرف والكرامة للإسلام والمسلمين، وينادي وهو أمير المؤمنين ويقول: «لإمرتكم هذه أزهد عندي منها إلاّ أن اقيم حقّاً أو أدفع باطلاً».

نعم، فهذا هو خليفة رسول الله عند الإماميّة لأنّ الخلافة إنّما هي لإقامة الحقّ ودفع الباطل، وليست لدفع الحقّ بالغدر وإشاعة الفحشاء والمنكر بالمكر.

وهذا معاوية يغدر ويفجر، ومع ذلك يعترف أهل السنّة بشرعيّة سلطنته، ويقول عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: «وما معاوية بأدهى منّي ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنتُ أدهى النّاس»[1].

ولقد ثبت نزاهة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام من جميع النّقائص والرّذائل الّتي كانت من صفات غيرهم ممّن تقمّصوا الخلافة، واستولوا على دست الحكم، وتمكّنوا من رقاب المسلمين فأشاعوا الظّلم والفساد، وجلبوا الويلات على الإسلام والمسلمين إلى يومنا هذا. وعلى كلّ حال فالأئمّة والخلفاء الحقّ بعد النّبي هم علي بن أبي طالب وأولاده المعصومون عليهم السلام.

الخامس: ردّ الشّورى، فهي وإن كانت إحدى الطّرق الملتوية الّتي سلكها أهل السّنّة لتبرير خلافة أبي بكر، إلاّ أنّها لم تتحقّق في السّقيفة، لأنّ الشّورى في الاصطلاح السّياسي الفقهي هي استطلاع الرّأي من ذوي الخبرة فيه للتوصّل إلى أقرب الأمور للحقّ.

فالشّورى في الخلافة هي عبارة عن استطلاع الآراء من أصحاب الخبرة في الدّين

---

[1] - «نهج البلاغة»: الخطبة ٢٠٠.

للتوصّل إلى نتيجة تكون أقرب إلى الصّواب. والشّورى بالمعنى المذكور لم تحصل في السّقيفة، بل هي بعيدة تمام البعد وغريبة تمام الغربة عن مسألة الخلافة في السّقيفة، لأنّ الحاضرين فيها من المهاجرين والأنصار تهافتوا إليها طمعاً للرّئاسة لا لشورى في أمر الخلافة. فصمّموا على صرف الخلافة عن آل محمّد ﷺ مهما كلّفهم الأمر، وبادروا القوم بعقد البيعة، واغتنموا اشتغال بني هاشم بتجهيز جنازة نبيّهم، فخافوا من التّأخير في أمر الخلافة أن يفضي بهم إلى خلاف ما صمّموا عليه، ويعلمون بأنّ آل محمّد إذا حضروا ظهرت حجّتهم، وعلت كلمتهم، وممّا يؤكّد عدم تحقّق الشّوري جريان المجادلات والمناقشات السّاخنة بينهم، بل المخاصمات في الرّئاسة، حتّى قال الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فغلبهم أبو بكر بحديث رواه لهم عن النّبي ﷺ أنّه قال ﷺ: «الخلافة في قريش»، ثمّ قام عمر وأبو عبيدة وسبقا الأنصار بالبيعة، فتمّت البيعة لأبي بكر في السّقيفة بهذه الطّريقة الّتي هي بعيدة تمام البعد عن الشّورى، ثمّ اشتدّ عمر ومعه خالد بن الوليد وقنفذ بن عمير بن جدعان التّميمي على حمل النّاس بالقوّة على البيعة. فالقول بتحقّق خلافة أبي بكر بالشّورى لم يكن إلاّ عذراً واهياً تمسّك به القوم لتبرئة ساحة الشّيخين ومن حذا حذوهما. وتغطية لما جرى على آل رسول الله قبل دفنه.

وكيف تحصل الشّورى مع العنف والقوّة وغياب عدد كبير من أصحاب الآراء كعليّ بن أبي طالب ﷺ وعبّاس عمّ رسول الله وابنه عبد الله وسلمان وعمّار وأبي ذرّ وغيرهم من الصّحابة. وأقوى شاهد على ما ذكرنا هو ما ذكره ابن أبي الحديد: «قال البرّاء بن عازب: لم أزل لبني هاشم محبّاً فلمّا قبض رسول الله ﷺ خفت، أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم. فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ، فكنت أتردّد إلى بني هاشم وهم عند النّبي ﷺ في الحجرة وأتفقّد وجوه قريش، فإنّي كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول:

قد بويع أبو بكر، فلم ألبث، وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السّقيفة، وهم متحجزون بالأزر الصّنعانية لا يمرّون بأحد إلاّ خبطوه، وقدّموه فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى، فأنكرتُ عقلي، وخرجت أشتدّ حتّى انتهيت إلى بني هاشم، والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً، وقلت: قد بايع النّاس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العبّاس: تَرِبَت أيديكم إلى آخر الدّهر، أما إنّي قد أمرتكم فعصيتموني. فمكثت أكابد ما في نفسي، ورأيت في اللّيل المقداد وسلمان وأبا ذرّ وعبادة بن الصّامت وأبا الهيثم بن التّيهان وحذيفة وعمّاراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر فأرسلا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرّأي، فقال المغيرة: الرّأي أن تلقوا العبّاس فتجعلوا له ولولده في هذه الإمرة نصيباً، ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب عليه السلام»[1]، انتهى مورد الحاجة.

وهذه القصّة تدلّ بوضوح على أنّ استعجال أبي بكر وعمر وحزبهما على أخذ البيعة من القوم لأبي بكر كان مؤامرة علنيّة ضدّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلا يبقى مجال لتبرير مبادرة البيعة لأبي بكر بأنّها ضرورة تدعوها الأوضاع السياسيّة.

هل يجوز أن تسمّى البيعة بالقهر شورى؟!

وإذا كانت الشّورى سبباً لشرعيّة الخلافة في الإسلام، فلما عُدل عن الشّورى في خلافة عمر الّذي عيّن خليفة للمسلمين بتعيين أبي بكر فقط؟! ولو كانت الشّورى قاعدة منطقيّة لتعيين الخليفة بعد الرّسول صلى الله عليه وآله في الإسلام، لأشار النّبي صلى الله عليه وآله إلى حدودها وتفاصيلها في حديث من أحاديثه الشّريفة. مع أنّ السّنّة النّبويّة قد ذكرت أبسط الآداب كإماطة الأذى عن الطّريق.

---

[1] - «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج١ ص٢١٩.

ولم توجد في السنّة النّبوية أيّة إشارة إلى الشّورى لشرعيّة الخلافة، ولذا تشبّثوا بآيتي الشّورى. الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1]، فالله تعالى يأمر نبيّه بالمشاورة، تعليماً للأمّة حتّى يتشاوروا في مهامّ الأمور، ومنها الخلافة.

والاستدلال بالآية المذكورة مردود لأمرين:

الأوّل: إنّ الخطاب في الآية متوجّه إلى الحاكم الّذي استقرّت حكومته، فيأمره سبحانه أن ينتفع من آراء رعيّته فالآية حينئذ أجنبيّة عن إثبات الخلافة بالشّورى.

الثّاني: إنّ المتبادر من الآية هو: إنّ التّشاور لا يوجب حكماً للحاكم ولا يلزمه بشيء، بل المراد من التّشاور هو استطلاع الآراء المختلفة من أصحاب الخبرة ثمّ الأخذ بما هو مفيد في نظره، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ المعرب عن أنّ العزم والتّصميم والاستنتاج من الآراء والأخذ بما هو الأصلح راجعٌ إلى نفس المشير، وهذا المعنى إنّما يتحقّق في ظرف يكون هناك مسؤول تامّ الاختيار في استحصال الأفكار ثمّ العمل بالنّافع منها، حتّى يخاطب بقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾.

وأمّا إذا لم يكن هناك رئيس، فلا تنطبق عليه الآية، إذ ليس في انتخاب الخليفة بين المشيرين من يقوم بدعوة الأفراد للمشورة، لغاية استطلاع آرائهم ثمّ الأخذ بالنّافع منها، ثمّ العزم القاطع عليه. فالآية بعيدةٌ تمام البعد عن مسألة تعيين الخليفة بالشّورى.

ولذا لم نر أحداً من الحاضرين في السّقيفة احتجّ بهذه الآية حينما رفض عدد كبير من الصّحابة ما جرى في السّقيفة.

الآية الثّانية: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ

---

[1]- سورة آل عمران: ١٥٩.

شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[١] ، وتقريب الاستدلال بهذه الآية ، أنّ المصدر ـأعني أمر ـ أضيف إلى الضّمير ـأعني هم ـ وهو يفيد العموم والشّمول لكلّ أمر ومنه الخلافة ، فيعود معنى الآية إلى أنّ شأن المؤمنين في كلّ مورد ، شورى بينهم .

ثمّ الاستدلال بهذه الآية أيضاً مردودٌ لأحد أمرين:

الأول : إنّ نصب الإمام إنّما هو من الواجبات عند أهل السّنّة ، والشّورى المذكورة في الآية باعتبار كونها من أوصاف المؤمنين ليست من الواجبات ، بل هي من المستحبّات ، فلا يعقل أن يكون غير الواجب واجباً وفرضاً .

الثّاني : إنّ الآية تأمر بالمشورة في الأمور المضافة إلى المؤمنين والمتعلّقة بهم ، وأمّا كون تعيين الخليفة من الأمور المضافة إليهم ، فهو أوّل الكلام ، بل يُحتمل أن يكون تعيين الخليفة من الأمور المضافة إلى الله تعالى ، كما تعتقد به الإماميّة فحينئذ بطل الاستدلال بالآية نظراً إلى ما هو المعروف بين أهل الاستدلال من أنّه إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال .

التّبريرات الواهية

الأول : تبرير مبادرة البيعة لأبي بكر ، حيث قيل بأنّ المبادرة على البيعة قبل دفن الرّسول الأعظم كانت ضرورة ملحّة دعت إليها الأوضاع السياسيّة الخطيرة الّتي مرت بها الجزيرة العربيّة بعد وفاة النّبي ﷺ ، وهي التّهديدات الّتي تزعزع أركان الإسلام النّاشئة من ظهور المتنبّئين ومانعي الزّكاة وارتداد المرتدّين ، فيكون انشغال آل بيت النّبي ﷺ ، وفي مقدّمتهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، بتجهيز النّبي ﷺ ، وانشغال أبي بكر بأمر الخلافة في السّقيفة ، قد حقّقا التّكامل في حفظ المصلحة الإسلاميّة .

وهذا التّبرير من الشّناعة إلى حدٍّ لا يخفى على البسطاء فضلاً عن العلماء ، فإنّ

---

[١] ـ سورة الشّورى : ٣٨ .

المرتدّين ومانعي الزّكاة والمتنبّئين كانوا على مسافة بعيدة من المدينة المنورة، فطول المسافة آنذاك تؤدّي إلى تأخّر وصول الأخبار أيّاماً بل شهوراً، مثلاً ظهر ادّعاء النّبوّة في اليمن الّتي تبعد عن المدينة عدّة أيام سيراً على الجمال، وظهر المرتدّون في البحرين، وظهر مانعوا الزّكاة في اليمن واليمامة وعمّان. ولو فرضنا وصول خبر وفاة النّبي ﷺ إلى المرتدّين وهم استعدّوا للهجوم على المدينة المنوّرة لما يدعو ذلك إلى مبادرة البيعة لأبي بكر، لأنّ جيش أسامة الكامل عدّة وعدداً كان قادراً على دفع خطر المرتدين من دون شك، هذا مع غضّ النّظر عن وجود الخليفة بتعيين الرّسول الأعظم ﷺ وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فلا يكون تهافت أصحاب السّقيفة إلى السّقيفة ومبادرتهم إلى البيعة لأبي بكر إلاّ للاستيلاء على حقّ عليّ بن أبي طالب في الخلافة. فهذه المبادرة لم تكن لمصلحة الإسلام، بل المصلحة كانت خاصّة لأصحاب السّقيفة.

ومن العار والإهانة لأعظم الأنبياء بأن يتسارع روّاد السّقيفة إلى سقيفتهم، ليحسموا الأمر لصالحهم، وأعظم الأنبياء لم يدفن بعد، وآل بيته الطّاهرين يعزّونه ويتقطّعون همّاً وحسرةً آه آه، لقد اهتزّت النّفوس الحيّة من عظيم المصيبة، وضاقت الأرض والصّدور!!!.

وماذا لو أجّل أصحاب السّقيفة سلطانهم ثلاثة أيام فقط حتّى يدفن نبيّهم ﷺ؟!

الثّاني: هو تبرير خلافة أبي بكر بكبر سنّه. وهذا التّبرير، وإن كان أقلّ شناعة من الأوّل، إلاّ أنّه مردودٌ:

أوّلاً: بالإجماع، إذ لم يذكر أحدٌ من الفريقين كبر السّنّ من شرائط الإمام والخليفة.

وثانياً: إنّ الكبار في السّنّ، وإن كان لهم حقّ الاحترام والعون والمشورة على الصّغار في السّنّ، إلاّ أنّ مثل الخلافة يتطلّب الرّجل المناسب الّذي يستطيع أن يقوم بإدارة الدّولة الإسلاميّة، بلا فرق بين أن يكون كبيراً أو صغيراً من حيث السّنّ. فلا

علاقة في الإسلام بين كبر السّنّ والخلافة، كي يقال باستحقاق أبي بكر للخلافة لكبر سنّه.

ويؤكّد على عدم العلاقة بين الوظائف الكبرى وبين كبر السّنّ تعيين الرّسول ﷺ أسامة بن زيد الّذي لم يتجاوز عمره (١٧) عاماً قائداً عسكرياً للجيش العظيم ضدّ إمبراطوريّة الرّوم.

فأبو بكر الّذي يتجاوز عمره ستّين عاماً حين استيلائه على الخلافة كان الأفضل له أن يتخلّى عن الخلافة ومشكلاتها كما يتقاعد حسب القوانين الحاليّة من يتجاوز عمره خمسين عاماً.

فإقدام أبي بكر على تولية الخلافة لم يكن إلاّ وفق مخطّط تمّ عليه الاتّفاق في حياة محمّد ﷺ سرّاً.

وكان الغرض صرف الخلافة عن عليّ بن أبي طالب ﷺ.

ومن أغراض هذا المخطّط الّذي أُعدّ ونُفّذ بإتقان تأخير حملة أسامة رغم إلحاح النّبي ﷺ على إنفاذها قائلاً: **«أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة»**، وكان في الحملة أبو بكر وعمر وبعض أقطاب كتلتهما، فتخلّفوا عن جيش أسامة وتجاهلوا أمر النّبي ﷺ، إذ لو تحرّكوا مع أسامة في الموعد المحدّد لهم، لكان من المحتمل أن يفلت الزّمام من أيديهم، فكان الغرض من التّخلّف صرف الخلافة عن أهل بيت النّبوّة لا إشفاقهم على النّبي ﷺ، لأنّ امتثال أمر النّبي ﷺ كان أوجب من الإشفاق عليه.

ومن أغراض هذا المخطّط معارضة عمر طلب النّبي ﷺ دواة وقرطاساً ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا من بعده حيث فسّر عمر طلب النّبي ﷺ بأنه كان ينوي النّصّ على تعيين عليّ بن أبي طالب ﷺ.

الثّالث: تبرير موقف عمر حينما عارض طلب النّبي ﷺ دواةً وقرطاساً ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا من بعده.

قال أهل السّنّة في تبرير موقف عمر بأنّ عمر أحسّ بشدّة مرض النّبي ﷺ فأشفق عليه، وأراد التّخفيف عن النّبي ﷺ إشفاقاً عليه من التّعب الّذي يلحقه بسبب إملاء الكتاب في حال المرض والوجع.

وهذا التّبرير لا يقلّ شناعةً من التّبرير الأوّل الّذي تقدّم. وشناعة هذا التّبرير تتّضح بعد ذكر قصّة رزيّة يوم الخميس، ومجمل القصّة أنّ الصّحابة كانوا مجتمعين في بيت رسول الله قبل وفاته بثلاثة أيام، فأمرهم النّبي ﷺ أن يحضروا له الكتف والدّواة ليكتب لهم كتاباً يعصمهم من الضّلالة، ولكن الصّحابة اختلفوا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، ومنهم من عصى أمره واتّهمه بالهجر، وهو عمر حيث قال: هجر رسول الله، ثمّ قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله. فغضب رسول الله وأخرجهم من بيته دون أن يكتب لهم شيئاً. ولا شكّ أنّ هذا الكتاب كان عاصماً لهذه الأمّة من الضّلالة، ولذا قال ابن عبّاس: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ جعل تسيل دموعه على خدّيه ويقول: إنّ الرّزيّة كلّ الرّزيّة ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم[1]. ويظهر من هذه القصّة أنّ السّبب التّامّ لاختلاف الأمّة الإسلاميّة هو عمر بن الخطّاب، ومع ذلك يطعن أهل السّنّة على الشّيعة الإماميّة بأنّهم شقّوا عصا المسلمين، مع علمهم بأنّ الرّزيّة كلّ الرّزيّة إنّما هي من عمر بن الخطّاب وليست من الشّيعة الإماميّة ولا من أئمّتهم. وهذه القصّة موجودة في صحاحهم.

ومن هذه القصّة تظهر بوضوح شناعة ما ذكر من أنّ عصيان عمر لأمر النّبيّ الأعظم كان من باب الإشفاق عليه، إذ لو كان غرض عمر تخفيف التّعب الجسمي عن النّبي ﷺ إشفاقاً عليه لما أوجب عليه تعباً روحيّاً بقوله: «هجر رسول الله حسبنا كتاب الله»، بل اكتفى بعدم امتثال أمر النّبي ﷺ ولم يجرح قلبه الشّريف بالاتّهام بالهجر والهذيان. فلو كان الغرض تخفيف التّعب عن النّبي ﷺ لكان

---

[1] - «صحيح البخاري»: ج٥ ص٥١٣.

الأفضل من نبيّ الرّحمة أن يشكر عمر بدلاً من أن يغضب عليه، وأن يخرجهم من البيت.

ثمّ لو كان قوله ﷺ هجراً وهذياناً، فلماذا امتثلوا أمره ﷺ عندما طردهم من الحجرة النّبوية، ولم يقولوا بأنّه يهجر من شدّة الوجع والمرض؟

فحينئذ لم يكن خروجهم فوراً، إلاّ لأجل أنّهم نجحوا لمخطّطهم في منع الرّسول من الكتابة، وأنّهم علموا أنّ النّبي ﷺ يريد الكتابة على خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فهذه الحادثة تتناسب مع ما تقول الإماميّة في تفسير موقف عمر بأنّ الرّسول ﷺ إنّما أراد توثيق العهد بالخلافة وتأكيد النّصّ بها على عليّ بن أبي طالب عليه السلام خاصة، وأراد أن يكتب اسم علي خليفة له، لئلاّ تقع الأمّة بعده في الضّلالة، كما يؤيّده حديث الثّقلين. وتفطّن عمر لذلك فصدّه عن ذلك كما اعترف به الخليفة الثّاني نفسه في كلام بينه وبين ابن عبّاس[(١)].

قال أسعد وحيد القاسم الّذي اختار مذهب أهل البيت في كتابه «حقيقة الشّيعة الاثنى عشرية»: (والحقيقة أنّ هذه الحادثة يفهم منها بدون أدنى شكّ إساءة إلى شخص الرّسول الكريم ﷺ، والّتي كانت صدمة كبيرة لي لدى علمي بها، والّتي حسب ظنّي يجهل حدوثها الغالبيّة العظمى من أهل السّنّة، بالرّغم ممّا تحويه من أهوال! وكثيراً ممّن أسمعتهم هذه الحادثة لم يصدقّوا بها من هول الصّدمة، بل إنّ بعضهم أقسم الأيمان الغلاظ بأنّه إذا صدف فعلاً وجود هذه الحادثة في «صحيح البخاري»، فإنّه لن يثق بعد ذلك بأيّ رواية في هذا «الصّحيح»)[(٢)].

---

(١) - «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج١٢ ص٧٩.

(٢) - هذه الحادثة موجودة في «صحيح البخاري»: ج٧ ص٣٨٩، كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني، وفي «صحيح مسلم»: كتاب الوصيّة باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ج٤ ص١٧٥ وفيه: «فقالوا: إن رسول الله يهجر».

نعم، هذه الحادثة صدمةٌ كبيرةٌ على من يعلم بها بعد أكثر من ألف سنة، فكيف لم تكن صدمة كبيرة على رسول الله ﷺ، مع أنّه لم يسمع من النّبي ﷺ طوال فترة مرضه كلام لا يليق بمقامه الشّريف؟ فكيف ينسب إليه الهذيان، مع العلم بأنّه مصون ومعصوم من قبل الله تعالى؟

وسرّ الدّهشة في هذه الحادثة هو أنّه كان ينبغي على جميع الصّحابة الحاضرين، أن يقدّموا دون أدنى تأخير ما أمرهم رسول الله ﷺ به، حتّى يكتب لهم ما يعصمهم بعده من الضّلالة ثمّ يودّعوه الوداع الأخير. ويزيد على الدّهشة أنّ وداع الرّسول لكبار الصّحابة قد تحقّق بطرده إيّاهم من مجلسه بعد أن ودّعوه بتلك الكلمة المؤلمة.

يا أيّها القارئ الكريم، إذا تأمّلت في قول الرّسول ﷺ: **«آتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده»**، وقوله ﷺ في حديث الثّقلين: **«إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»**، تعلم أنّ المقصود في الحديثين واحد، حيث أراد الرّسول ﷺ في مرضه أن يكتب لهم تفصيل ما أوجبه عليهم حديث الثّقلين، إلاّ أنّ الصّحابة خالفوا أمر الرّسول وتناسوا قوله تعالى: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[1] واتّهموه بالهجر والهذيان، وقد تجاهلوا قوله تعالى: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾**[2].

فمن المحتمل، بل من المظنون أن يكون قول النّبي ﷺ: **«إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وسنّتي»** بدل «وعترتي» مجعولاً لإحداث الشّكّ في حديث الثّقلين المشتمل لكلمة «وعترتي». ويؤكّد على ذلك ذكر الحديث المشتمل على كلمة

---

[1] - سورة الحشر: ٧.

[2] - سورة النّجم: ٣-٥.

«وسنّتي» في خُطَب الجمعة دون الحديث المشتمل على كلمة «وعترتي» وذلك ليس إلاّ تغطيةً للحقّ، وتبريراً لمخالفتهم العترة الطّاهرة.

الرّابع: تبرير خلافة أبي بكر بأنّ النّبي ﷺ في مرضه أمر أبا بكر أن يصلّي إماماً للجماعة، فيقال: إنّ النّبي ﷺ إذا جعله إماماً في أمر الدّين ورضي به فيكون أرضى لإمامته في أمر الدّنيا، وهو الخلافة.

وهذا التّبرير مردود لأمور:

الأوّل: إنّ قياس الإمامة للجماعة بالخلافة غير صحيح عند أهل السنّة، لأنّهم اشترطوا في الخليفة أموراً: منها العدالة، كما سبق في شرائط الإمام، ولم يشترطوا في إمام الجماعة العدالة، بل جوّزوا الصّلاة خلف كل برٍّ وفاجر.

الثّاني: إنّ الشّيعة الإماميّة ينكرون ذلك كلّ الإنكار، بل النّبي ﷺ أمر النّاس في مرضه بالصّلاة فقالت عائشة بنت أبي بكر لبلال: إنّه ﷺ أمر أن يؤمّ أبو بكر النّاس في الصّلاة. فلمّا اطّلع النّبي ﷺ على هذا الحال وضع يده المباركة على منكب عليّ بن أبي طالب ﷺ، وخرج إلى المسجد، ونحّى أبا بكر عن المحراب فصلّى بالنّاس.

وهذا ما رواه البخاري بإسناده إلى عروة قال: «فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفّة، فخرج إلى المحراب، فكان أبو بكر يصلّي بصلاة رسول الله ﷺ والنّاس يصلّون بصلاة أبي بكر» أي بتكبيره.

الثّالث: إنّه لو كان خبر تقديم أبي بكر في الصّلاة صحيحاً، كما تخيّلوا، وكان دليلاً على إمامته لكان ذلك نصّاً من النّبي ﷺ: بإمامة أبي بكر، فلا حاجة حينئذ إلى الإجماع، ولا إلى الشّورى في السّقيفة، وكان أولى لأبي بكر ومن معه أنّ يحتجّوا به على الأنصار، بدل ذكره الحديث من النّبي ﷺ: «إنّ الخلافة في قريش».

ويدلّ على كذب رواية تقديم أبي بكر في الصّلاة أمور:

الأوّل : هو ما في كتاب «صفوة الصّفـوة»، حيث أخرجها ابن الجوزي بسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «لمّا قبض رسول الله، فوجدنا النّبي صلى الله عليه وآله قد قدّم أبا بكر في الصّلاة، فرضينا لدنيانا من رضى رسول الله صلى الله عليه وآله لديننا فقدّمنا أبا بكر».

فلو كانت هذه الرّواية صحيحة لكان علي عليه السلام أوّل من بايع أبا بكر.

مع أنّ الثّابت بالضّرورة عدم بيعة علي عليه السلام لأبي بكر إلاّ بعد ستّة أشهر، بل إنّه عليه السلام احتجّ على ما وقع في السّقيفة.

الثّاني : إنّ النّبي صلى الله عليه وآله قد جعل أبا بكر مع عدد من الصّحابة من أفراد سريّة أسامة بن زيد، وحثّهم على المسير لغزو الرّوم بقوله صلى الله عليه وآله: «**أنفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة**»، فلو أراد الرّسول صلى الله عليه وآله أن يستخلف أبا بكر لما جعله بين أفراد تلك السّريّة في آخر لحظات عمره الشّريف. كيف يعيّنه لإمامة الصّلاة في المدينة وهي خاليةٌ عنه.

الثّالث : وجود الأحاديث المتواترة الموجودة في الصّحاح في استخلاف عليّ عليه السلام فانتظر أدلّة الإماميّة على خلافة عليٍّ عليه السلام.

الخامس : تبرير خلافة أبي بكر بعدم حمل عليّ عليه السلام السّيف لأخذ الخلافة من أبي بكر بالقوّة. فيقال: لو كانت الخلافة لعليّ عليه السلام لكان عليه أن يحمل السّيف ويأخذ حقّه بقوّة السّلاح.

الجواب: إنّ الإمام علي عليه السلام اكتفى بالاحتجاجات الكلاميّة، وترك حمل السّيف لأمرين:

الأوّل : إنّه لم يجد له أعواناً بحيث يحسم الأمر لصالحه مع حقن دماء المسلمين الّذين فيهم حفظة القرآن الّذي لم يكتب بعد، وشهر السّيف آنذاك كان يهدّد جهود النّبي صلى الله عليه وآله ويؤدّي بالتّالي إلى ضياع الإسلام.

الثّاني : خشيته ﷺ على الإسلام بأن يرتدّ عنه أولئك الّذين لما يدخل الإيمان في قلوبهم .

ويؤكّد على هذين الأمرين ما أوصى به رسول الله ﷺ حيث قال له : «إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم وإن لم تجد أعواناً كفّ يدك واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً» .

ومن هنا يندفع ما طعن به ابن حجر على الإماميّة من أنّه لا فرق بين أن يسلّ سيفاً على أبي بكر وأن يسلّ سيفاً على معاوية في حرب صفّين ، فلو كان النّبي ﷺ أوصاه بعدم سلّ السّيف حقناً لدماء المسلمين ، لما سلّ سيفاً في حرب صفّين ، وأعاذه الله من مخالفة وصيّة رسول الله ﷺ .

وحاصل الاندفاع أنّ وصية النّبي ﷺ بعدم القيام بالسّيف كان مقيّداً بعدم وجود الأعوان ، وسبب قعوده عن حرب أبي بكر وأتباعه هو أحد أمرين :

الأوّل : عدم الأعوان .

الثّاني : خطر ضياع الإسلام عن أصله ، وذلك لكون المسلمين حديثي العهد بالإسلام ، بل كانوا مستعدّين للارتداد بأدنى سبب وأقلّ فتنة .

وهذا بخلاف زمان معاوية ، حيث كان لعليّ بن أبي طالب ﷺ أعوان لدفع معاوية وعزله وإزالة بدعه وتجبّره على المسلمين ، وكانت آثار غلبة علي ﷺ على معاوية في طول الحرب ظاهرة ، حتّى عجز أصحاب معاوية فاضطرّوا إلى الخدعة ، حيث رفعوا المصاحف على رؤوس رماحهم طالبين للصّلح .

نعم ، عليّ بن أبي طالب قد طالب بحقّه ومشى إلى المهاجرين والأنصار وحرّضهم على الدّفاع عنه ، واستنهض كبار شيعته وأهل بيته لإعلان حقّه ، ممّا جعل النّاس يعترفون بخطأ مبادرتهم للبيعة ، فكانوا يقولون لفاطمة ريحانة رسول الله حينما تسألهم النّصرة : يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل ، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به . وفي «الإمامة والسّياسة»

لابن قتيبة: «إنّ علياً ﷺ احتجّ على أبي بكر وأتباعه حيث قال حينما طُلب منه أن يبايع لأبي بكر: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم لا أبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النّبي ﷺ وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً»؟

ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد منكم فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيّاً وميّتاً فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلاّ فبوؤوا بالظّلم وأنتم تعلمون فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع، فقال له علي ﷺ: «احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردّه عليك غداً».

وما قاله علي ﷺ في حقّ عمر قد تحقّق، إذ عيّن أبو بكر عمر خليفةً من بعده من دون شورى، إلى أن قال عليّ ﷺ: «والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك، فقال أبو عبيدة الجرّاح لعلي (كرّم الله وجهه): يا ابن عمّ رسول الله، إنّك حديث السّنّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور».

وهذا القول كالتّبرير بكبر السّنّ من أبي عبيدة مردود بتعيين النّبي ﷺ أسامة بن زيد قائداً للجيش، وأمر ﷺ مشيخة القوم وفيهم أبو بكر وعمر بإطاعته.

فقال علي (كرّم الله وجهه): **الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في النّاس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحقّ النّاس به لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله ﷺ، المضطلع بأمر الرّعية، المدافع عنهم الأمور السّيئة، القاسم بينهم بالسّوية والله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعداً**.

فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي

قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان».

ومن هنا يظهر أنّ الغرض من تهافت القوم إلى السّقيفة لم يكن إلاّ لإخراج أمر الخلافة من بيت النّبوّة.

«وخرج عليّ (كرّم الله وجهه) يحمل فاطمة بنت رسول الله على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النّصرة، وكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليٌّ (كرّم الله وجهه): **«أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع النّاس سلطانه»؟**

فقالت فاطمة: **«ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»**. انتهى ما في «الإمامة والسّياسة».

وقال المسعودي: «لمّا بويع أبو بكر في يوم السّقيفة وجدّدت البيعة له يوم الثّلاثاء خرج عليٌّ فقال: أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم ترع لنا حقّاً، فقال أبو بكر: بلى، ولكنّي خشيت الفتنة»[١].

وهذا الكلام من أبي بكر اعتراف له بأنّ الحقّ كان لعليّ بن أبي طالب ولكن غصبه خشية الفتنة. ثمّ قول أبي بكر بأنّ مبادرته لتولية الخلافة كان خشية للفتنة، ليس إلاّ تغطيةً لحقّ عليّ بن أبي طالب، بل لم يكن هناك إلاّ خشية فوت الرّئاسة، إذ لو كانت المبادرة لأخذ البيعة لدفع الفتنة، فلماذا هجموا على بيت النّبوّة وهدّدوا أهل بيت الرّسالة بالنّار[٢]؟.

فهل يعقل أن يكون أهل بيت النّبي ﷺ أهلاً للفتنة؟!

وقد ذكر خبر الهجوم والتّهديد كتب التّاريخ من الفريقين، وإن أسقط عن

---

(١) ـ «مروج الذّهب»: ج٢ ص٣٠١.

(٢) ـ «الإمامة والسّياسة»، تأليف ابن قتيبة الدينوري: ج١ ص١٢.

بعضها في الطّبعات الجديدة.

قال عبد الفتّاح عبد المقصود -وهو من أهل السنّة- : «إنّ أبا بكر أرسل عمر بن الخطّاب ومعه جماعة بالنّار والحطب إلى دار علي وفاطمة والحسن والحسين ليحرقوه بسبب الامتناع عن بيعته. . فلمّا راجع عمر بعض النّاس قائلين: إنّ في البيت فاطمة قال: وإن!. .»[1].

قال اليعقوبي: «وبلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع عليّ بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتّى هجموا على الدّار، وخرج عليٌ ومعه السّيف فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسّر سيفه، ودخلوا الدّار فخرجت فاطمة، فقالت: والله لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري ولأعجنّ إلى الله! فخرجوا وخرج من كان في الدّار وأقام القوم أيّاماً، ثمّ جعل الواحد بعد الواحد يبايع، ولم يبايع عليّ إلاّ بعد ستّة أشهر»[2].

وفي «الإمامة والسّياسة»: «وإنّ أبا بكر (رضي الله عنه) تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليٍّ (كرّم الله وجهه)، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليٍّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً»[3].

وقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ تهديد بيت الرّسالة بالإحراق قد وقع بلا شكّ إلاّ أنّ ما ورد من طريق أهل البيت، الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم عن جميع الخبائث، هو تحريق بيت ريحانة رسول الله ﷺ.

ومن هنا يظهر ردّ ما قال ابن أبي الحديد، حيث قال: «فأمّا حديث التّحريق وما

---

[1] - «السقيفة والخلافة»: ص١٤.

[2] - «تاريخ اليعقوبي»: ج٢ ص١٢٦.

[3] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة الدينوري: ص١٢.

جرى مجراه من الأمور الفظيعة، وقول من قال: إنّهم أخذوا علياً ﷺ يقاد بعمامته والنّاس حوله؛ فأمرٌ بعيدٌ والشّيعة تنفرد به، على أنّ جماعة من أهل الحديث قد رووا نحوه»[١]، ومراده من أهل الحديث هو أهل الحديث من أهل السّنّة. وحاصل الرّدّ أنّ ذلك ليس بعيداً ممّن يريد رئاسة الدّنيا، لأنّ الملك عقيم.

ويؤكّد على ذلك ما قاله أبو بكر في آخر لحظات عمره: «ما آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتها وددت أنّي تركتها»[٢]، ومن الثّلاث الّتي ندم أبو بكر على فعلها هو أذيّة ريحانة رسول الله ﷺ حيث قال: «فوددت أنّي لم أكن فتّشت بيت فاطمة»، ومن الثّلاث الّتي ندم أبو بكر على فعلها هو تولية الخلافة حيث قال: «وودت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرّجلين فكان أميراً» فندامته في الأمرين كاشفة عن خطئه فيهما، لأنّ أبا بكر يعلم مقام فاطمة ريحانة رسول الله ﷺ وفضائلها، وأنّ النّبي ﷺ قال: «**فاطمة بضعة منّي وهي قلبي وهي روحي الّتي بين جنبيّ، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**»، ويعلم أنّ فاطمة خلقت من لباب ثمرة الجنّة، وأنّ رسول الله إذا كان يشتاق إلى رائحة الجنّة كان يشمّها ويقبل نحرها. فكيف لا يندم من يرى ثمرة الجنّة بين الجدران والباب المحروق، وهي تبكي، وتصيح وتقول: يا أبتاه؟

وذكر شيخ الإسلام من كبار علماء أهل السّنّة في «فرائد السّمطين» حديثاً عن أبي بكر، قال: «رأيت رسول الله ﷺ خيّم خيمة وفي الخيمة عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: **أنا سلمٌ لمن سالم أهل الخيمة وحربٌ لمن حاربهم، ووليٌّ لمن والاهم**»[٣]، فكيف لا يندم من يعلم أنّه رافضٌ لولاية أهل البيت لو لم يكن محارباً لهم؟ ويعلم أنّه أغضب فاطمة، مع العلم بأنّ رضى فاطمة رضى الله وأن غضبها

---

(١) – «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج٢ ص٢١.

(٢) – «مروج الذّهب» تأليف المسعودي: ج٢ ص٣٠١.

(٣) – «فرائد السّمطين»: ج٢ ص٣٩.

غضب الله؟

كما في «فرائد السمطين» عن النبي ﷺ: «**فمن رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيتُ عنه، ومن رضيت عنه رضي الله عنه، ومن غضبتْ عليه غضبتُ عليه، ومن غضبتُ عليه غضب الله عليه**»[1]. وقد ارتحلت ريحانة رسول الله ﷺ من الدّنيا وهي غاضبة على أبي بكر وعمر وأتباعهما.

ويؤكّد على ذلك ما جاء في «الإمامة والسّياسة»: «فقال عمر لأبي بكر (رضي الله عنهما): انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها، فلم تردّ عليهما السّلام، فتكلّم أبو بكر، فقال: يا حبيبة رسول الله أغضبناك في ميراثك منه وفي زوجك، فقالت: ما بالك يرثك أهلك ولا أرث محمّداً؟ فقال: والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي لمتّ، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله، إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورّث ما تركنا فهو صدقة، فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: **رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة ابنتي فقد أسخطني**؟ قالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ، قالت: **فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النّبي ﷺ لأشكونّكما إليه**، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمّ انتحب أبو بكر يبكي، حتّى كادت نفسه

[1] - «فرائد السّمطين»: ج٢ ص٦٧.

أن تزهق وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها، ثمّ خرج باكياً، فاجتمع إليه النّاس، فقال لهم: يبيت كلّ رجلٍ منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي»[١].

ويظهر من هذه القصّة أنّ أبا بكر وعمر قد أغضبا فاطمة ﷺ وقد ندم أبو بكر حينما تيقّن بالموت لأمرين:

أحدهما: ما فعله في حقّ أهل البيت من الإهانة.

الثّاني: توليته للخلافة، وندامته على تولية الخلافة كاشفة عن عدم استحقاقه لها، إذ كيف تعقل النّدامة على الخلافة ممّن يستحقّها، بل تجب توليتها على من يستحقّها؟! نعم، لا يستحقّ الخلافة من يعتريه الشّيطان، وأبو بكر يعترف بأنّ له شيطان يعتريه، حيث قال في خطبة له: «واعلموا أنّ لي شيطاناً يعتريني أحياناً»[٢].

ومن الضّرورة أنّه لا يمكن أن يكون من يعتريه الشّيطان خليفةً للرّسول المعصوم الّذي لا ينطق عن الهوى بشهادة ربّه تعالى: ﴿وما يَنطِقُ عَنِ الهَوَى • إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى • عَلَّمَهُ شَدِيدُ القِوَى﴾[٣]، إذ يجب أن يكون خليفة الرّسول مماثلاً له من حيث العلم والعمل والأخلاق، بحيث لو رآه أحدٌ فكأنّما رأى الرّسول ﷺ فخليفة الرّسول يجب أن يكون من المعصومين.

ولا يعقل أن يكون خليفة الرّسول ممّن اتّبع الشّيطان، وكان للشّيطان عليه سلطان بل يجب أن يكون من عباد الله الّذين ليس للشّيطان عليهم سلطان كما قال تعالى مخاطباً الشّيطان: ﴿إِنَّ عِبادي لَيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

---

[١] ـ «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة الدينوري: ص١٣.

[٢] ـ «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة الدينوري: ص١٦، و«طبقات ابن سعد»: ج٣ القسم الأوّل ص١٣٩.

[٣] ـ سورة النّجم: ٣-٥.

الغاوين • وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين ﴾[1]، فكيف يمكن أن يكون من يتنزّل عليه الشّيطان خليفة لمن ينزل عليه الملك، مع العلم بأنّ الشّيطان بئس القرين والملك نعمَ المعين كما قال: ﴿ومن يكن الشّيطان له قريناً فساء قريناً ﴾[2] فمن الواجب أن يكون خليفة الرّسول معصوماً، كي لا يتمكّن الشّيطان من أن يغويه أو يوحي إليه زخرف القول، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾[3].

نعم، قد يجب أن يكون نائب الرّسول ﷺ مثل الرّسول من حيث العلم والعمل والعصمة والتّقوى، وليس إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ أجمع المؤرّخون من السّنّة والشّيعة على أنّ عليّاً عليه السلام أعلم النّاس بعد النّبي ﷺ، فلا شكّ بأنّ الإمام عليّ عليه السلام أعلم من جميع الصّحابة، حيث كان يكرر دائماً على المنبر ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني».

يقول حجّة الإسلام الغزالي، وهو مورد الاعتماد عند أهل السّنّة في كتاب «سرّ العالمين»: «لو لاحظتم كلتا العبارتين حيث يقول أحدهما» -وهو الخليفة الأوّل- أقيلوني فإنّي لا علم لي»، والآخر -وهو علي عليه السلام: - «سلوني قبل أن تفقدوني» فعندما تقارن بين الجملتين سيتّضح لكم من هو نائب الرّسول ووارث علمه.

ويروي ابن أبي الحديد عن المدائني قال: خطب علي عليه السلام فقال: «لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهلٍ أو جبلٍ إلاّ وأنا عالم متى أنزلت وفيمن أنزلت».

---

[1] - سورة الحجر: ٤٢و٤٣.

[2] - سورة النّساء: ٣٨.

[3] - سورة الأنعام: ١١٢.

وقد عرفت من الجملتين علم عليّ ﷺ وجهل أبي بكر، فنذكر ما فعلاه بعد تولية الخلافة، كي تعرف الفرق بين عقليتهما، هذا علي ﷺ ينادي ويقول: «لإمرتكم هذه أزهد عندي منها إلاّ أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً».

وهذا أبو بكر كتب إلى أبيه بعد أن استلم الحكم: «من أبي بكر خليفة رسول الله إلى أبيه (أبي قحافة): أمّا بعد: فقد بايعني النّاس لأنّي أكبر سناً، فبايع أنت كذلك!»، وقد أجابه أبو قحافة على رسالته وكتب له: «وصلتني رسالتك المتناقضة فأنت تقول في أوّلها بأنّك خليفة رسول الله، ثمّ تقول بعد ذلك بانّ النّاس قد جعلوني خليفة، وهذا يعني أنّك خليفة النّاس ولست خليفة رسول الله.

هذا إضافة إلى أنّك كتبت تقول: إنّهم بايعوك لأنّ سنّك أكبر من أيّ واحد منهم، فلو كان الميزان والملاك هو السّنّ فأبوك أكبر منك سنّاً فأكون أولى بالخلافة منك»، وكان أبو قحافة من الّذين لم يبايعوا أبا بكر.

نعم، الفرق بين ما فعلاه أظهر من الشّمس حيث أنّ علي بن أبي طالب ﷺ احتقر بالخلافة زهداً، ولكنّ أبا بكر افتخر بها حتّى على أبيه، وليس البعيد منه أن يفتخر بالرّئاسة، لأنّه من أهل الدّنيا، وعادة أهل الدّنيا هو الافتخار بالدّنيا وما فيها.

ثمّ إن السّبب الحقيقي في وصول أبي بكر إلى منصب الخلافة هو عمر بن الخطّاب وسياسته القاسية غاية القسوة مع أهل بيت النّبوّة، ولهذا عيّنه خليفة له من دون الشّورى، فكانت خلافة عمر بتعيين أبي بكر فقط، وهذا ينافي ما يقوله بعض أهل السّنّة من بطلان النّصّ وصحّة الاختيار والشّورى. وكيف كان، فقد لعب عمر بن الخطّاب دوراً مهمّاً في بيعة النّاس لأبي بكر، وكان الغرض من هذه الخدمة ما قاله عليّ بن أبي طالب، حينما شدّد عمر بن الخطّاب عليه لأخذ البيعة لأبي بكر: «احلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم أمره ليردّه عليك غداً»، وقد قصد عليّ ﷺ من هذا الكلام عهد أبي بكر لعمر بن الخطّاب بالخلافة، وكشف

علي ﷺ بعبارته هذه تكتيك المؤامرة، فكأنّ عمر بن الخطّاب قد جعل خلافة أبي بكر وسيلة وطريقاً للفوز بالخلافة، فعمل بكلّ قسوة وغلاظة لتثبيت دعائم خلافة أبي بكر ليمهّد طريق الخلافة له بتوصية أبي بكر فقط، ويعلم عمر بن الخطّاب أنّ سياسته القاسية في توطيد الخلافة لأبي بكر كانت تَضْمَن له الخلافة بالتّأكيد عن طريق الوصية، ويعلم أيضاً أنّ مثله الّذي يتميّز بالقسوة والرّهبة والغلاظة لا يصل إلى الخلافة عن طريق الاختيار.

ويؤكّد على ذلك ما في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: «فلما فرغ من الكتاب» أي كتاب عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطّاب «دخل عليه قوم من الصّحابة منهم طلحة، فقالوا: ما أنت قائل لربّك غداً، وقد ولّيت علينا فظّاً غليظاً، تفرق منه النّفوس، وتنفضّ عنه القلوب»[1]، ومن الواضح أنّ عمر بن الخطّاب غير صالح لأن يكون خليفة الرّسول ﷺ ونائباً عنه لأنّ النّائب يجب أن يكون مماثلاً للمنوب عنه من حيث العلم والأخلاق وعمر بن الخطّاب يبعد عن الرّسول ﷺ كمال البعد علماً وأخلاقاً.

نعم، يجب أن يكون خليفة الرّسول متخلّقاً بالأخلاق الفاضلة، إذ لقد كانت غاية الإسلام عظيمةً بتربية الأخلاق الفاضلة في الفرد والجماعة.

وقد عبّر الرّسول ﷺ عن هذه العناية أبلغ تعبير، حيث قال ﷺ: «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»، وكان من خير ما امتدح الله به رسوله الكريم حيث قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2] لأنّه تربية الله الّذي اصطفاه وأدّبه فأحسن تأديبه وإنّك لتجد في كلّ آية من القرآن دعوة إلى أصل من أصول الخلق الحسن، وتجد كلّ مبدأ إسلامي يرشدك إلى نمط من أنماط مكارم الأخلاق، وتجد أنّ مهمة

---

[1] - «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج١ ص١٦٤.

[2] - سورة القلم: ٤.

دعوة نبيّنا محمّد ﷺ هي مهمّة أخلاقيّة، وهي تذكية النّفوس وتطهيرها من الشّهوات، يعني شهوة حبّ الرّئاسة، وشهوة السّيطرة على الآخرين وشهوة الفرج والبطن. ويؤكّد على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عليهمْ آياتِهِ وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها وَصَلِّ عليهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عليمٌ﴾[2].

وتبلغ هذه الرّوعة أقصى غاياتها عندما يرجع القرآن الكريم نجاح النّبي ﷺ في دعوته إلى مسألة أخلاقيّة كقوله تعالى: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[3].

فلو كانت الشّورى هي الطّريقة الوحيدة لتعيين الخليفة، كما يدّعيها أهل السّنّة، فلماذا تركها أبو بكر، وخالف قوله تعالى: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾؟ والسّبب واضح لأنّ أبا بكر يعلم أنّ نتيجة الشّورى هي عدم نجاح عمر بن الخطّاب فيما يرام، وقد اشترك معه في مؤامرة السّقيفة، وأتعب نفسه في توطيد الخلافة، فعمل أبو بكر بما هو المخطّط له بينهما مسبقاً، فولّى على المسلمين من لا يرحمهم طبقاً لذلك المخطّط وقد أظهر المسلمون كراهتهم لعهد الخلافة إلى عمر بن الخطّاب، كما عرفت، لأنّ عمر لم يرحم أهل بيت الرّسالة، فكيف يرحم غيرهم؟

ولم ينس المسلمون ما ارتكبه عمر بن الخطّاب في حقّ أهل بيت النّبي ﷺ، حيث أضاف عليهم مصائب فوق مصيبتهم بفقد رسول الله ﷺ بدلاً عن تسليتهم، فيكرّر عليهم التّهديد، تارةً بإحراق البيت، وأخرى بقتل عليّ بن أبي طالب ابن عمّ

---

[1] - سورة آل عمران: ١٦٤.

[2] - سورة التّوبة: ١٠٣.

[3] - سورة آل عمران: ١٥٩.

عمّ رسول الله ﷺ متجاهلاً قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً﴾[1]، ولابدّ من ذكر مقطع من التّاريخ كي لا يتوهّم الكذب.

جاء في «الإمامة والسّياسة»: «فمشى عمر ومعه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع، وأكبادهم تتفطّر، وبقي عمر ومعه قوم، فاخرجوا عليّاً، فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع، فقال: **إن أنا لم أفعل فمه؟** فقالوا: إذاً والله الّذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك، قال: إذاً، **تقتلون عبد الله وأخا رسوله**، قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا»[2] متجاهلاً قول الرّسول مخاطباً لعليّ: «**أنت أخي وأنا أخوك في الدّنيا والآخرة**»[3]، والسّر في إنكار عمر بن الخطّاب كون عليّ عليه السلام أخاً للرّسول ولم ينكر كونه عبداً لله هو أنّ في الأخوّة رمز الخلافة، عمر لم ينس قول النّبي في أوائل البعثة حيث قال ﷺ: «**فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟**».

نعم قد لاقت فاطمة ريحانة رسول الله ﷺ من صحابة الرّسول ﷺ ما لاقت من المحن والآلام وكانت تبكي أباها بمرارة وتقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزّمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو أنّها ... صبّت على الأيام صرن لياليا.

---

[1] - سورة المائدة: ٣٢.

[2] - «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة الدّينوري: ص١٣.

[3] - «جامع التّرمذي»: ج٢ ص٢١٣، و«مستدرك الحاكم»: ج٢ ص١٩٩، و«الاستيعاب»: ج٢ ص٤٦٠ نقلاً عن عليّ في الأحاديث النّبوية: ص٧٤.

حتّى غادرت هذه الدّنيا الزّائفة، وهي تحمل في طيّات قلبها أكثر من شكوى، وعلى أضلاعها أكثر من مصاب، وفي عينها أكثر من جراح.

وأمّا كون عمر بعيداً عن الرّسول من حيث العلم فلا يحتاج إلى البيان، بل يكفي فيه ما ورد من أهل السنّة في عدّة موارد من أنّ الخليفة الثّاني قال في أكثر من سبعين مورداً: «لولا عليّ لهلك عمر»[١]. فكيف يمكن أن يكون من لا يشابه الرّسول من حيث العلم والعمل والأخلاق والعصمة خليفة له؟!.

وهناك أمران يدلاّن على خشونة عمر بن الخطّاب وقسوته وغلظته.

الأوّل: ما سبق من اتّهامه رسول الله بالهجر والهذيان بقوله: «إنّ الرّجل ليهجر»[٢]، فإنّ القلب يعطف على المريض ويرقّ له إذا كان المريض شخصاً عاديّاً، فكيف إذا كان المريض من أشرف الأنبياء، وكان مرضه مرض الوفاة؟!!.

الثّاني: تنفيذ مؤامرته لإيصال عثمان إلى الخلافة تحت غطاء الشّورى السّداسيّة وتحت إرهاب السّيوف الشّاهرة، وكان يبتغي بذلك صرف الخلافة عن آل رسول الله ﷺ. وقد أمر عمر بن الخطّاب أبا طلحة الأنصاري أن يختار خمسين رجلاً من الأنصار يقومون معه شاهرين سيوفهم على رؤوس السّتة وهم عليّ وعثمان وعبد الرّحمن وسعد والزّبير وطلحة حتّى يختاروا رجلاً منهم في ثلاثة أيّام من موته، فإن أبى واحد أو اثنان من السّتة فيُضرب عنقه بالسّيف.

وإن لم يتّفقوا على واحد منهم فاضربوا أعناق السّتة، وإن افترقوا ثلاثة ثلاثة فالخليفة في الّذين فيهم عبد الرّحمن، واقتلوا أولئك إن خالفوا.

ونتيجة هذا التّكتيك هو استخلاف عثمان مائة بالمائة، فإنّ سعداً لا يخالف عمّه عبد الرّحمن أبداً، وعبد الرّحمن كان صهر عثمان فلا يختلفان أبداً، فأولئك هم الّذين فيهم عبد الرّحمن. ثمّ قال عمر بن الخطّاب: فإن اختار رجلان رجلاً

---

[١] ـ «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج١٢ ص٢٠٤.

[٢] ـ «صحيح البخاري»: ج٢ ص١١٨.

ورجلان رجلاً آخر فكونوا مع الّذين فيهم عبد الرّحمن. ومن البديهي أنّه لا ينفع وقوف الزّبير وطلحة إلى جانب عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد انضمام سعد وعبد الرّحمن إلى عثمان مائة بالمائة.

وحينئذ لم يبق فرق بين أن يعهد بالخلافة إلى عثمان توّاً ومباشرة، أو يفعل ما فعل من الحصر والتّرتيب المؤدّي إلى خلافة عثمان فقط، وهذا بعيد عن الشّورى كمال البعد. فكيف يمكن أن يسمّى ما أمره عمر بن الخطّاب بالشّورى؟!.

وأمره هذا لم يكن إلاّ عهد بالخلافة إلى عثمان فقط، ويا ليته عهد بها إليه من دون الشّورى تحت سيوف شاهرة، حتّى لا يسجّل التّاريخ تهديده بضرب أعناق السّتّة، وفيهم أشرف الخلق بعد النّبي صلى الله عليه وآله، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلا يطعن على الإسلام، لأنّ الاستخفاف بدمائهم يؤدّي إلى الاستخفاف بالإسلام عند الشّرق الملحد والغرب المشرك. فعلى عمر بن الخطّاب أن يتحمّل مسؤوليّة قتل عثمان حيث فتح الطّريق باستخفافه بدماء السّتّة.

نعم، تمّت البيعة لعثمان بهذه الشّورى الّتي كانت قد جمعت بين المتناقضات والمنكرات، إذ لو جاز قتل السّتّة فلماذا اختارهم للخلافة وجعل أمر المسلمين في أيديهم؟

ولماذا رجّح الثّلاثة الّذين فيهم عبد الرّحمن على الّذين فيهم عليّ عليه السلام؟!

ولماذا لم يجعل الأمر في يد عبد الرّحمن من البداية؟

ولماذا عدل عن طريقة الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله من ترك الأمر شورى بين جميع المسلمين، كما يزعم أهل السّنّة؟!

ولماذا لم يختر من هو الأصلح عنده كما فعل أبو بكر؟.

والجواب عن هذه الأسئلة واضح، لأنّ الهدف من الشّورى على كيفيّة خاصّة كان صرف الخلافة عن آل الرّسول، وفي نفس الوقت جعل عمر نفسه بعيداً عن انتقادات المسلمين عليه.

إذ من البديهي أنّ ترجيحه الثّلاثة الّذين فيهم عبد الرّحمن يضمن خلافة عثمان، كما أنّ أصل الشّورى مع ترك اختيار من هو الأصلح عنده يضمن دفع الانتقادات.

وكان تركه جعل الأمر في يد عبد الرّحمن من الأوّل خوفاً من طعن المسلمين عليه، كما طعنوا على أبي بكر. ثمّ إنّ الشّورى بين جميع المسلمين كانت تؤدّي إلى غير ما يرام.

نعم لم يكن عند الإمام عليّ عليه السلام إلاّ الصّبر على هذه، كما صبر من قبل على غيرها، ويؤكّد على ذلك قوله عليه السلام: **«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى... فسدلتُ دونها ثوباً... فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا... حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها ابن الخطّاب بعده... فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة... فوا عجباً بينما هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطرا ضرعيها»**[1].

وبعدما وصل عثمان إلى الخلافة، بدّل سيرة من مضى باختيار الولاة الفسقة الفجرة، وبخاصّة أولئك الّذين كانت لهم أو لآبائهم سيرة غليظة معروفة في محاربة الإسلام.

وأوّل عمل قام به عثمان هو تعيين ذويه وأقربائه من الأمويّين وآل أبي معيط مستشارين وأمراء على الأمصار، وإيثارهم بأموال المسلمين.

فبينما كانت أكثريّة المسلمين تعيش على الطّوى ويحرم القسم الكبير منها حقّه في بيت المال. كان المقرّبون إلى عثمان غارقين في ترفهم وثرائهم وإسرافهم إلى الأذقان كما ذكرت كتب التّاريخ، حيث جاء في «مروج الذّهب» للمسعودي: حيث قال وفي أيّام عثمان: «اقتنى جماعة من أصحابه الضّياع والدّور، منهم:

---

[1] - «شرح النهج» لابن أبي الحديد: ج١ ص١٥١.

الزّبير بن العوّام، حيث بلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلّف الزّبير ألف فرس وألف أمة».

«وكذلك طلحة بن عبد الله التّيمي، وكان غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ألف».

«وكذلك عبد الرّحمن بن عوف الزّهري ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه ألف فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً»[1].

نعم، لم يقف تمزيق عثمان لأموال المسلمين عند تفريقه إيّاها على الأصهار وذوي القرابة، بل إنّما تعدّاه إلى الأصدقاء والمقرّبين والأتباع.

ويكفي في شناعة ما ارتكبه عثمان أنّه جعل من هو معروف بشرب الخمر كالوليد بن عقبة والي الكوفة. ويكفي في كون الوليد فاسقاً غير مبالٍ بالدّين ما في «مروج الذهب» للمسعودي من: «أنّ الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنّيه من أوّل الليل إلى الصّباح، فلمّا أذنه المؤذّنون بالصّلاة خرج متفضّلاً في غلائله، فتقدّم إلى المحراب في صلاة الصّبح، فصلّى بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟»[2]

وقيل: إنّه قال في سجوده -وقد أطال-: اشرب واسقني، فقال له بعض من كان خلفه في الصّفّ الأوّل: «ما تزيد لا زادك الله من الخير، والله لا أعجب إلاّ ممّن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً». وموقفه الغليظ من عبد الله بن مسعود وأبي ذرّ الغفاري وعمّار بن ياسر معروف لدى من له أدنى خبرة في التّاريخ، وذكرنا هذا من باب التّمثيل، فانتظر التّفصيل في محلّه. وكيف يقبل العقل أن يكون من يقدّم الفجّار على الأبرار خليفة رسول الله ﷺ؟!!.

---

[1] - «مروج الذّهب» للمسعودي: ج٢ ص٣٣٢.

[2] - «مروج الذّهب» للمسعودي: ج٢ ص٣٣٥.

السّادس : تبرير الخلافة لغير عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعدم نصّ من النّبي ﷺ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قال الباقلاني : «والّذي يدلّ على إبطال النّصّ أنّه لو نصّ النّبي ﷺ على إمام بعينه ، وفرض طاعته على الأمّة دون غيره وقال لهم : هذا خليفتي والإمام من بعدي ، فاسمعوا وأطيعوا ، لكان ذلك بمحضر من الصّحابة أو الجمهور منهم ، أو بحضرة الواحد والاثنين ، فإن كان ذلك قد أعلن ذلك وأظهره ، وجب أن ينقل ذلك نقل مثله ممّا شاع وذاع ، من نحو الصّلوات وفرض الحجّ والصّيام وغيرها من العبادات الّتي لا اختلاف بين الأمّة في أنّها مشروعة مفروضة في دين النّبي ﷺ ، ولاسيّما إن كان فرض الإمامة من الفرائض العامّة لكلّ أحد في عينه ، وكان النّصّ من النّبي ﷺ أمراً عظيماً وخطراً جسيماً ، لا ينكتم مثله ، ولا يستر عن النّاس علمه ، مع العلم بأنّ الأمّة قد نقلت بأسرها تولية النّبي ﷺ الإمارة لزيد بن حارثة ولأسامة بن زيد وعبد الله بن رواحة وغير هؤلاء من أمرائه ، حتّى لم يذهب علمه على أحد من أهل العلم والأخبار .

والنّصّ منه على إمام على صفة ما تدّعيه الشّيعة من التّصريح والإظهار أعمّ وأخطر من تولية الأمراء وتوفّر الدّواعي على نقله أكثر ، ولو كان الأمر كذلك لوجب أن يعلم ضرورة صدق الشّيعة فيما تنقله من النّصّ ، وأن لا يوجد لهم مخالف من الأمّة ، كما لا يوجد فيها من ينكر فرض الصّلاة والصّيام وإمرة أسامة بن زيد وزيد بن حارثة .

وعلمنا بأنّ جمهور الأمّة والسّواد الأعظم ينكر ذلك ويجحده ويبرأ من الدّائن به ، أوضح دليل على سقوط ما ذهبوا إليه وبطلانه»[1] .

---

(١) - «التّمهيد» : ص١٦٥ .

وقد سلك هذا المسلك جميع علماء أهل السّنّة، ثمّ طعنوا على الشّيعة الإمامية بالكذب والدّجل، إلاّ أنّ طعنهم على الشّيعة بالكذب والدّجل يرجع إلى أنفسهم، وذلك لوجود النّصوص المتواترة الموجودة في كتبهم على خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وإليك بعض هذه النّصوص:

قال النّبي صلى الله عليه وآله: **«من أحبّ أن يتمسّك بديني ويركب سفينة النّجاة بعدي فليقتد بعليّ بن أبي طالب، وليعاد عدوّه وليوال وليّه، فإنّه وصيّي وخليفتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كلّ مسلم وأمير كلّ مؤمن بعدي، قوله قولي وأمره أمري، ونهيه نهيي، وتابعه تابعي، وناصره ناصري، وخاذله خاذلي»** إلى قوله صلى الله عليه وآله: **«من فارق عليّاً بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن خالف عليّاً حرّم الله عليه الجنّة وجعل مأواه النّار، ومن خذل عليّاً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر عليّاً نصره الله يوم يلقاه ولقّنه حجّته عند مسألة القبر»**[١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«عليّ بن أبي طالب خليفة الله وخليفتي، وخليل الله وخليلي، وحبيب الله وحبيبي وحجّة الله وحجّتي وباب الله وبابي»**[٢].

قال النّبي صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: **«أنت الخليفة من بعدي»**[٣].

عن حارثة بن زيد عن عمر بن الخطّاب، قال: يا حارثة دخلت على رسول الله وقد اشتدّ وجعه، وأحببت الخلوة به، وكان عنده عليّ بن أبي طالب والفضل بن العبّاس، فجلست حتّى نهض ابن العبّاس وبقيت أنا وعليّ فتبيّن لرسول الله ما أردت، فالتفت إليّ وقال جئت لتسألني إلى من يصير هذا الأمر من بعدي؟! قلت: صدقت يا رسول الله، فأشار صلى الله عليه وآله إلى عليّ وقال: **«يا عمر هذا وصيّي وخليفتي**

---

[١] - «فرائد السّمطين» تأليف شيخ الإسلام الجويني: ج١ ص٥٤

[٢] - «المناقب» لابن المغازلي الشافعي.

[٣] - «شرح المقاصد» للتّفتازاني: ج٢ ص٢١٣.

من بعدي، هذا خازن سرّي، فمن أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن تقدّم عليه فقد كذّب بنوّتي» ، ثمّ أدناه فقبّل بين عينيه ، وقال: «**وليّك الله وناصرك والى الله من والاك فأنت وصيّي وخليفتي من بعدي في أمّتي**»[١].

«قال حارثة : فتعاظمني ذلك فقلت : ويحك يا عمر كيف تقدّمتموه وقد سمعت ذلك من رسول الله ؟!! فقال عمر : يا حارثة بأمر كان! فقلت : من الله أم من رسوله أم من عليّ؟ فقال : لا ، بل الملك عقيم والحقّ لابن أبي طالب»[٢].

ومن كلام عمر بن الخطّاب حيث قال : «بل الملك عقيم» يظهر بطلان قياس الباقلاني ، حيث قاس النّص في الأحكام الفرعيّة ، كالصّوم والصّلاة ، بالنّصّ في الرّئاسة العامّة كالخلافة والإمامة ، لأنّ نقل النّصّ على وجوب الصّوم والصّلاة وغيرهما لا يضرّ برئاسة من يدّعيها ، أو يدّعي شرعيّة خلافة الخلفاء الرّاشدين . وأمّا نقل الأحاديث على خلافة عليّ بن أبي طالب يستدعي عدم شرعيّة خلافة غير عليّ بن أبي طالب (ع) .

ويؤكّد على ذلك ما قاله معاوية في اجتماع الكوفة بعد عقد معاهدة الصّلح بينه وبين الإمام الحسن (ع) ، حيث قال معاوية : «يا أهل الكوفة ، أترونني قاتلتكم على الصّلاة والزّكاة والحجّ ، وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ولكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم وإلى رقابكم ، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون!

ألا إنّ كلّ دم أصيب في هذه الفتنة مطلول ، وكلّ شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين!!»[٣] ، وهذا الكلام من معاوية إنّما يؤكّد على تمرّده على الدّين ، وتجاهله

---

[١] ـ «در بحر المناقب» لابن حسنوية الموصلي الحنفي : ص٦٠ .

[٢] ـ «صلح الحسن» تأليف راضي آل ياسين : ص٢٥٨ .

[٣] ـ «صلح الحسن» تأليف راضي آل ياسين : ص٢٨٥ .

عن قول سيد الأنبياء والمرسلين: «المؤمنون عند شروطهم»، وكذلك يؤكّد على تجاهله عن قوله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً﴾[1].

ومعاوية بن أبي سفيان يريد السّلطة والإمارة قبل كلّ شيء. نعم، إنّ الأحكام الفرعيّة، كالصّوم والصّلاة والحجّ، لا تشكّل خطراً ولا تهديداً على سلطان من يريد أن يتأمّر على المسلمين، ولذلك لم يقع الخلاف في مشروعيّتها.

وأمّا الأحاديث الّتي تتعلّق بالخلافة، فأصحاب الهوى والملك يحرّفونها أو يمنعون عن نقلها وتداولها. فعمر بن الخطّاب مثل معاوية، يريد أن يتأمّر على المسلمين مع علمه بقول النّبي ﷺ: «طاعة عليّ طاعتي وطاعتي طاعة الله عزّ وجلّ»[2].

السّابع: تبرير خلافة أبي بكر بحديث السّقيفة بأن يقال: إنّ عليّاً عليه السلام لم يحتجّ آنذاك بالنّصّ، بل احتجّ بالقرابة، حينما قيل له: بايع لأبي بكر.

فقال: «أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله ﷺ، فأعطوكم القيادة، وسلّموا إليكم الأمارة، أنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثلما عرفته الأنصار لكم وإلاّ فبوّؤوا بالظّلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع، فقال عليّ عليه السلام: احلب يا عمر حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره ليردّه عليك غداً، لا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك، فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنّك حدث السّنّ، وهؤلاء مشيخة قريش ليس لك تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى

---

[1] - سورة الإسراء: ٣٤.

[2] - «فرائد السّمطين» للجويني: ج١ ص١٧٨.

أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً له واضطلاعاً به، فسلّم له هذا الأمر وارض به، فإنّك إن تعش ويطل عمرك فأنت بهذا الأمر خليق، وبه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك ودينك وعلمك وفهمك، فقال عليّ: **«يا معشر المهاجرين الله الله لا تخرجوا سلطان محمّد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ولا تدفعوا أهله عن مقامه في النّاس، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحقّ النّاس به منكم لأنّا أهل البيت.»**

أما كان منّا القارئ كتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسّنّة المضطلع بأمر الرّعيّة، المدافع عنهم الأمور السّيئة، القاسم بينهم بالسّويّة؟ والله إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا عن الحقّ بعداً. فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنّهم قد بايعوا، وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع، ولزم بيته حتّى ماتت فاطمة فبايع»[1].

فذكرنا من حديث السّقيفة ما له علاقة فيما نحن فيه، وتركنا ذكر تمام الحديث تجنّباً عن التّطويل. ثمّ تبرير خلافة أبي بكر بهذا الحديث حيث قالوا: إنّ الحديث المذكور يدلّ على بطلان ما يدّعي الإماميّة من النّصّ على أمير المؤمنين وغيره، لأنّه لو كان هناك نصّ صريح لاحتجّ به، ولم يجر للنصّ ذكر، وإنّما كان الاحتجاج منه عليه السلام ومن أبي بكر بالقرابة فقط، فعلى فرض وجود النّصّ على خلافة عليّ عليه السلام لاحتجّ به عليّ بن أبي طالب أو ذكره من كان من شيعته وحزبه.

وهذا التّبرير مردودٌ لأمور:

الأوّل: إنّ حديث السّقيفة الّذي روي من طرقنا يشتمل على زيادات، من جملتها ذكر النّصّ على خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد أسقطه محدّثوا القوم

---

[1] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة الدّينوري: ص١١ و١٢.

من الخبر لتصريحه بمذهب الإماميّة. وعلى فرض عدم ذكر النّصّ، كان عدم ذكره لعدم الفائدة فيه. لأنّ عليّاً عليه السلام كان يعلم مؤامرة القوم على صرف الخلافة عنه، إذ لولا مؤامرتهم على ذلك لما تهافتوا إلى السّقيفة قبل دفن النّبي صلى الله عليه وآله. مع أنّهم كانوا يعلمون كلّ شيء، ولم ينسوا حديث الغدير، ولا رواية الثّقلين ولا غيرهما من النّصوص الصّريحة على خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ويؤكّد على مؤامرتهم نفس حديث السّقيفة حيث يشتمل على التّهديد بإحراق بيت الرّسالة تارةً، والتّهديد بقتل عليّ بن أبي طالب أخرى، كما سبق ذلك.

إذ لازم المؤامرة هو التّهديد أو العناد والعصبيّة. والحديث قد صرّح بأنّهم قد سلكوا طريق العناد والعصبيّة ولم يسلكوا مسلك الرّشاد والحقّ، وذلك أنّهم احتجّوا على الأنصار بالقرابة من النّبي صلى الله عليه وآله وأخرجوا الأمر منهم بهذه الحجّة.

ولمّا احتجّ أمير المؤمنين عليهم بها أعرضوا عن قبولها، لأنّ القرابة في هذا المقام كانت ضربة قاسية على المؤامرة، فأجاب بعضهم، بأنّك حدث السّنّ وهؤلاء مشيخة قريش ليس لك تجربتهم ومعرفتهم بالأمور... إلخ، فيقال في ردّه:

أولاً: إنّكم لم تحتجّوا على الأنصار بشيخوخة أبي بكر، بل احتججتم بقربه من النّبي صلى الله عليه وآله، ويقول عليّ بن أبي طالب: أنا أقرب منكم.

وثانياً: أين كبر السّنّ يوم المؤاخاة بين الصّحابة، فلماذا لم يستحقّ به أبو بكر أخوّة الرّسول صلى الله عليه وآله، واستحقّها عليّ بن أبي طالب على صغر سنّه؟ وأين التّقدّم بالسّنّ يوم تبليغ سورة براءة؟ كيف ما استحقّ به التّبليغ عن النّبي صلى الله عليه وآله؟ وأين كان ذلك يوم عمرو بن عبد ودّ؟ وأين كان ذلك يوم مرحب؟ وليست تلك الأمور إلاّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلماذا يمنع من الخلافة، وهو الشّجاع العالم التّقي النّاصر للإسلام، والمحامي عن الدّين، الفائز بالجهاد والسّبق والقرابة؟!.

وثالثاً: إنّ ما تقدم من أبي عبيدة حيث قال: «ليس لك تجربتهم ومعرفتهم بالأمور»، ليس إلاّ تغطيةً للحقّ، إذ لم تكن لهم تجربة في سياسة الأمور أو قيادة الجيوش، نعم، سجّل التّاريخ قيادة حدث السّنّ عليهم وفرارهم من الحروب.

فكيف يقدّم في أمر الخلافة بعد وفاة النّبي ﷺ من لم يسجّل التّاريخ له أيّ تقدّم في المواقف الحسّاسة في حياة النّبي ﷺ.

فلم يكن الاستيلاء على أمر الخلافة إلاّ المؤامرة على هذه الأمّة، وقد يعلم عليّ عليه السلام أنّه لا فائدة لذكر النّصّ والحال هذه، ويعلم أيضاً أنّه لو ذكره أو شهد به من هناك من شيعته، كسلمان وأبي ذرّ والمقداد وأمثالهم، لم يقبل القوم شهادتهم، فيجب الإتيان بحجّة لا يستطيع القوم إنكارها ولا الطّعن فيها، فاحتجّ عليهم بالقرابة الّتي لا يسعهم إنكارها ولا القدح فيها، لأنّها حجّتهم الّتي دفعوا بها الأنصار عن الأمر. ولذا لم ينكر منهم أحد ذلك، بل أقرّوا به وقالوا: لا نسلّم لك هذا الحقّ، لأنّك صغير السنّ، فلا حاجة لذكر النّصّ لأنّ إيراده إنّما هو لإثبات الحقّ وهم مقرّون بذلك ويؤكّد على ذلك قول أبي عبيدة لعليّ عليه السلام: «فسلّم له هذا الحقّ وارض به» فإنّ هذا الكلام صريح في أنّ الخلافة حقّ لعليّ عليه السلام، ولكن يطلب منه تسليمها لأبي بكر.

الأمر الثّاني: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام اكتفى بالإشارة إلى النّصّ بقوله: «**نحن أهل البيت أحقّ بمقامه**» فهذا القول منه إشارة إلى حديث الثّقلين وأمثاله، لأنّ الأحقّيّة في الخلافة لا تكون بدون تعيين من الرّسول ﷺ.

الثّالث: حديث السّقيفة عن طريق الإماميّة.

عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس قال: كنت عند عبد الله بن عبّاس في بيته ومعنا جماعة من شيعة عليّ عليه السلام، فحدّثنا، فكان فيما حدّثنا أن قال: يا إخوتي، توفّي رسول الله ﷺ يوم توفّي، فلم يوضع في حفرته حتّى نكث النّاس

وارتدّوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل عليّ بن أبي طالب عليه السلام برسول الله حتّى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته، ثمّ أقبل على تأليف القرآن وشغل به بوصيّة رسول الله، ولم يكن همّته الملك، لما كان رسول الله أخبره عن القوم، فلمّا افتتن النّاس بالّذي افتتنوا به من الرّجلين، فلم يبق إلاّ عليّ وبنو هاشم وأبو ذرّ والمقداد وسلمان في أناس معهم يسير، قال عمر لأبي بكر: يا هذا، إنّ النّاس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرّجل وأهل بيته وهؤلاء النّفر، فابعث إليه، فبعث إليه ابن عمّ لعمر يقال له: قنفذ، فقال: انطلق إلى عليّ فقل له: أجب خليفة رسول الله، فانطلق فأبلغه، فقال عليّ عليه السلام: «ما أسرع ما كذبتم على رسول الله وارتددتم، والله ما استخلف رسول الله غيري، فارجع يا قنفذ، فإنّما أنت رسول، فقل له: قال لك عليّ: والله ما استخلفك رسول الله، وإنّك لتعلم مَنْ خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله» فأقبل قنفذ إلى أبي بكر فبلّغه الرّسالة، فقال أبو بكر صدق عليّ ما استخلفني رسول الله، فغضب عمر، ووثب وقام فقال أبو بكر: اجلس، ثمّ قال لقنفذ: اذهب إليه فقل له أجب أمير المؤمنين أبا بكر. فأقبل قنفذ حتّى دخل على عليّ عليه السلام فأبلغه الرّسالة، فقال: كذب والله، انطلق إليه، فقل له: «لقد تسمّيت باسم ليس لك، فقد علمت أنّ أمير المؤمنين غيرك» فرجع قنفذ، فأخبرهما، فوثب عمر غضباناً فقال: والله، إنّي لعارف بسخفه وضعف رأيه، وإنّه لا يستقيم لنا أمر حتّى نقتله، فخلني آتك برأسه، فقال أبو بكر: اجلس فأبى، فأقسم عليه، فجلس، ثمّ قال: يا قنفذ انطلق فقل له: أجب أبا بكر. فأقبل قنفذ، فقال: يا عليّ أجب أبا بكر، فقال عليّ عليه السلام: «إنّي لفي شغل وما كنت بالّذي اترك وصيّة خليلي وأخي، وانطلق إلى أبي بكر وما اجتمعتم عليه من الجور» فانطلق قنفذ فأخبر أبا بكر، فوثب عمر غضباناً، فنادى خالد بن الوليد وقنفذاً، فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً، ثمّ أقبل حتّى انتهى إلى باب عليّ وفاطمة عليها السلام، وفاطمة قاعدة

خلف الباب قد عصبت رأسها ونحل جسمها لوفاة رسول الله ﷺ، فأقبل عمر حتّى ضرب الباب، ثمّ نادى: يا بن أبي طالب، افتح الباب، فقالت فاطمة: يا عمر ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه، قال: افتحي الباب وإلاّ أحرقناه عليكم فقالت: يا عمر، أما تتّقي الله عزّ وجل، تدخل على بيتي وتهجم على داري. فأبى أن ينصرف، ثمّ دعا عمر بالنّار فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثمّ دفعه عمر فاستقبلته فاطمة ﷺ، وصاحت: يا أبتاه، يا رسـول الله، فرفع السّيف وهو في غمده، فوجأ به جنبها، فصرخت، فرفع السّوط فضرب به ذراعها، فصاحت: يا أبتاه، فوثب عليّ بن أبي طالب ﷺ، فأخذ بتلابيب عمر ثمّ هزّه فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله، وما أوصى به من الصّبر والطّاعة، فقال: والّذي كرّم محمّداً بالنّبوة يا بن صهّاك لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنّك لا تدخل بيتي، فأرسل عمر يستغيث فأقبل النّاس حتّى دخلوا الدّار، وسلّ خالد بن الوليد السّيف ليضرب فاطمة ﷺ، فحمل عليه بسيفه فأقسم على عليّ ﷺ كفّ، وأقبل المقداد وسلمان وأبو ذرّ وعمّار وبريدة الأسلمي حتّى دخلوا الدّار أعواناً لعليّ ﷺ، حتّى كادت تقع فتنة فأخرج عليّ ﷺ واتّبعه النّاس واتّبعه سلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار وبريدة، وهم يقولون ما أسرع ما خنتم رسول الله ﷺ وأخرجتم الضّغائن الّتي في صدوركم، وقال بريدة بن الخصيب الأسلمي: يا عمر أتيت على أخي رسول الله ووصيّه وعلى ابنته فتضربها وأنت الّذي تعرفك قريش بما تعرفك به، فرفع خالد بن الوليد السّيف ليضرب به بريدة وهو في غمده، فتعلّق به عمر ومنعه من ذلك، فانتهوا بعليّ إلى أبي بكر ملبّباً، فلمّا نظر به أبو بكر صاح خلّوا سبيله، فقال ﷺ: ما أسرع ما توثّبتم على أهل بيت نبيّكم، يا أبا بكر بأيّ حقّ وبأيّ ميراث وبأيّ سابقة تحثّ النّاس إلى بيعتك، ألم تبايعني بالأمس بأمر رسول الله، فقال عمر: دع عنك هذا يا عليّ، فوالله إن لم تبايع لنقتلك، فقال عليّ ﷺ: أما والله لولا قضاء من الله سبق وعهد عهده إليّ خليلي لست أجوزه،

لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقام بريدة فقال: يا عمر ألستما اللّذين قال لكما رسول الله: انطلقا إلى عليّ فسلّما عليه بإمرة المؤمنين فقلتما أعن أمر الله وأمر رسوله؟ فقال: نعم، فقال أبو بكر: قد كان ذلك يا بريدة ولكنّك غبت وشهدنا، والأمر يحدث بعده الأمر، فقال عمر: ما أنت وهذا يا بريدة وما يدخلك في هذا؟ قال بريدة: والله لا سكنت في بلدة أنتم فيها أمراء، فأمر به عمر فضرب وأخرج، ثمّ قام سلمان فقال: يا أبا بكر، اتقّ الله وقم عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلوا به رغداً إلى يوم القيامة لا يختلف على هذه الأمّة سيفان، فلم يجبه أبو بكر، فأعاد سلمان فقال مثلها فانتهره عمر وقال: ما لك ولهذا الأمر وما يدخلك فيما ها هنا، فقال: مهلاً يا عمر، قم يا أبا بكر عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلوا به والله خضراً إلى يوم القيامة، وإن أبيتم لتحلبن به دماً وليطمعنّ فيه الطّلقاء والطّرداء والمنافقون، والله لو أعلم أنّي أدفع ضيماً أو أعزّ لله ديناً لوضعت سيفي على عاتقي، ثمّ ضربت به قدماً. أتثبون على وصيّ رسول الله ﷺ؟ فأبشروا بالبلاء واقنطوا من الرّخاء ثمّ قام أبو ذرّ والمقداد وعمّار فقالوا لعليّ: ما تأمر، والله إن أمرتنا لنضربنّ بالسّيف حتّى نقتل، فقال عليّ عليه السلام: **كفّوا رحمكم الله، واذكروا عهد رسول الله وما أوصاكم به فكفّوا»**[1].

فهذا الحديث يشتمل على ذكر النّصّ، فتبرير خلافة أبي بكر بعدم وجود النّصّ في حديث السّقيفة مردود.

ومن هنا يظهر كذب ما ادّعاه ابن أبي الحديد وأصحابه من رضا عليّ بن أبي طالب بخلافتهم وعدم منازعته إيّاهم، وأنّه لم يطعن عليهم بظلم ولا باتّباع الهوى، وبتظاهرهم على منعه حقّاً له وقد علمت أنّ نفس حديث السّقيفة صريح في كذبه وبطلان ما ملأ كتابه به من رضا أمير المؤمنين بخلافة من تقدّم عليه. وهذا

---

(١) - «كتاب سليم بن قيس الكوفي»: ص٢٤٩-٢٥٢.

الكلام من ابن أبي الحديد يناقض ما روى في موضع آخر من كتابه حيث قال: إنّ عليّ بن أبي طالب خاطب أبا بكر في معرض الحجّة بهذين البيتين:

فإن كنت بالشّورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيّب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنّبي وأقرب[١]

الثّامن: تبرير الخلافة الرّاشدة وصحّتها بأنّ الوصاية لم تكن رواجاً عند العرب قبل الإسلام، وكانت بعيدة عن العقليّة العربيّة، فحينئذ إنّ من زعم وصاية النّبي ﷺ لعليّ بن أبي طالب في أمر الخلافة يكون زعمه مشكوكاً فيه.

أمّا بطلان هذا التّبرير فأظهر من الشّمس، إذ على فرض صحّة عدم رواج الوصاية عند العرب قبل الإسلام، فمثلها كمثل سائر الأمور الّتي لم تكن رواجاً قبل الإسلام، مثل قطع يد السّارق مثلاً. فعدم الرّواج قبل الإسلام لا يلازم عدم المشروعيّة فيه، هذا مع أنّ الإدّعاء المذكور ينافي لما ورد متواتراً من طريق أهل السّنّة من أخبار الوصاية. فنكتفي بذكر بعض هذه الأخبار كي يتّضح للقارئ الكريم ما ارتكبه بعض أعداء أهل البيت ممّن أراد صرف النّاس عنهم ﷺ وابتعاد المسلمين عن أهل بيت نبيّهم ﷺ.

«ففي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النّبي ﷺ عن وصيّه، فقال سلمان: يا رسول الله من وصيّك، فقال: يا سلمان من وصيّ موسى؟ فقال: يوشع بن نون، قال ﷺ: **وصيّي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي عليّ بن أبي طالب**»[٢].

موفّق بن أحمد أخرج حديث الوصيّة لعليّ (كرم الله وجهه) عن بريدة قال: «قال النّبي ﷺ: **لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وأنّ عليّاً وصيّي ووارثي**».

---

[١] - «شرح نهج البلاغة»: ج١٨ ص٤١٦.

[٢] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٧٧.

وأيضاً موفّق بن أحمد بسنده عن أمّ سلمة (رضي الله عنها) قالت: قال النّبي ﷺ: «إنّ الله اختار لكل نبيّ وصيّاً، وعليّ وصيّي في عترتي، وأهل بيتي وأمّتي بعدي»[١].

وأيضاً موفّق بن أحمد عن أنس نحوه، أيضاً الحمويني أخرج حديث الوصيّة عن عليّ الرّضا بن موسى (رضي الله عنهما)، أيضاً الحمويني أخرجه عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا خاتم النّبيين وأنت يا عليّ خاتم الوصيّين إلى يوم الدّين»[٢].

هذا تمام الكلام فيما تنعقد به الإمامة عند أهل السنّة، والتّبريرات الّتي أثبتوا بها شرعيّة الخلافة الرّاشدة، وقد عرفت التّناقضات فيما تنعقد به الإمامة عندهم، وفيما أثبتوا به شرعيّة خلافة الخلفاء الرّاشدين، وليس هذا إلاّ من جهة ابتعادهم عن لبّ الإسلام، وهو التّشيّع. والتّشيع عبارة عن متابعة رسول الله ﷺ، ولا تتحقق متابعة الرّسول إلاّ بالسّلوك على طريق أهل بيته، لأنّهم يعلمون ما في بيت النّبوة والرّسالة، . ويؤكّد على ذلك ما قاله النّبي ﷺ لأبي ذرّ: «يا أبا ذرّ: إن سلك النّاس وادياً، وسلك عليّ بن أبي طالب وادياً آخر فاسلك ما سلك به عليّ بن أبي طالب».

ما تنعقد به الإمامة عند الإمامية

تنعقد الإمامة عند الشّيعة الإماميّة بالنّصّ، وقد استدلّوا على أنّ الإمامة بالنّصّ لا بالاختيار بأدلّة:

الأوّل: إنّ الخلافة منصب إلهي وليس انتخابياً، فالخليفة حينئذ يحكم باسم الله لا باسم الشّعب، فيجب أن يُختار من الله بلسان نبيّه، لا من الشّعب عن طريق الانتخاب.

---

[١] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٧٧.

[٢] - نفس المصدر السّابق.

الثّاني : إنّ خليفة الرّسول يجب أن يكون بتعيين الرّسول، إذ من يختاره النّاس لا يكون خليفة رسول الله، بل هو خليفة النّاس، ويؤكّد على ذلك جواب أبي قحافة لطلب أبي بكر البيعة عنه. حيث كتب إلى أبيه: قد بايعني النّاس لأنّي أكبر سنّاً فبايع أنت كذلك»، وقد أجابه أبو قحافة على رسالته وكتب له: «وصلتني رسالتك المتناقضة، فأنت تقول في أوّلها بأنّك خليفة رسول الله، ثمّ تقول بعد ذلك بأنّ النّاس قد جعلوني خليفةً، وهذا يعني أنّك خليفة النّاس ولست خليفة رسول الله»[1]، وهذا أمر واضح يعرفه البسطاء فكيف بالعلماء، إذ لو كان من اختاره النّاس خليفة النّبي ﷺ، لكان جميع الرّؤساء في العالم الحاضر خلفاء الأنبياء والرّسل، غاية الأمر، الرّؤساء في الدّول الإسلاميّة خلفاء لنبيّنا محمّد ﷺ وإسحاق شامير في إسرائيل خليفة لموسى ﷺ، وجورج بوش في أمريكا خليفة عيسى ﷺ ولم يقل به أحد.

الثّالث : يجب أن يكون الإمام معصوماً يتمّ تعيينه من الله سبحانه بواسطة نبيه إذ لا يعلم من له هذه الصّفة إلاّ الله تعالى.

واستدلّ الإماميّة على اعتبار العصمة في الإمام بأمور:

الأوّل : إنّ العصمة شرط في النّبي باتّفاق المسلمين، لأنّ صدور الذّنب من النّبي يسقط منزلته في القلوب ويوجب عدم الوثوق بأقواله وأفعاله، وذلك ينافي الغرض المقصود من إرساله. ومن البديهي أنّ نقض الغرض قبيح من العاقل فضلاً عن الله تعالى. فكما يجب أن يكون النّبي معصوماً، فكذلك يجب أن يكون الإمام معصوماً، إذ صدور الذّنب من الإمام يوجب عدم الوثوق بأقواله وأفعاله، فلا يستطيع حفظ الدّين من الزّيادة والنّقصان، فيجب حينئذ من القول بأنّ العصمة لا تنفصل بحال عن خليفة النّبي ﷺ، كما لا تنفصل بحال عن النّبي ﷺ، لأنّ العصمة لم تجب لشخص النّبي ﷺ، من حيث هو نبيّ، وإنّما وجبت له من حيث المنصب الّذي يشغله. فالوظيفة الّتي يؤدّيها

---

[1] -« النّبوّة والإمامة» تأليف آية الله عبد الحسين دستغيب: ص١٤٥.

النّبي ﷺ تستدعي عصمته . ثمّ الخليفة هو الّذي يتولّى هذا المنصب بالذّات ما عدا تلقّي الوحي من الله ، ويقوم بنفس المهمّة الّتي قام بها النّبي ﷺ من الدّعوة إلى الله وبيان أحكامه ، كما هي في علم الله وعلم النّبي ﷺ .

الثّاني : إنّ الإمام والخليفة هو أمين المسلمين على دينهم وخازنهم على أموالهم ، فلو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه من تغيير الأحكام والمحاباة في القضاء بين المسلمين والإيثار بالمال لرغبة أو رهبة ، كما وقع لأئمّة أهل السّنّة ، فيجيء الفساد من حيث طلب الصّلاح والعدالة .

الثّالث : إنّه قد حصل الاتّفاق في النّقل عن النّبي ﷺ أنّه قال : «لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ حتّى تقوم السّاعة»[١] وحينئذ ، إن كانت تلك الطّائفة فيهم معصوم من الخطأ يرجعون إلى قوله ، ويأخذون بحكمه ، ويعتمدونه في الدّين فذلك هو المراد ، وإن لم يكن فيهم معصوم وجب أن يكونوا كغيرهم من الطّوائف ، يخطئون ويصيبون ، فلم يكونوا على الحقّ أبداً ، إذ لا خصوصيّة لهم على غيرهم من الطّوائف ، وهذا ينافي الخبر المذكور . فيجب وجود الإمام المعصوم في طائفة ، كي يكونوا معصومين عن الخطأ بمتابعة ذلك المعصوم .

الرّابع : قوله تعالى : ﴿إِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾[٢] ، وجه الاستدلال أنّ الآية تضمّنت سؤال إبراهيم الخليل ربّه القاهر الجليل أن يجعل من ذرّيته إماماً ، فأجابه الله تعالى بأنّ الإمامة ، وهو قوله ﴿عهدي﴾ لا تنال الظّالمين ، فلا يكون من جرى عليه اسم الظّلم لها أهلاً ، ولا لمقامها مستحقاً ، إذ من المعلوم ضرورة أنّ الخليل ﵇ لم يسأل الإمامة لظالم في حال ظلمه ، ولا لعاصٍ في وقت عصيانه ، وإنّما سألها لمن كان من ذرّيته في حال استقامته وصلاحه ، فأخرج الله منها الظّالم ، فيلزم أن يكون المراد بالظّالم من جرى عليه اسم الظّلم وقت ما ، فيجب من

---

[١] - أخرجه البخاري في صحيحه : ج٤ ص١٨٧ .

[٢] - سورة البقرة : ١٢٤ .

ذلك أن يكون مستحقّ الإمامة من لم يجر عليه اسم الظّلم من أوّل عمره إلى آخره، وذلك معنى العصمة، إذ مرتكب المعاصي ظالم على نفسه أو على غيره.

وهذه جملة من أدلّة عصمة الإمام، والأدلّة لا تنحصر فيما ذكرناه، وتركنا الباقي تجنّباً عن التّطويل المملّ.

فمجمل الكلام: إنّ أهل السنّة يقولون بأنّ الإمام لا يجب أن يكون عادلاً، فضلاً عن كونه معصوماً، بل يجوز أن يكون جاهلاً وفاسقاً، كما سبق الكلام فيه. وبذلك فتحوا الباب أمام كلّ فاسق وفاجر، وأطمعوا في الخلافة كلّ قريب وبعيد، حتّى تحوّلت من قريش إلى الموالي وإلى الفرس والأتراك والمغول، فقد تأمّر على المسلمين فُسّاقهم وفُسّادهم، فإن كنت في شكّ أيّها القارئ الكريم، فتصفّح تاريخ الأمويّين والعبّاسيّين حتّى تعرف أنّ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين كان يتجاهر بشرب الخمر ويلاعب القرود ويلبسهم الذّهب، وأنّ أمير المؤمنين يُلبس جاريته لباسه لتصلّي بالمسلمين، وأنّ أمير المؤمنين صلّى بالمسلمين صلاة الجمعة يوم الأربعاء وصلّى بهم الفجر أربع ركعات بعد أن كان شارباً للخمر[1].

فأهل السنّة فتحوا باب الخلافة للفسّاق والفجّار، فكيف يطمئنّ المسلم الحقيقي بعد ذلك إلى علمائهم الّذين رضيت عنهم السّلطة الحاكمة، لأنّهم أفتوا بما يلائم أهواءهم؟! وبدلاً من تعاطفهم مع علماء الإماميّة أفتوا على حرمة قراءة كتبهم بحجّة أنّها كتب ضلال، ولم يفتوا بأنّ كتب الشّيوعية الملحدة كتب ضلال!! مع علمهم بأنّه لا ذنب للإماميّة إلاّ متابعتهم لأهل البيت في إغلاق باب الخلافة على غير من اختاره الله ورسوله، لأنّ الخلافة هي باختيار الله سبحانه وتعيين رسوله ﷺ بعد وحي يوحى إليه، وهذا يتماشى تماماً مع فلسفة الإسلام في كلّ أحكامه وتشريعاته، لأنّ الله هو الّذي ﴿يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾[2]. ويؤكّد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَما كانَ

---

[1]- «حقيقة الشّيعة»، تأليف أسعد وحيد القاسم: ص٧٧، و«لأكون مع الصّادقين» تأليف الدكتور محمّد التيجاني: ص٦٥.

[2]- سورة القصص: ٦٨.

لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[1] . وليس هناك أمر أهمّ من الخلافة في الإسلام .

وبما أنّ الله تعالى أراد أن تكون أمّة محمّد خير أمّة أخرجت للناس ، فلابدّ لها من قيادة حكيمة رشيدة قويّة شجاعة عالمة تقيّة زاهدة في أعلى درجات الإيمان ، وهذا لا يتأتّى إلاّ لمن اصطفاه الله تعالى للقيادة والزّعامة . قال تعالى : ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾[2] .

ومن هنا تظهر الحقيقة لمن يريدها ، ويعلم من دون شك أنّ الحقيقة فيما يقول به الإماميّة ، من أنّ الخلافة لا تنعقد إلاّ بالنّصّ من الرّسول ﷺ ، وقد وقع النّصّ على عليّ بن أبي طالب ﷺ ، ويؤكّد على ذلك وجود النّصوص الصّحيحة في كتب أهل السنّة على خلافة عليّ بن أبي طالب ﷺ . فانتظر تفصيل ذلك .

ومع جلاء الحقيقة ووضوحها يتّهم علماء أهل السنّة الإمامية بكلّ التّهم ، ويقذفونهم بما شاؤوا وينبذونهم بشتّى الألقاب تجاهلاً عن قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾[3] ، وقول النّبي ﷺ : «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة والبذاء من الجفاء والجفاء في النّار»[4] .

«الحياء من الإيمان» في أنّه يمنع من المعاصي ، كما يمنع الإيمان .

«والإيمان في الجنّة» أي يوصل إليها .

«والبذاء» أي الفحش في القول .

«من الجفاء» أي الطّرد والإعراض وترك الصّلة والبرّ .

«والجفاء في النّار» أي يؤدّي إليها .

---

[1] - سورة الأحزاب : ٣٦ .

[2] - سورة الحجّ : ٧٥ .

[3] - سورة الهمزة : ١-٤ .

[4] - «المصطفى من أحاديث المصطفى» تأليف مصطفى طلاّس : ص٢٩٥ .

الفصل الثّاني

في إثبات خلافة عليّ بن أبي طالب ﷺ

وقد استدلّ الإماميّة على خلافة عليّ بالكتاب والسّنّة

وقبل الاستدلال بالكتاب والسّنّة على خلافة عليّ ﷺ نبيّن الفرق بين الحكومة الإسلاميّة والحكومات المعاصرة.

وهو أنّ الحكومة بشكل عام تبتني على قوانين معيّنة، ثمّ تقنين تلك القوانين وتشريعها في الحكومات المعاصرة، إنّما هو بيد البشر أنفسهم، فيضعوا القوانين على طبق ما تقتضيه أهواؤهم وشهواتهم. وهذه القوانين تُبدل بما يشابهها إذا ما قضت بتلك القوانين أهواؤهم وأغراضهم.

وهذا بخلاف الحكومة الإسلاميّة، حيث يكون تشريع القانون فيها بيد الله تعالى، فيجب أن يكون تنفيذه في يد من اختاره الله من الأنبياء والأوصياء.

والدّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2].

فإنّ الحكم في التّصوّر الإسلامي لله تعالى لا لغيره، وإنّ الله يريد أن تكون حكومته عالميّة زماناً ومكاناً، وفوق كل جيش ووطن وقوميّة، كما يؤكّد على ذلك

---

[1] - سورة يوسف: ٤٠.

[2] - سورة الأحزاب: ٣٦.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ﴾[1]. فلابدّ لكلّ مسلم أن يعتقد بأنّ الله الخالق الحكيم العليم أعلم بمصالح الإنسان وأسلوب إشباع احتياجاته إشباعاً عادلاً منسجماً مع القوانين التّكوينيّة.

فمع وجود الخالق الحكيم الّذي أنزل للبشر من النّظم والأحكام ما يسعدهم في الدّنيا قبل الآخرة ويهديهم سواء السّبيل، كما يؤكّد عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذا القُرآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2]، لا معنى لتسليم أمر التّشريع والتّقنين وتنظيم شكل الحكومة بيد النّاس الّذين يجهلون الكثير الكثير عن أنفسهم، فضلاً عن جهلهم الواسع بالعالم وأسراره. والدّستور في الحكومة هو الكتاب العزيز، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنا الكِتابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ﴾[3].

فعلى ضوء ذلك، يجب أن يكون الحاكم في الحكومة الإسلاميّة هو من اختاره الله، وليس من يختاره الله إلاّ من هو أفضل الأمّة الإسلاميّة علماً وشجاعةً وزهداً وعدلاً، ومن البديهي أنّ أفضل الأمّة هم أهل بيت النّبي ﷺ، ومن هنا يظهر أنّ الغرض من ذكر الآيات هو إثبات كون أهل البيت أفضل الأمّة بعد النّبي ﷺ فيجب أن تكون القيادة فيهم، فحينئذ لا يبقى مجالٌ للقول بأنّ الآيات لم تصرّح على خلافة أحد من الأمّة، فهي أجنبيّة عن مسألة الخلافة. فيحصل من هذا الكلام أنّ قول الإماميّة بأنّ الخلافة كالنّبوّة منصب إلهي قول سديد، يقبله العقل، ويرتاح إليه الضّمير، وفي نفس الوقت يرغم أنوف الجبابرة والمتسلّطين على المسلمين بالقهر والاستيلاء بالتّراب، ويطيح بأطماع الطّامعين والنّاكثين والمنافقين، ويؤكّد على ذلك قوله تعالى: ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عليهمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ

---

[1] - سورة آل عمران: ٨٥.

[2] - سورة الإسراء: ٩.

[3] - سورة النّساء: ١٠٥.

أولياءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[١] .

وتؤيّد قول الإماميّة آيات من القرآن الكريم ونصوص من السّنّة النّبويّة، ثم الآيات، وإن كانت تتجاوز عن المئات، إلاّ أنّا نكتفي بالبعض.

الآية الأولى قوله تعالى: **﴿يا أيّها الّذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**[٢] .

هذه الآية قد أردفت إطاعة أولي الأمر بإطاعة الرّسول، فتجب إطاعتهم كما تجب إطاعة الرّسول، إذ لا فرق بينهما من حيث وجوب الإطاعة، وإنّما الفرق يكمن في أنّ الرّسول له نصيب من الوحي دون أولي الأمر، ثم فرض إطاعة الرّسول ﷺ على النّاس على نحو الإطلاق يستدعي عصمة الرّسول، إذ لا يتمّ الأمر بالإطاعة على الإطلاق إلاّ بعصمة في الرّسول ﷺ إذ لو لم يكن الرّسول معصوماً لوجب تقييد الإطاعة بما لم يكن مخالفاً لحكم الله، بمقتضى ما هو المشهور من النّبي ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**.

وهذا الكلام بعينه جار في أولي الأمر، فلابدّ من القول بعصمتهم كالرّسول.

ومن هنا يظهر أنّ الآية لا تشمل غير أهل البيت كسائر الخلفاء، سواء أريد بهم الخلفاء الرّاشدون أو الأعمّ منهم، وذلك لدلالة الآية على عصمة أولي الأمر. فيتعيّن أن يكون المراد من أولي الأمر عليّ ﷺ وأولاده الأطهار، لانتفاء العصمة عن غيرهم بالضّرورة والإجماع. ويدلّ على ذلك ما ورد من طريق السّنّة والشّيعة في خصوص من نزلت في شأنه هذه الآية هناك عدّة روايات واردة من طريق أهل السّنّة سنكتفي بذكر بعضها:

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: إنّ المراد بأولي الأمر: هو عليّ بن أبي طالب،

---

[١] – سورة الأعراف: ٣٠.

[٢] – سورة النّساء: ٥٩.

ولاّه الله أمر الأمّة بعد محمّد وحين خلّفه رسول الله ﷺ بالمدينة، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه[1].

وفي المناقب في تفسير مجاهد: إنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليّ ﷺ حين خلّفه رسول الله ﷺ بالمدينة، **فقال: يا رسول الله أتخلفني على النّساء والصّبيان، فقال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى حين قال موسى: اخلفني في قومي وأصلح**[2].

وفي المناقب عن الحسن بن صالح عن جعفر الصّادق ﷺ في هذه الآية قال: **«أولو الأمر هم الأئمّة من أهل البيت ﷺ»**[3].

وفي المناقب عن ابن معاوية قال: تلا محمّد الباقر ﷺ: **﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾** فإن خفتم تنازعاً في الأمر فأرجعوه إلى الله وإلى الرّسول وإلى أولي الأمر منكم، ثمّ قال: هكذا أنزلت. وكيف يأمر بإطاعتهم ويرخّص في منازعتهم، وقال عزّ وجلّ: **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾**. فردّ أمر النّاس إلى أولي الأمر منهم الّذين أمر النّاس بطاعتهم وبالرّد إليهم[4].

عليّ ﷺ وآية الطّاعة

وورد في تفسير البحر المحيط: إن الآية نزلت في حق عليّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت[5].

---

(1) - «غاية المرام»: ص٢٦٣ و٢٦٤.

(2) - «ينابيع المودة»: تأليف سليمان الحنفي: ج١ ص١١٤.

(3) - «ينابيع المودة»: ج١ ص١١٤.

(4) - «ينابيع المودة»: ج١ ص١١٦.

(5) - «تفسير بحر المحيط»: ج٣ ص٢٧٨.

ذكر العلامة الحلي في كتابه «نهج الحقّ» مدارك أهل السّنّة في نزول الآية في أهل بيت النّبي ﷺ[١].

وأمّا ما ورد من طريق أهل البيت في نزول هذه الآية في حقهم فكثيرٌ إلاّ أنّا نكتفي بذكر البعض تجنّباً عن التّطويل.

فقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري حيث يقول: لما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: **﴿يا أيّها الّذينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وَأطِيعُوا الرّسُولَ وَأولي الأمْرِ مِنكُمْ﴾**، قلت: يا رسول الله قد عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر منكم الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: **«خلفائي وأئمّة المسلمين بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف بالتّوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سمّي وكنيّ حجة الله في أرضه ونفسه في عباده ابن الحسن بن عليّ، ذلك الّذي يفتح الله تعالى ذكره على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الّذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان»**[٢]، وللرّواية ذيل تركناه خوفاً من التّطويل المملّ.

وقد أسند الشّيخ العالم الأصفهاني الأمويّ إلى الصّادق ﷺ أنّ عليّاً ﷺ من أولي الأمر، فسأله أبو مريم: هل كانت طاعته مفروضة؟ فقال: **«والله ما كانت لأحد إلاّ لرسول الله ولآله، فمن أطاع الرّسول فقد أطاع الله، وطاعة أمير المؤمنين من طاعة الله»**[٣].

---

[١] - «نهج الحق»: ص٢٠٤.

[٢] - «كفاية الأثر في النّص على الأئمّة الاثنى عشر»، تأليف عليّ بن محمّد القمي: ص٥٣.

[٣] - «الصّراط المستقيم» تأليف محمّد بن يونس العاملي: ج١ ص٢٥٤.

قال رسول الله ﷺ : «عليّ طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي»[١] .

قال رسول الله ﷺ : «يا عمّار طاعة عليّ طاعتي وطاعتي طاعة الله عزّ وجلّ»[٢] .

نعم، طاعة عليّ عليه السلام هي طاعة الله تعالى، كما أنّ طاعة الرّسول هي طاعة الله، وكيف لا يكون الأمر كذلك وهو يقول: «والله ما نزلت الآية إلاّ وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، وإنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً»[٣] .

قال رسول الله ﷺ : «إنّ الله قد فرض عليكم طاعتي ونهاكم عن معصيتي، وفرض عليكم طاعة عليّ عليه السلام بعدي ونهاكم عن معصيته، وهو وصيّي ووارثي، وهو منّي وأنا منه، حبّه إيمان وبغضه كفرٌ، ومحبّه محبّي، ومبغضه مبغضي، وهو مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كلّ مسلم ومسلمة، وأنا وهو أبوا هذه الأمّة»[٤] .

قال رسول الله ﷺ : «يا عليّ أنت أخي ووارثي ووصيّي، محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي، يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأمّة. يا عليّ أنا وأنت والأئمّة من ولدك سادات في الدّنيا وملوك في الآخرة، من عرفنا فقد عرف الله عزّ وجلّ، ومن أنكرنا فقد أنكر الله»[٥] .

وفي المناقب[٦] عن أبي سعيد بن عقيصان عن سيد الشّهداء الحسين بن عليّ عليه السلام عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : «يا عليّ أنت أخي وأنا أخوك، أنا المصطفى

---

[١] – نفس المصدر السابق.

[٢] – «فرائد السّمطين» : ج١ ص١٧٩ .

[٣] – «فرائد السّمطين» : ج١ ص٢٠١ .

[٤] – «ينابيع المودّة» : ج١ ص١٢٣ .

[٥] – «ينابيع المودّة» : ج١ ص١٢٣ .

[٦] – «ينابيع المودة» : ج١ ص١٢٣ .

للنّبوّة وأنت المجتبى للإمامة، أنا وأنت أبوا هذه الأمّة، وأنت وصيّي ووارثي وأبو ولدي، أتباعك أتباعي، وأولياؤك أوليائي، وأعداؤك أعدائي، وأنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في المقام المحمود، وصاحب لوائي في الآخرة كما أنت صاحب لوائي في الدّنيا، لقد سعد من تولاّك وشقي من عاداك، وإنّ الملائكة لتتقرّب إلى الله بمحبّتك وولايتك، وإنّ أهل مودّتك في السّماء أكثر من أهل الأرض، يا عليّ أنت حجّة الله على النّاس بعدي، قولك قولي، أمرك أمري، نهيك نهيي، وطاعتك طاعتي، ومعصيتك معصيتي، وحزبك حزبي، وحزبي حزب الله» ثمّ قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[1].

وتظهر من هذه الرّواية قلّة مودّة أهل البيت في أهل الأرض، والوجه في ذلك أنّ أهل الأرض كناية عن المسلمين، ومن المعلوم أنّ أكثر المسلمين من أهل السّنّة، ويذكر خطباؤهم في خطبة صلاة الجمعة فضائل جميع الصّحابة إلاّ فضائل أهل بيت النّبي ﷺ. نعم، لم يتطرّقوا إلى فضائل أهل البيت ﷺ لخوفهم من تشيّع المستمعين.

ولقد اتّفق لي أن التقيت بشابّ متديّن وملتزم بصلاة الجمعة والجماعة، فسألته: لماذا لا يذكر خطباؤكم فضائل أهل البيت ﷺ؟ قال: سألت هذا السّؤال من أحد أئمّة الجمعة وقلت: لماذا لا تذكر في خطبة الجمعة فضائل آل بيت رسول الله ﷺ، مع أنّ كتبنا مليئة بفضائلهم ومناقبهم؟ فأجاب الخطيب قائلاً: هل تريد أن يتحوّل النّاس إلى الشّيعة؟!

فاسأل أيّها القارئ الكريم أئمّة الجمعة هذا السّؤال: ما هو الضّرر في اعتناق المسلمين مذهب آهل البيت إذا كان حقّاً؟ ثمّ على إخواننا أهل السّنّة أن يسألوا أئمّة الجمعة: هل بقاؤنا على مذهب السّنّة يفرض علينا الامتناع عن ذكر فضائل

---

[1] - سورة المائدة: ٥٦.

آل بيت رسول الله ﷺ والابتعاد عنهم؟ وبالتّالي نسأل إخواننا أهل السّنّة: هل بقاؤكم على مذهبكم يفرض عليكم الابتعاد عن أهل بيت النّبي ﷺ والامتناع عن ذكر فضائلهم في خطبكم؟ الجواب: كلاّ لوجود فضائلهم في كتبهم.

وليس هذا إلاّ تغطيةً للحقّ وإبعاد المسلمين عن طريق النّبوّة والرّسالة.

وحاصل البحث أنّ المراد من أولي الأمر ليس حكّام الجور، كما هو معتقد أهل السّنّة، لأنّ الله لا يأمر الإنسان بإطاعة الفسّاق والفجّار، كما يؤكّد على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات النّاهية عن طاعة الطّغاة والعصاة فإن حكّام المسلمين على ما سجّل في التّاريخ كانوا من الطّغاة والعصاة.

عليّ عليه السلام وآية الولاية

الثّانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[4]. ونزول هذه الآية في عليّ بن أبي طالب عليه السلام متّفق عليه بين السّنّة والشّيعة، فنكتفي بذكر ما ورد من طريق أهل السّنّة.

قال أبو ذرّ الغفاري: سمعت رسول الله يقول: **عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذولٌ من خذله.** أمّا إنّي صلّيت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظّهر فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد، فرفع السّائل يده إلى السّماء وقال: اللّهمّ اشهد إنّي سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحدٌ

[1] - سورة النّحل: ٩٠.

[2] - سورة القلم: ٨.

[3] - سورة القلم: ١٠.

[4] - سورة المائدة: ٥٥.

شيئاً وكان عليّ راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى، وكان فيها خاتم، فأقبل السّائل حتّى أخذ الخاتم بمرأى النّبي ﷺ، فلما فرغ من صلاته رفع النّبي ﷺ رأسه إلى السّماء وقال: «اللّهمّ إنّ موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❁ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ❁ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ❁ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ❁ هارُونَ أَخِي ❁ اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[1]، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً﴾[2]. اللّهمّ وأنا نبيّك وصفيك فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً، واشدد به ظهري»، قال أبو ذرّ: فوالله ما أتمّ النّبي ﷺ هذه الكلمة، حتّى نزل عليه جبرائيل من عند الله تعالى فقال: يا محمّد: اقرأ: ﴿إِنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ...﴾. فهذه الرّواية تؤيّد ما يقوله الإماميّة من أنّ المراد من حديث المنزلة، أعني قول النّبي ﷺ: «يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» هو الإمامة والخلافة حيث أثبت النّبي ﷺ لعليّ ﷺ جميع مراتب هارون من موسى واستثنى النّبوّة فقط، ومن المعلوم أنّ من جملة منازل هارون من موسى أنّه كان خليفة له. وحديث المنزلة صحيح عند أهل السّنّة لأنّه مما صحّحه الإمامان البخاري ومسلم.

فلا يبقى مجالٌ للتّغطية بأن يقال: إنّ حديث المنزلة لا يرتبط بأمر الخلافة ثمّ الاستدلال بهذه الآية على خلافة عليّ بن أبي طالب ﷺ يتوقّف على أمور:

الأوّل: إنّ كلمة ﴿إنّما﴾ للحصر، إذ لو لم تكن للحصر لم يتمّ افتخاره ﷺ.

الثّاني: إنّ المراد بالولي هو الأولى بالتّصرف لا النّاصر لأنّ النّصرة لا تختصّ بالمذكور في الآية. ومما يؤيّد كون الولي بمعنى الأولى بالتّصرف وحدة السّياق لأنّ الله والرّسول ومن جمع بين الزّكاة والرّكوع في آية واحدة، فتكون ولاية الجميع

---

[1] - سورة طه: ٢٥-٣٢.

[2] - سورة القصص: ٣٥.

بمعني واحد. ومن البديهي أنّ ولاية الله والرّسول إنّما هي بمعنى أولى بالتّصرف فيجب أن يكون هذا المعنى بالذّات مراداً من ولاية من جمع بين الوصفين.

الثّالث: إنّ المراد بالّذين آمنوا في الآية هو بعض المؤمنين، أعني من جمع الوصفين. والمراد من ذلك البعض هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ونتيجة هذه الأمور، إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو أولى بالتّصرف بمقتضى الآية، فإذا كان أولى بالتّصرف، لكان إماماً، إذ لا نعني بالإمام إلاّ ما هو مفاد الآية المباركة. ومن هنا ظهر فساد ما ذكره الرّازي في تفسير الولاية، حيث فسّرها بمعنى النّاصر، وليس هذا التّفسير إلاّ تغطيةً للحقّ.

عليّ عليه السلام وآية ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

الثّالثة: قوله تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1]. ومن البديهي أنّ الصّادقين هم رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته، الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، إذ ليس المراد من الصّدق في الآية مجرّد عدم الكذب في القول والحديث، وإنّما المراد به الصّدق في القول والعلم والعمل الّذي يؤهل صاحبه لإمامة النّاس واقتدائهم به، والصّدق بهذا المعنى يختص بالمعصومين. ثمّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد ادّعى الإمامة وامتنع عن البيعة، فهو صادق في دعواه. والمراد بالكون معهم ليس هو الحضور الخارجي بالضّرورة بل المراد هو وجوب متابعتهم في أقوالهم وأفعالهم، ثمّ إنّ مقتضى إطلاق الآية هو عصمة الصّادقين، وذلك لقبح الأمر باتباع من لا تؤمن عليه مخالفة الله عمداً أو خطأً. فإذا أفادت الآية عصمة أمير المؤمنين عليه السلام تثبت إمامته لأنّ العصمة شرط للإمامة، ولا عصمة لغيره من الصّحابة بالإجماع، مع أنّ الأمر باتّباع الأمّة لشخص على الإطلاق ظاهر في إمامته لهم.

---

[1] - سورة التّوبة: ١١٩.

ومن هنا يظهر بطلان القول بحمل الصّادقين على مطلق المهاجرين والأنصار، أو على خصوص الثلاثة الّذين تخلّفوا في غزوة تبوك، وذلك لعدم عصمة هؤلاء، فليس المراد من الصّادقين إلاّ أهل البيت. ويؤكّد على ذلك ما ورد عن طريق أهل السّنّة، من أنّ المراد بالصّادقين آل محمّد[1]، أو محمّد وعلي[2]، أو عليّ بن أبي طالب ﷺ[3].

ونتيجة البحث أنّه يجب أن يكون الحاكم في المجتمع الإسلامي معصوماً أو من يكون مأذوناً من قبَله. وهذا هو الميّز بين النّظام الإسلامي والأنظمة المعاصرة، حيث يكون الحاكم فيها من الكاذبين، لأنّ السّياسة في الأنظمة المعاصرة ليست إلاّ الكذب والخدعة والتّدليس والتّغطية.

عليّ ﷺ وآية الاعتصام

الرّابعة: قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[4]. والمراد من الحبل ما يتوصل الإنسان به إلى الله ويتقرّب به إليه تعالى، فينطبق على الإسلام وينطبق أيضاً على من يقود المسلمين، لأنّ الإسلام عبارة عن دين ودولة، فمفاد الآية أنّ المسلمين ماداموا أتباع قيادة واحدة معصومة كمحمّد وآله ﷺ يكونون معتصمين بحبل الله تعالى.

نعم، قال أكثر المفسرّين: إنّ المراد بالحبل هو الإسلام والدّين ومعنى الآية بمجموعها أنّ المسلمين ماداموا أتباع دين واحد ورسول واحد وكتاب واحد، فعليهم جميعاً أن يراعوا هذه الرّابطة الدّينية، الّتي هي أقوى من الرّابطة النّسبية، وأن يحرصوا عليها، وأن يعملوا بموجبها ولا يتفرّقوا شيعاً وأحزاباً وكيف كان،

---

[1] - «فرائد السّمطين» تأليف شيخ الإسلام الجويني الشّافعي: ج١ ص٣٧٠.

[2] - «تفسير الدرّ المنثور» للسّيوطي: ج٣ ص٢٩٠.

[3] - «الدرّ المنثور»: في ذيل الآية المباركة.

[4] - سورة آل عمران: ١٠٣.

فلا تنافي بأن يكون المراد بالحبل الإسلام ومن يقود المسلمين معاً.

ويؤكّد على ذلك ما ورد من طريق أهل السنّة من أنّ المراد من الحبل هو عليّ بن أبي طالب ﷺ. قال القندوزي الحنفي: أخرج صاحب المناقب عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس (رضي الله عنهما) قال: كنّا عند النّبي ﷺ إذ جاء أعرابيّ فقال: يا رسول الله سمعتك تقول: واعتصموا بحبل الله، فما حبل الله الّذي نعتصم به؟ فضرب النّبي ﷺ يده في يد عليّ وقال: **«تمسّكوا بهذا هو حبل الله المتين»**[1].

وروى المحدّث القمي: عن الزّمخشري صاحب التّفسير وغيره بإسنادهم يرفعه إلى النّبي ﷺ قال ﷺ: **«فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري والأئمّة من ولدها أمناء ربّي، حبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا ومن تخلّف عنهم هوى»**[2].

فيكون المراد من الحبل حينئذ هو الإسلام والرّسول وآله، لأنّ الإسلام دين ودولة والدّولة الإلهيّة بحاجة إلى القيادة الحكيمة المعصومة، فتنحصر بعد النّبي ﷺ في أهل البيت ﷺ.

عليّ ﷺ وآية ﴿لا يَنالُ عَهْدِيَ الظّالِمِينَ﴾

الخامسة: قوله تعالى: **﴿إِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِيَ الظّالِمِينَ﴾**[3].

تقريب دلالة هذه الآية أنّها قد منعت إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة. ومن المعلوم أنّ الشّرك وعبادة الصّنم من أعظم الظّلم، كما قال تعالى: **﴿يا بُنَيَّ لا**

---

[1] - «ينابيع المودّة»: ج١ ص١١٨.

[2] - «سفينة البحار»: ج١ ص١٩٣.

[3] - سورة البقرة: ١٢٤.

تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] . فقوله تعالى : ﴿لا يَنالُ عَهْدِيَ الظّالِمِين﴾ استجابة من الله لإبراهيم أن يتّخذ أئمّة من ذرّيته على شرط أن يكونوا مثله أوفياء أتقياء، لأنّ الهدف من الإمام أن يمنع المعصية، فكيف يكون عاصياً؟!

وقد عرفت أنّ هذه الآية تدلّ على عصمة الإمام، فيكون الإمام من لا يرتكب المعصية من أوّل عمره إلى آخره.

ويدلّ على ذلك ما رواه أهل السّنّة عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «انتهت الدّعوة إليّ وإلى عليّ، لم يسجد أحدنا قطّ لصنمٍ، فاتّخذني نبيّاً واتّخذ عليّاً وصيّاً»[2] .

وفي تفسير البرهان عن أمالي الشّيخ عن ابن مسعود: «قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم، قلنا يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم: ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً﴾ فاستخفّ إبراهيم الفرح، فقال: يا ربّ ومن ذرّيّتي أئمّة مثلي؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن يا إبراهيم إنّي لا أفي به لك عهداً، قال: يا ربّ ما العهد الّذي لا تفي لي به؟ قال: لا أعطيك عهداً لظالم من ذرّيتك، قال: يا ربّ ومن الظّالم من ولدي الّذي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني، لا أجعله إماماً ولا يصلح أن يكون إماماً قال إبراهيم: «اجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام ربّ إنّهنّ أضللن كثيراً من النّاس». ومن ثمّ قال النّبي ﷺ: «فانتهت الدّعوة إليّ وإلى أخي عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ، فاتّخذني الله نبيّاً وعليّاً وصيّاً»[3] .

---

[1] – سورة لقمان: ١٣ .

[2] – في «المناقب» لابن المغازلي: ص٢٧٦، وفي «مناقب التّرمذي» طبع بومباي: ص٤١، و«تفسير اللوامع»: ج١ ص٦٢٩ طبع لاهور.

[3] – «تفسير البرهان»: ج١ ص١٥١ .

ثمّ قال: ومن طريق المخالفين ما رواه الشّافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب بإسناده يرفعه إلى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم قلت: يا رسول الله كيف صرت دعوة إبراهيم أبيك؟ وساق الحديث السّابق بعينه إلى قوله ﷺ: فانتهت الدّعوة إليّ وإلى أخي عليّ، لم يسجد أحدنا لصنم قطّ، فاتّخذني نبيّاً واتّخذ عليّاً وصيّاً. وبهذا سقط قول بعض حيث قال: لم أظفر باستدلال النّبي ﷺ على عدم نيل الظّالم للخلافة. لأنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود. وسقط أيضاً قول بعض علماء أهل السّنّة حيث قال: ليست الرّواية المذكورة موجودة في كتب أهل السّنّة.

ثمّ إن المراد بانتهاء الدّعوة إليهما وصولها إليهما لا انقطاعها عندهما فالآية لا تنفي إمامة سائر الأئمّة عليهم السلام.

فدلالة الآية المذكورة بضميمة الحديث على إمامة عليّ عليه السلام واضحة غير قابلة للإنكار أصلاً.

عليّ عليه السلام وآية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾

السّادسة: قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[1]. أي عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما ورد عن طريق أهل السّنّة. أخرج الدّيلمي عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: وقفوهم إنّهم مسؤولون. أي عن ولاية عليّ وأهل البيت. لأنّ الله أمر نبيّه ﷺ أن يعرّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرّسالة أجراً إلاّ المودّة في القربى. والمعنى أنّهم يسألون: هل والوهم حقّ الموالاة كما أوصاهم النّبي ﷺ[2].

عن أبي نعيم أخرج بسنده عن الشّعبي عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس (رضي الله

---

(١) ـ سورة الصّافات: ٢٤.

(٢) ـ «الصّواعق المحرقة» لابن حجر الشّافعي: ص١٧٩.

عنهما) عن النّبي ﷺ في هذه الآية قال ﷺ: عن ولاية عليّ بن أبي طالب ﷺ[١].

وعن محمّد بن إسحاق المطلبي صاحب كتاب «المغازي» والأعمش والحاكم وجماعة مسؤولون عن حبّ أهل البيت ﷺ[٢]..

عن الحمويني بسنده عن مالك بن أنس عن جعفر الصّادق عن آبائه عن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنهم) عن النّبي ﷺ قال: **«إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة، نصب الصّراط على جهنّم لم يجز عنها أحد إلاّ من كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب»**[٣].

الحمويني بسنده عن داود بن سليمان، قال: حدثني عليّ الرّضا عن أبيه عن آبائه عن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنهم) عن النّبي ﷺ قال: **«إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتّى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفي ماذا أنفقه وعن حبّنا أهل البيت»**[٤].

عن موفق بن أحمد بسنده عن الحسن البصري عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة، يقعد عليّ على الفردوس وهو جبل قد علا على الجنّة وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تتفجّر أنهار الجنّة، وتتفرّق في الجنان، وعليّ جالسٌ على كرسي من نور يجري بين يديه التّسنيم، لا يجوز أحد الصّراط إلا ومعه سندٌ بولاية عليّ وولاية أهل بيته، فيدخل محبيه الجنّة ومبغضيه النّار»**[٥].

---

[١] - «ينابيع المودة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١١٢.

[٢] - نفس المصدر السّابق.

[٣] - «ينابيع المودة»: ج١ ص١١٢.

[٤] - «ينابيع المودة»: ج١ ص١١٢.

[٥] - «ينابيع المودة»: ج١ ص١١٣.

والرّوايات وإن كانت كثيرة، إلاّ إنّا اكتفينا بهذا المقدار تجنّباً عن التّطويل.

وهذه الرّوايات ذكرتها ونقلتها عن أهل السنّة، ومع ذلك يقول بعض أهل السّنّة: ليست الرّوايات المذكورة من أهل السّنّة. وليس هذا الكلام إلاّ كذباً صريحاً وتغطيةً لحقّ أهل الرّسالة. ثمّ ذكر ذلك البعض توجيهاً للرّوايات المذكورة، حيث قال: لو صحّت هذه الرّوايات لدلّت على أنّ عليّاً من أولياء الله تعالى، فالوليّ هو المحبّ المطيع، فلا علاقة لهذه الرّوايات بمسألة الخلافة.

ومن البديهي أنّ هذا التّوجيه أكثر شناعةً من إنكاره تلك الرّوايات، لأنّ العبد في موقف القيامة مسؤول عن أعماله، وكون عليّ وليّ الله، أعني المحبّ المطيع، ليس من جملة أعمال العبد حتّى يسأل عنه.

نعم، ولاية عليّ بمعنى إمامته تصح أن تقع مورداً للسّؤال، فيسأل العبد عن قبول الولاية، ثم عن متابعته لعليّ بن أبي طالب ﷺ.

عليّ ﷺ وآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي...﴾

السّابعة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبادِ﴾[1].

ونزول هذه الآية في عليّ بن أبي طالب ﷺ متّفق عليه بين السّنة والشّيعة، ذكر الثّعلبي في تفسيره، وابن عقبة في ملحمته، وأبو السّعادات في فضائل العترة الطّاهرة، والغزالي في الإحياء بأسانيدهم عن ابن عبّاس وعن أبي رافع، وعن هند بن أبي هالة ربيب النّبي ﷺ: «**أوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل: إنّي آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه، فأيّكما يؤثر أخاه عمره فكلاهما كرها الموت، فأوحى الله إليهما: إنّي آخيت بين عليّ وليّي وبين محمّد نبيّي فآثر عليّ حياته لنبيّي ﷺ، فرقد على فراش النّبي ﷺ يقيه بمهجته، اهبطا إلى الأرض**

---

[1] - سورة البقرة: ٢٠٧.

واحفظاه من عدوّه، فهبطا فجلس جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرائيل يقول: بخٍّ بخٍّ، من مثلك يابن أبي طالب، والله عزّ وجلّ يباهي بك الملائكة»[1]. فأنزل الله: ﴿وَمِنَ النَّاس . . .﴾.

موفّق بن أحمد بسنده عن حكيم بن جبير عن علي بن الحسين (رضي الله عنهما) قال: إنّ أوّل من اشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله هو عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) وقال عند مبيته على فراش رسول الله شعراً:

وقيت بنفسي خير من وطأ الثرى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به	فنجاه ذو الطَّول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا	موقى وفي حفظ الإله وفي السّتر
وبتّ أراعيهم وما قد يبيتوا لي	وقد وطنت نفسي على القتل والأسر[2]

وفي كتاب الخوارزمي، نزل جبرائيل صبيحة الغار فرحاً فقال النبي ﷺ «أراك فرحاً؟ قال: وكيف لا أفرح وقد قرّت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيّك وإمام أمّتك عليّ بن أبي طالب، باهي الله بعبادته البارحة ملائكته وحملة عرشه؛ فقال: انظروا إلى حجّتي في أرضي بعد نبيّي، وقد بذل نفسه وعفّر في التراب خدّه تواضعاً لعظمتي أشهدكم أنه إمام خلقي ومولى بريّتي. وما امتحن الله خاصّة ملائكته بذلك إلاّ وقد علم من حالهم عدم صبرهم على هذه المهالك لم تقدم على فعله فيقرّون أنّه ليس فيهم كمثله»[3].

---

[1] - «ينابيع المودة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٩٠، و«أسد الغابة»: ج٤ ص٢٥، و«مستدرك الحاكم»: ج٣ ص١٣٢، و«التفسير الكبير»: ج٥ ص٢٠٤، و«مسند أحمد»: ج١ ص٣٣١؛ وتفسير الطبري: ج٩ ص١٤٠.

[2] - «ينابيع المودة»: ج١ ص٩٠.

[3] - «الصّراط المستقيم» تأليف العاملي: ج١ ص١٧٤.

إنّ دلالة هذه الآية بضميمة ما ورد في شأن نزولها على خلافة عليّ بن أبي طالب واضحة غير قابلة للإنكار، فكيف لا يكون من يباهي به الله ملائكته خليفة رسول الله ﷺ؟

ولا يخفى أنّ مبيت عليّ عليه السلام لو وزن بأعمال الخلائق لرجّح عليها، لأنّه سبّب نجاة نبيّها.

ومن هنا يظهر بطلان ما قيل من عدم دلالة هذه الآية على فضل عليّ عليه السلام على جميع الأمّة، وذلك لأمرين:

الأوّل: إنّ النّبي ﷺ كان قد أخبر عليّاً وبشّره بأنّ المشركين لا يصلون إليه، فكان عليّ يعلم أنّه لا يصيبه مكروه من المشركين فحينئذ لا فضيلة له.

الثّاني: إنّ آية الغار تدلّ على فضل أبي بكر كما تدلّ آية ﴿**وَمَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ**﴾ على فضل عليّ عليه السلام، ففضل أبي بكر يعادل فضل عليّ عليه السلام، إن لم نقل بأنّه أزيد منه. ثم إنّ آية الغار، وهي قوله تعالى: ﴿**ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ**﴾[1]، يدلّ على فضل أبي بكر في ستّة مواضع:

الأوّل: إنّ الله تعالى ذكر نبيّه ﷺ وذكر أبا بكر معه، فجعله ثانيه، فقال: ﴿**ثَانِيَ اثْنَيْنِ**﴾.

الثّاني: إنّ الله تعالى وصفهما بالاجتماع في مكان واحد، تأليفاً بينهما فقال: ﴿**إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**﴾.

الثّالث: إنّ الله أضافه إليه بذكر الصّحبة ليجمع بينهما فيما يقتضي الرّتبة فقال: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ**﴾.

الرّابع: إنّه أخبر عن شفقة النّبي ﷺ عليه ورفقه به، لموضعه عنده فقال: ﴿**لَا**

---

[1] - سورة التّوبة: ٤٠.

تَحْزَنْ﴾.

الخامس: إعلامه أنّه أخبره أنّ الله تعالى معهما على حدّ سواء، ناصراً لهما، ودافعاً عنهما، فقال: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾.

السّادس: إنّه أخبر عن نزول السّكينة على أبي بكر، لأنّ الرّسول ﷺ لم تفارقه السّكينة قطّ، فقال: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾.

ويدلّ على بطلان هذين الأمرين:

أوّلاً: إنّ النّبي ﷺ لم يبشّر عليّاً ﷺ بعدم وصول المشركين إليه. نعم، في بعض الرّوايات كرواية ابن المغازلي حيث جاء فيها: «لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله»، وهذا لا جزم فيه لتعليقه بالمشيئة.

وثانياً: إنّ الدّلالة على بطلان الأمر الثّاني واضحة كالشّمس.

لأنّ ما تقدّم في الموضع الأوّل من أنّ الله ذكر نبيّه ﷺ وجعل أبا بكر ثانيه لا يدلّ على فضيلة أبي بكر أصلاً، لأنّه إخبار عن عدد، أعني أنهما كانا اثنين، ونحن نعلم ضرورة أنّ مؤمناً وكافراً اثنان كما نعلم أنّ مؤمناً ومؤمناً اثنان.

وكذلك ما في الموضع الثّاني، حيث وصفهما بالاجتماع في المكان، لأنّ الاجتماع في المكان لا يدلّ على الفضيلة، فإنّ المكان يجتمع فيه المؤمن والكافر، كما يجتمع فيه المؤمن والمؤمن، والمعلوم من التّاريخ أنّ سفينة نوح ﷺ قد جمعت النّبي ﷺ والشّيطان والبهيمة.

وأمّا ما في الموضع الثّالث، حيث جعل أبو بكر صاحب النّبي ﷺ، فهو أضعف من الفضلين السّابقين، فإنّ الصّحبة كما تجمع المؤمن والكافر، كذلك تجمع العاقل وغير العاقل.

والدّليل على ذلك كلام العرب، حيث إنّهم جعلوا الحمار صاحباً فقالوا:

إنّ الحمار مع الحمار مطيّة ... فإذا خلوت به فبئس الصّاحب

وقد سمّوا الجماد مع الحيّ أيضاً صاحباً، قال الشاعر:

زرت هنداً وذاك بعد اجتناب ... ومعي صاحب كتوم اللّسان

يعني به السّيف.

ثمّ قوله: ﴿لا تَحْزَنْ﴾ يدلّ على منقصة لأبي بكر، فإنّ نهي النّبي ﷺ أبا بكر عن الحزن كاشف عن أنّ الحزن الواقع عن أبي بكر كان معصية.

والمراد من قوله: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنا﴾ هو النّبي فقط أو مع عليّ بن أبي طالب، فقد أخبره وأعلمه أنّ الله معه خاصّة وعبّر عن نفسه بلفظ الجمع، كما أطلق الجمع على الواحد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[1].

وقد قيل: إنّ أبا بكر قال: يا رسول الله، إنّ حزني على أخيك عليّ بن أبي طالب ما كان منه، فقال النّبي ﷺ: «إنّ الله معنا»، أي معي ومع أخي عليّ بن أبي طالب.

أمّا ما في الموضع السّادس من دعوى نزول السّكينة على أبي بكر يستلزم كفر من يدّعيه، لأنّ الّذي نزلت السّكينة عليه هو الّذي أيّده الله تعالى بجنوده كما يظهر من قوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عليه وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها﴾.

فلو كان أبو بكر هو صاحب السّكينة لكان هو صاحب الجنود، فيلزم إخراج النّبي ﷺ من النّبوّة، وهو كفر.

عليّ ﷺ وآية التّطهير

الثّامنة: قوله تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

---

[1] - سورة الحجر: ٩.

[2] - سورة الأحزاب: ٣٣.

وقد روى أهل السّنّة متواتراً بأسانيد عديدة[1]، أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

وكذا روي متواتراً عن أهل البيت ﷺ نزول آية التّطهير في فضل أصحاب الكساء في بيت أمّ سلمة.

إذاً مفاد الآية عصمتهم ﷺ من جميع الأرجاس. ومن البديهي أنّ المعاصي بما فيها الكذب رجسٌ، فالعصمة بهذا المعنى تستلزم وجوب الإطاعة، فتجب إطاعة أهل البيت، وقد ثبت بلا خلاف أنّ عليّ بن أبي طالب ادّعى الخلافة لنفسه، فيكون صادقاً في قوله، وبالتّالي فالخلافة حقّ له فقط.

عليّ ﷺ وآية التّبليغ

التّاسعة: قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ﴾[2].

وهذه الآية، وإن وقعت في سياق آيات تتحدّث عن أهل الكتاب، ولذا قال المفسرون من أهل السّنّة إنّ المقصود من هذه الآية هو تبليغ الإسلام لأهل الكتاب لا تبليغ خلافة عليّ بن أبي طالب ﷺ. فالآية لا ترتبط بأمر الخلافة أصلاً. إلاّ أنّ التّدبّر في نفس الآية، وفيما ورد من طريق أهل السّنّة في شأن نزولها، يوجب اليقين بأنّ ما ذكره أهل السّنّة في تفسيرها وفي نزولها ليس إلاّ تغطيةً للحقّ. وذلك

---

[1] - فراجع «صحيح مسلم» في كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل أهل البيت: ج٧ ص١٣٠، و«شواهد التّنزيل» للحافظ الكبير الحنفي: ج٢ ص١٠، و١٩٢، و«الدّرّ المنثور» للسيوطي: ج٥ ص١٩٨، و«مجمع الزّوائد» للحافظ الهيثمي: ج٩ ص١٢١ و١٦٦، و«مسند أحمد»: ج١ ص٢٣٠، وج٤ ص١٠٧، والطّبري في تفسيره: ج٢٢ ص٥و٦و٧، و«أسد الغابة» لابن الأثير: ج٤ ص٢٩، والنّسائي في خصائصه: ص٤، والقندوزي الحنفي في «ينابيع المودة»: ج١ ص١٠٦.

[2] - سورة المائدة: ٦٧.

لأنّ قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ يدلّ على أهميّة الحكم المنزل الّذي أمر النّبي ﷺ بتبليغه، ويدلّ على أنّ في التّبليغ مخافة الخطر على نفس النّبي ﷺ أو على دين الله.

ومن البديهي أنّ الخطر المذكور لم يتوجّه إلى النّبي ﷺ من أهل الكتاب حتّى يستدعي وعد الله بالعصمة منهم، بل المعلوم من حال النّبي ﷺ أنّه قد بلّغ ما أُمر به لأهل الكتاب، حتّى في أوائل هجرته إلى المدينة وعند حدّة اليهود وشدّتهم، حتّى انتهى إلى وقائع خيبر وغيرها. وقد قام النّبيّ ﷺ بتبليغ ما هو أشدّ من ذلك، وهو تبليغ التّوحيد ونفي الوثنيّة إلى كفّار قريش ومشركي العرب، وهم أغلظ جانباً، وأشدّ بطشاً، وأسفك للدّماء، وأفتك من اليهود وسائر أهل الكتاب. هذا مع أنّ اليهود حين نزول سورة المائدة وآياتها قد كسرت شوكتهم وخمدت نيرانهم، فلا معنى لخوف رسول الله منهم في دين الله، بل دخلوا يومئذ في السّلم وقبلوا الجزية، فلا معنى لتقريره تعالى لنبيّه خوفه منهم، ولا معنى أيضاً لاضطراب النّبي ﷺ في تبليغ أمر الله إليهم. فحينئذ لا ينبغي الشّك في أنّ الآية لا تشارك الآيات السّابقة عليها واللاّحقة لها في سياقها، بل هي آية مفردة نزلت في تبليغ أمر الخلافة، وهي ظاهرة في أنّ هناك أمراً هامّاً، قد أمر الله نبيه بتبليغه إلى النّاس، وكان النّبي يخافهم لأنّه ثقيل على أنفسهم، فتأخّر، وينتظر الظّروف المناسبة تجنّباً عن الاصطدام بالمنحرفين.

لكنّ الله تعالى حثّه على التّبليغ حالاً، ودون أن يحسب حساباً لأيّ اعتبار، بل وعد عصمته عن كل مكروه بقوله: ﴿وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ وهدّده على التّرك بقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾.

فلا يكون المراد من الأمر المهمّ الّذي أمر النّبي ﷺ بتبليغه إلاّ ولاية عليّ بن أبي طالب ﷺ، كما يقول به الإماميّة.

نعم، كان النّبي ﷺ يخشى إذا نصّ على خلافة عليّ أن يتّهم بالمحاباة والتّحيّز

لصهره وابن عمه، كما وقع هذا الاتّهام من الفهري، ويخاف النّبي ﷺ أن يتخذ المنافقون من هذا النّصّ مادّة للدّعاية ضدّه والتّشكيك في نبوّته وعصمته.

ومن البديهي أنّ مثل هذه الدّعاية يتقبّلها البسطاء والسّذج من المؤمنين عن المنافقين، وهم أشدّ خلق الله فتكاً بالإسلام والمسلمين، والتّاريخ الإسلامي حافل بمكرهم، والآيات القرآنية ناطقة بحيلهم ومؤامراتهم. ويؤكّد على ما ذكرنا من خوف النّبي ﷺ من المنافقين ما سجّله التّاريخ عن النّعمان بن الحارث الفهري، حيث كان معادياً لعليّ بن أبي طالب ﷺ وحاقداً على أهل البيت ﷺ فقد مزّقه الحقد حينما بلغه حديث الغدير وتعيين النّبي ﷺ عليّاً ﷺ خليفة بعده، فأتى رسول الله ﷺ لكي ينتقد على هذه الخطوة المباركة، وقال عند وصوله إلى النّبي ﷺ: يا محمّد، أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلاّ الله فقبلنا، وأمرتنا أن نشهد أنّك رسول الله فقبلنا، وأمرتنا بالصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ فقبلنا، ثمّ لم ترض حتّى أخذت بعضد ابن عمّك وفضّلته علينا، فقلت: من كنت مولاه، فعليّ مولاه فهذا شيءٌ منك أم من الله؟

فقال النّبي ﷺ: «والّذي لا إله إلاّ هو، إنّ هذا من الله عزّ وجلّ» فولّى الفهري إلى راحلته وهو يقول: اللّهمّ إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إلى راحلته حتّى رماه الله عزّ وجلّ بحجر سقط على رأسه فخرج من دبره، فقتله فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[1]، ويؤكّد على ذلك ما روى أهل السّنّة متواتراً «إنّه لمّا شاع قول النّبي ﷺ: من كنت مولاه فعليّ مولاه في الأمصار والأقطار، وبلغ ذلك الحارث بن النّعمان الفهري، فأتى رسول الله على ناقته فأناخ راحلته ونزل عنها وقال: يا

---

[1] - سورة المعارج: ١.

محمّد أمرتنا...إلخ»[١] .

ومن هنا يتّضح بطلان كلام بعض أهل السّنّة حيث قال: «إنّ الآية أجنبيّة عن خلافة عليّ بن أبي طالب، وإنّ الشّيعة تجعل القرآن كتاباً حزبيّاً لهم، فيجعلون آية التّبليغ خاصّة بالولاية، مع أنّها عامّة آمرة بتبليغ كلّ الدّين»[٢] .

إذ لو كانت آية التّبليغ أجنبيّة عن مسألة الخلافة، لكانت آية الشّورى أجنبيّة عنها بطريق أولى، لأنّها ليست في مقام تشريع الخلافة بإجماع المسلمين جميعاً، بل آية الشّورى ناظرة إلى مدح التّشاور في الأمور العامّة، كما يؤكّد على ذلك ما قيل في سبب نزول الآية الكريمة، من أنّ الأنصار كانوا قبل قدوم النّبي ﷺ إلى المدينة المنوّرة إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه، ثمّ عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به.

ومن هنا يتوجّه كلام بعض أهل السّنّة عليهم، حيث جعلوا آية الشّورى خاصّة بالخلافة، فجعلوا القرآن كتاباً حزبيّاً لهم، مع أنّ آية الشّورى لا ترتبط بمسألة الخلافة، ثمّ قول البعض بأن آية التّبليغ آمرة بتبليغ كلّ الدّين مخالفٌ للضّرورة والوجدان، لأنّ النّبي ﷺ قد بلّغ الدّين تدريجاً، حيث اكتفى في أوّل الدّعوة بقوله ﷺ: «قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا». فتبليغ كل الدّين، إنّما كان بالقرآن كلّه لا بآية التّبليغ، إلاّ أن يقال: إنّ مراده أنّ النّبي ﷺ قد أمر في الآية المذكورة بتبليغ الدّين كلّه تدريجاً، فيقال بأنّ ذلك يستدعي أن تكون آية التّبليغ أوّل آية نزلت على النّبي ﷺ، ولم يقل به أحد، فيكون هذا الاحتمال ضروريُّ البطلان.

---

[١] - «تفسير القرطبي» في تفسير الآية، و«تفسير غريب القرآن» للحافظ الهروي في تفسير الآية، و«تذكرة الخواص» لابن الجوزي الحنفي، ص٣٧، و«الفصول المهمة» لابن الصّبّاغ المالكي: ص٤١، و«السّيرة الحلبية»: ج٣ ص٣٠٢، و«فرائد السّمطين» لشيخ الإسلام الشّافعي: ج١ ص٨٢.

[٢] - «مسألة الإمامة» تأليف محسن عبد النّاظر: ص٢٦٤.

عليّ ﷺ وآية الإكمال

العاشرة: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].

وقد اتّفقت الإماميّة على نزول هذه الآية الكريمة في يوم الغدير بعد إبلاغ النّبي ﷺ بولاية عليّ بن أبي طالب، وقد وافق الإماميّة على ذلك كثير من علماء التّفسير وأئمّة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنّة[2].

وروى أهل السنّة، عن أبي سعيد الخدري: إنّ النّبي ﷺ دعا النّاس إلى عليّ ﷺ في يوم غدير خم، وأمر بما تحت الشّجرة من الشّوك فقمّ، فدعا عليّاً، فأخذ بضبعيه فرفعهما، حتّى نظر النّاس إلى بياض إبطي رسول الله ﷺ وعليّ ﷺ، لم يتفرقوا حتّى نزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدّين وإتمام النعمة ورضا الرّبّ برسالتي، والولاية لعليّ بن أبي طالب من بعدي»، ثمّ قال: «من كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

قال السّيوطي في الدرّ المنثور: «إنّه أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نصب رسول الله ﷺ عليّاً يوم غدير خمّ، فنادى له بالولاية، هبط جبرائيل عليه بهذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..﴾».

---

[1] - سورة المائدة: ٣.

[2] - «تذكرة الخواص» لابن الجوزي: ص٣٦، و«فرائد السّمطين» للجويني: ج١ ص٧٣، و«الدّر المنثور» للسيوطي: ج٢ ص٢٥٩، و«شواهد التّنزيل»: ج١ ص١٥٦، وتفسير ابن كثير: ج٢ ص١٤، و«البداية والنّهاية»: ج٧ ص٣٤٩، و«مناقب الخوارزمي»: ص٨٠، ومن أراد أكثر من هذا فليراجع كتاب الغدير: ج١.

وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بسند عن أبي هريرة قال: لمّا كان يوم غدير خمّ وهو اليوم الثّامن عشر من ذي الحجّة قال النّبي ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾.

وذكر البدخشي في «مفتاح النّجاة» عن ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري نفس الحديث بإضافة قول النّبي ﷺ بعد نزول الآية: «**الله أكبر على إكمال الدّين وإتمام النعمة، ورضا الرّبّ برسالتي، والولاية لعليّ بن أبي طالب**».

نعم، قال بعض المفسّرين من أهل السّنّة: إنّ الآية المباركة نزلت يوم عرفة، وهذا لا ينافي نزولها يوم الغدير أيضاً، بعد تأخّر النّبي ﷺ عن تبليغ أمر الخلافة إلى يوم غدير خمّ كما يستفاد ذلك من آية التّبليغ. فالقول بنزول الآية يوم عرفة ليس إلاّ تغطية للحقّ، كما هي عادة أهل السّنّة.

نكتفي بالكلام حول الآيات العشر ردّاً على فريّة ابن تيمية، حيث قال: إنّ من حماقات الشّيعة أنّهم يكرهون التّكلم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة، حتّى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة ولا بعشرة جذوع، لبغضهم العشرة المبشرة بالجنة، وهم: عليّ بن أبي طالب وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزّبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرّحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح (رضي الله عنهم أجمعين)، ويبغضونهم إلاّ عليّ بن أبي طالب[1].

ثمّ قال: «من تعصّب الرّافضة أنّهم لا يذكرون اسم العشرة، بل يقولون تسعة وواحد»[2].

أليس من العار على من يسمّي نفسه شيخ الإسلام أن يكذب كذباً يعرفه كلّ من

---

(١) - «منهاج السّنّة النّبوية»: ج١ ص٩.

(٢) - «منهاج السّنّة»: ج٢ ص١٤٣.

عاشر الشّيعة. نعم، لو كانت الشّيعة طائفة بائدة لكان لهذا الكذب الشّنيع مجال.

نعم، له مثل هذه الأضاليل كثير يكرّرها على صفحات كتابه «مفتاح البدعة» إفكاً وزوراً، ولا يعلم بأنّ وجه الأرض يزدهي بالملايين من هذه الطّائفة الحقّة، والمكتبات مليئة بكتبهم، ولا يعلم أنّ في قرآن الشّيعة قد كرّر لفظ العشرة كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[1]، ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[2]، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3]، ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾[4]. وكذا قد كرّر لفظ العشرة في كتبهم في مواضع مختلفة، كقولهم: «بُشّر شيعة عليّ بعشر خصال»، وقولهم: «عشر خصال من صفات الإيمان»، وقولهم: «عشر خصال من مكارم الأخلاق»، وقولهم: «الإيمان عشر درجات»، وقولهم: «العافية عشرة أجزاء»، وقولهم: «الزّهد عشرة أجزاء»، وقولهم: «البركة عشرة أجزاء»، وقولهم: «لا يكون المؤمن عاقلاً إلاّ بعشرة خصال»، وقولهم: «الحياء عشرة أجزاء»، إلاّ في وجه ابن تيمية وأمثاله.

اكتفينا بالاستدلال بالآيات العشرة ردّاً على أكاذيب ابن تيميّة، وتجنّباً عن التّطويل، وإلاّ فليس في القرآن آية إلاّ عليّ ﷺ أميرها ورأسها، كما قال ابن عبّاس: «ما أنزل الله آية في القرآن إلاّ عليّ ﷺ أميرها ورأسها»[5]. وهذا ما يؤكّد عليه قول رسول الله ﷺ: «إنّ القرآن أربعة أرباع، فربع فينا أهل البيت خاصّة وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام، وإنّ الله أنزل في عليّ كرائم القرآن»[6].

قال يزيد بن رومان: «ما أنزل في حقّ أحد ما أنزل في عليّ من الفضل في القرآن»[7].

---

(١) – سورة البقرة: ١٩٦.

(٢) – سورة الفجر: ١و٢.

(٣) – سورة الأنعام: ١٦٠.

(٤) – سورة هود: ١٣.

(٥) – «تذكرة الخواص» لابن الجوزي: ص٢٥.

(٦) – «شواهد التّنزيل»: ج١ ص٤٢و٤٣.

(٧) – «شواهد التّنزيل»: ج١ ص٤٣.

النّصوص المتواترة على خلافة عليّ عليه السلام

عليّ عليه السلام وواقعة الغدير

الأوّل: واقعة الغدير، ولا شكّ في صحّتها حيث ذكرها من أئمّة أهل السنّة إمام الشّافعيّة، كما في نهاية ابن الأثير، وأحمد بن حنبل في مسنده ومناقبه، وابن ماجة في سننه، والتّرمذي في صحيحه.

وقد ذكر العلاّمة الأميني رواة حديث الغدير في الجزء الأول من «موسوعة الغدير»: (ص١٥-٨٣)، فبلغ عددهم أكثر من ثلاثمائة، كلّهم من أهل السنّة.

وملخّص القصّة أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قد جمع النّاس في أرض تسمّى بخمّ وهي المنطقة الّتي تتشعّب منها الطّرق إلى المدينة والعراق ومصر واليمن، وكان وصولهم إليها في اليوم الثّامن عشر من ذي الحجّة، وكان عدد الحجيج أكثر من مائة ألف إنسان. وبينما المسيرة العظيمة تواصل المسير، إذ هبط جبرائيل الأمين من عند الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله هاتفاً بالآية الكريمة: **﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾**، وأبلغه أنّ الله تعالى يأمره بأن يقيم عليّ بن أبي طالب إماماً على النّاس وخليفة من بعده ووصيّاً له، وأن يبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطّاعة على كلّ أحد. فتوقّف النّبي صلى الله عليه وآله عن السير، وأمر أن يلحق به من تأخّر عنه، ويرجع من تقدم عليه، فاجتمع المسلمون جميعاً حوله، وأدركتهم صلاة الظّهر، فصلّى رسول الله بالنّاس، وكان الجوّ حارّاً جداً، حتّى كان الرّجل منهم يضع بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحرّ، ومُدّت ظلال لرسول الله على شجرات ووضعت أقتاب الإبل بعضها على بعض، حتّى صارت كالمنبر، فوقف صلى الله عليه وآله عليها لكي يشاهده جميع الحاضرين، ورفع صوته من الأعماق، مُلقياً فيهم خطبة بليغة طويلة افتتحها بالحمد

والثّناء على الله تعالى، وركّز حديثه وكلامه حول شخصية عليّ بن أبي طالب ﷺ، وذكر فضائله ومناقبه ومزاياه ومواقفه المشرفة ومنزلته الرّفيعة عند الله ورسوله، وأمر المسلمين بطاعته وطاعة أهل بيته الطّاهرين، وأكّد أنّهم حجج الله وأولياؤه المقربون وأمناؤه على دينه، وأنّ طاعتهم طاعة الله ورسوله، ومعصيتهم معصية الله، وأنّ شيعتهم في الجنّة ومخالفيهم في النّار[١]، إلى أن قال: **إنّي أوشك أن أدعى فأجبت، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون[٢]، فماذا أنتم قائلون؟** قالوا نشهد أنّك قد بلغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً، قال: **ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقٌّ وناره حقٌّ، وأنّ الموت حقٌّ، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟** قالوا: بلى، نشهد بذلك، قال: **اللّهمّ اشهد**، ثمّ قال: **أيّها النّاس، ألا تسمعون؟** قالوا نعم، قال: **فإنّي فرطٌ على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى[٣]، فيه أقداح عدد النّجوم من فضّة فانظروا كيف تخلفوني في الثّقلين**، فنادى مناد: ما الثّقلان يا رسول الله؟ قال: **الثّقل الأكبر كتاب الله، طرفٌ ممدودٌ بيد الله عزّ وجلّ، وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به ولا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا**، ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها حتّى بان بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون.

فقال ﷺ: **أيّها النّاس، من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: الله ورسوله

---

[١] - «تفسير الصّافي» تأليف الفيض الكاشاني: ج٢ ص٥٦-٦٦.

[٢] - لعلّ قوله ﷺ: وأنتم مسؤولون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾، أي عن ولاية عليّ بن أبي طالب ﷺ كما سبق هذا التّفسير عن أهل السّنّة؟

[٣] - بصرى: منطقة من الشّام.

أعلم، قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه كرّرها ثلاث مرّات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرّات، ثمّ قال: اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فيبلّغ الشّاهد الغائب.

معاشر النّاس: إنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد، ماضٍ حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإنّ الله مولاكم، وعليّ إمامكم، ثمّ الإمامة في وُلدي من صلبه إلى يوم القيامة، لا حلال إلاّ ما أحلّه الله ورسوله ولا حرام إلاّ ما حرّم الله ورسوله، إلى أن قال: معاشر النّاس: هذا أخي ووصيّي وداعيي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربّي...

معاشر النّاس: آمنوا بالله ورسوله والنّور الّذي أنزل معه...، النّور من الله فيّ ثمّ في عليّ ثمّ في النّسل منه إلى القائم المهدي...

معاشر النّاس: سيكون بعدي أئمّة يدعون إلى النّار، ويوم القيامة لا يُنصرون، وإنّ الله وأنا بريئان منهم، إنّهم وأنصارهم وأتباعهم في الدّرك الأسفل من النّار. ثمّ لم يتفرقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[1]، فقال النّبي ﷺ: الله أكبر على إكمال الدّين وإتمام النّعمة، ورضا الرّبّ برسالتي والولاية لعليّ بعدي». ثمّ خطبة الغدير، وإن كانت طويلة، وقد طبعت بصورة مستقلّة أيضاً، وهي مع طولها مذكورة في كتاب «الولاية في طرق حديث الغدير»، للحافظ المؤرّخ ابن جرير الطّبري.

---

(١) ـ سورة المائدة: ٣.

وبعدما نزل رسول الله من المنبر، أمر المسلمين كافّة أن يهنئوا عليّ بن أبي طالب ﷺ، ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، فتهافت القوم يهنّئون أمير المؤمنين ﷺ، وممّن هنّأه من الصّحابة: الشّيخان أبو بكر وعمر، كلّ يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

وهذا الحديث المتواتر المتّفق عليه بين المسلمين يصرّح على ولاية عليّ بن أبي طالب وإمامته، بحيث لا يبقى مجال للتّشكيك بالتّأويل.

حديث الغدير والتّأويل الشّائن

ومع ذلك قد حمل أهل السّنّة حديث الغدير على أنّ الرّسول ﷺ إنّما أراد بيان نصرة عليّ للمسلمين، فيكون المولى في الحديث بمعنى النّاصر. ومن البديهي أنّ هذا التّأويل ليس إلاّ تغطية لحقّ أهل بيت الرّسالة. إذ لا يعقل أن يمنع النّبي ﷺ أكثر من مائة ألف من الحجيج عن المسير، ويأمرهم بالتّوقف والنّزول على وجه تلك الرّمضاء المحرقة، ثم خطبهم عن الله تعالى في ذلك المكان الّذي منه يتفرّقون، ليبلّغ الشّاهد منهم الغائب، وكان غرضه من هذا أن يبيّن لهم أنّ علياً ﷺ إنّما هو ناصر لهم، مع أنّهم يعلمون بأنّ عليّ بن أبي طالب ناصرٌ لهم وللإسلام.

فلو كان المراد بيان نصرة عليّ للمسلمين فلماذا سألهم فقال ﷺ: **ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ وناره حقّ، وأنّ الموت حق والبعث حق، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟**

ولماذا أخذ على سبيل الفور بيد عليّ فرفعها إليه حتّى بان بياض إبطيه، فقال: **أيّها النّاس إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه.**

ولماذا دعا بقوله: «**اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**». هل ناصر المسلمين يحتاج إلى نصرتهم لو لم يكن لهم إمام

في شؤون دينهم ودنياهم؟

نعم، إمام المسلمين يحتاج إلى نصرتهم، فعليهم أن لا يخذلوه.

فلو كان المراد بيان نصرة عليّ للمسلمين فقط، فلماذا قرن العترة بالكتاب وجعلها قدوة لأولي الألباب؟

فليس مفاد حديث الغدير إلاّ أنّ النّبي ﷺ يريد أن يعيّن ويبيّن القانون والقادة، فعنى ﷺ بالثّقل الأكبر دستور الحكومة الإسلاميّة، وبالثّقل الأصغر قادة المسلمين في الحكومة الإسلاميّة لأنّ النّبي ﷺ قد خلّف الدّولة الإسلاميّة.

وقد أراد بقوله: «**إنّي مخلّف فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي**». ما هو الدّستور في الحكومة الإسلاميّة ومن هو القائد فيها؟ فالنّاصر كالمحبّ، وإن كان من معاني لفظ المولى إلاّ أنّ القرائن المتّصلة والمنفصلة تؤكّد على أنّ المراد بالمولى من هو الأولى بالتّصرّف، لا المحبّ ولا النّاصر. ومن القرائن المتّصلة هو قوله ﷺ: «**ألست أولى بكم من أنفسكم**»، ثمّ فرّع على ذلك قوله: «**فمن كنت مولاه فعليّ مولاه**»، فكلمة المولى في الموردين بمعنى واحد. وهو الأولى بالتّصرّف لا غير، لأنّ النّبي ﷺ مولى المؤمنين بهذا المعنى. ومن القرائن المتّصلة ذيل الحديث وهو قوله ﷺ: «**اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**». ومن المعلوم أنّ هذا الدّعاء يستدعي أن يكون عليّ بن أبي طالب إماماً وقائداً لهم، فيكون الدّعاء ترغيباً لهم على الإطاعة وتحذيراً عن التّمرّد والمخالفة.

ومن القرائن المتّصلة هي التّهنئة والبيعة والمصافقة، كما عرفت. وهذه الأمور لا تلائم غير معنى الخلافة والأولويّة من المولى.

ومن القرائن المتّصلة قول النّبي ﷺ بعد بيان الولاية: «**فليبلّغ الشّاهد الغائب**». كيف يمكن أن يؤكّد النّبي ﷺ هذا التّأكيد في تبليغ الغائبين أمراً يعلمه كلّ فرد منهم بالكتاب والسّنّة من الموالاة والمحبة والنّصرة بين أفراد المسلمين؟!

ومن القرائن المتصلة قوله ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدّين وإتمام النّعمة ورضا الرّبّ برسالتي والولاية لعليّ من بعدي». فكيف يعقل أن يكون عليّ ﷺ ناصراً ومحبّاً للمسلمين بعد النّبي ﷺ فقط!! مع أنّه كان ناصراً لهم في جميع أدوار حياته.

وأمّا القرائن المنفصلة فكثيرة، منها قصّة الحارث بن النّعمان الفهري الّتي عرفتها، وآية التّبليغ وآية الإكمال.

ومنها المناشدات والاحتجاجات من عليّ بن أبي طالب ﷺ وغيره.

المناشدات من عليّ بن أبي طالب ﷺ

المناشدة الأولى: مناشدة أمير المؤمنين ﷺ يوم الشّورى. قال الخوارزمي الحنفي: أخبرني الشّيخ الإمام شهاب الدّين أفضل الحفاظ أبو النّجيب سعد بن عبد الله بن الحسن الهمداني المعروف بالمروزي فيما كتب إليّ من همدان، أخبرني الحافظ أبو عليّ الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد فيما أذن لي في الرّواية عنه، أخبرني الشّيخ الأديب أبو يعلى عبد الرّزاق بن عمر بن إبراهيم الطّهراني سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، أخبرني الإمام الحافظ طراز المحدّثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، قال الشّيخ الإمام شهاب الدّين أبو النّجيب سعد بن عبد الله الهمداني، وأخبرنا بهذا الحديث عالياً الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الأصبهاني في كتابه إليّ من أصبهان سنة ٤٨٨ عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدثني سليمان بن محمّد بن أحمد، حدثني يعلى بن سعد الرّازي، حدّثني محمّد بن حميد، حدثني زاهر بن سليمان بن الحرث بن محمّد عن أبي الطّفيل عامر بن واثلة، قال: كنت مع عليّ في البيت يوم الشّورى، وسمعته يقول لهم: لأحتجّنّ عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم تغيير ذلك. ثمّ قال: أنشدكم الله أيّها النّفر جميعاً، أفيكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا: لا، قال: فأنشدكم

الله، هل منكم أحد له أخ مثل جعفر الطّيّار في الجنّة مع الملائكـــة؟ قـالوا: اللّـهمّ لا، قال: أنشدكم الله، هل فيكم أحد له عمّ كعمّي حمزة أسد الله وأسد رســـوله ســـيّد الشّهداء غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد له زوجة مثـــل زوجتي فاطمة بنت محمّد سيّدة نساء أهل الجنّـــة غـــيري؟ قالـوا: اللّـهمّ لا، قـال: أنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطيّ الحسن والحسين سيّدي شباب أهــــل الجنّة غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد نـــاجى رســـول الله ﷺ عشر مرّات قدّم بين يدي نجـــواه صدقـــة قبلـــي؟ قـالوا: اللّـهمّ لا، قـال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّـــهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، ليبلّغ الشّاهد الغائب غـــيري»؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال لـــه رســـول الله ﷺ: «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ وأشدّهم لك حبّاً ولي حبّاً، يأكل معي من هـــذا الطّير، فأتاه وأكل معه» غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله، هل فيكـــم أحد قال له رسول الله ﷺ: لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورســـوله ويحبّـــه الله ورسوله، لا يرجع حتّى يفتح الله على يده، إذ رجع غيري منهزماً غـــيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم، هل فيكم أحد قال فيه رسول الله لوفـــد بـــني وليعـــة: «لأبعثنّ إليكم رجلاً نفسه كنفسي، وطاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي، يقتلكـــم بالسّيف» غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحد قال رســـول الله: «كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغـــض هـــذا» غـــيري؟ قـالوا: اللّـهمّ لا، قـال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ سلّم عليه في ساعة واحـــدة ثلاثـــة آلاف ملـــك مـــن الملائكة، منهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، حيث جئت بالماء إلى رسول الله مـــن القليب، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحـــدٌ قـــال لـــه جبرائيل: هذه هي المواساة، فقال له رسول الله ﷺ: إنّه منّي وأنـــا منـــه، وقـــال

جبرائيل: وأنا منكما، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا. قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحد نودي من السّماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد يقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين على لسان النّبي، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: إنّي قاتلت على تنزيل القرآن وتقاتل على تأويل القرآن، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحدٌ ردّت عليه الشّمس حتّى صلّى العصر في وقتها، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا. قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحدٌ أمره رسول الله أن يأخذ براءة من أبي بكر، فقال أبو بكر: يا رسول الله، نزل فيّ شيء، فقال: إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ عليّ، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله: لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ كافر، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون أنّه تعالى أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول الله: ما سددت أبوابكم ولا فتحت بابه، بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابه غيري؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فأنشدكم بالله أتعلمون أنّه ناجاني يوم الطّائف دون النّاس، فأطال ذلك فقلتم: ناجاه دوننا، فقال: ما أنا انتجيته، بل الله انتجاه، غيري؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فأنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ، يدور الحقّ مع عليّ كيف دار؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون أنّ رسول الله قال: إنّي تارك الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحد وقى رسول الله من المشركين بنفسه واضطجع في مضجعه غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبد ودّ العامري، حيث دعاكم إلى

البراز، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث قال: ﴿إنما يُرِيدُ..﴾ غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله: أنت سيّد العرب، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما سألت الله شيئاً إلاّ سألت لك غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا[1].

وعن عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشّورى، فسمعت عليّاً يقول: «أنشدكم بالله أمنكم من نصبه رسول الله يوم غدير خمّ للولاية غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا».

الثّانية: مناشدة أمير المؤمنين أيام عثمان بن عفّان، وهذه المناشدة طويلة، إلاّ أنّا نكتفي ببعض المقاطع.

قال عليه السلام: «فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت: ﴿يا أيّها الّذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]، وحيث نزلت: ﴿إنما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والّذِينَ آمَنُوا الّذينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾[3]، وحيث نزلت: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمّا يَعْلَمِ اللهُ الّذينَ جاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا المُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[4]، قال النّاس: يا رسول الله أخاصّة في بعض المؤمنين أم عامّة لجميعهم؟ فأمر الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ أن يعلمهم ولاة أمرهم، وأن يفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجّهم وينصبني للنّاس بعد غدير خمّ، ثمّ خطب وقال: أيّها النّاس، إنّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري،

---

[1] – «المناقب»: ص٢٢٢.

[2] – سورة النّساء: ٥٩.

[3] – سورة المائدة: ٥٥.

[4] – سورة التّوبة: ١٦.

وظننت أنّ النّاس مكذّبي فأوعدني لأبلّغها أو ليعذّبني، ثمّ أمر فنودي بالصّلاة جامعة ثمّ خطب فقال: أيّها النّاس، أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، قالوا: بلى يا رسول الله قال: قم يا عليّ، فقمت، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. فقام سلمان فقال: يا رسول الله ولاءٌ كماذا؟ فقال: ولاءٌ كولاء من كنت أولى به من نفسه. فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾، فكبّر رسول الله ﷺ، وقال: الله أكبر تمام نبوّتي وتمام دين الله ولاية عليّ بعدي، فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله، تلك الآيات خاصّة في عليّ ﷺ قال: بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة، قالا: يا رسول الله بيّنهم لنا، قال: عليّ أخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في أمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ تسعة من وُلد ابني الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتّى يردوا عليّ الحوض فقالوا كلّهم: اللّهمّ نعم، قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت، وقال بعضهم: قد حفظنا جلّ ما قلت، لم نحفظ كلّه. وهؤلاء الّذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا. فقال عليّ ﷺ: صدقتم ليس كلّ النّاس يستوون في الحفظ، أنشد الله عزّ وجلّ من حفظ ذلك من رسول الله ﷺ لمّا قام فأخبر به، فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار، فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله وهو قائم على المنبر، وأنت إلى جنبه، وهو يقول: يا أيّها النّاس، إنّ الله عزّ وجلّ أمر أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيّي وخليفتي، والّذي فرض الله عزّ وجلّ على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرن بطاعته طاعتي، وأمركم بولايته، وإنّي راجعت ربّي خشية طعن أهل النّفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأبلّغها أو ليعذّبني. يا أيّها النّاس، إنّ الله أمركم في كتابه بالصّلاة، فقد بيّنها لكم، والزّكاة والصّوم والحجّ فبيّنها لكم وفسّرها، وأمركم بالولاية، وإنّي أشهدكم أنّها لهذا

خاصّة، ووضع يده على عليّ بن أبي طالب قال: ثمّ لابنه بعده، ثمّ للأوصياء من بعدهم من ولدهم، لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم القرآن حتّى يردوا عليّ حوضيّ، أيّها النّاس، قد بينت لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ووليّكم وهاديكم، وهو أخي عليّ بن أبي طالب، وهو فيكم بمنزلتي فيكم فقلّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم، فإنّ عنده جميع ما علّمني الله من علمه وحكمته فاسألوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلموهم ولا تتقدّموهم ولا تخلفوا عليهم فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم، لا يزايلونه ولا يزايلهم، ثمّ جلسوا.

قال سليم: ثمّ قال: عليّ ﷺ: أيّها النّاس أتعلمون أنّ الله أنزل في كتابه: ﴿إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1]. فجمعني وفاطمة وابنيّ الحسن والحسين ثمّ ألقى علينا كساءً وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي ولحمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويؤذيني ما يؤذيهم، ويحرجني ما يحرجهم، فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت إلى خير، إنّما نزلت فيّ وفي ابنتي وفي أخي عليّ بن أبي طالب وفي ابني وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصّة، ليس معنا فيها لأحد شرك. فقالوا كلّهم: نشهد أنّ أمّ سلمة حدّثتنا بذلك، فسألنا رسول الله ﷺ، فحدّثنا كما حدّثتنا أم سلمة.

ثمّ قال عليّ ﷺ: أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله أنزل: ﴿يا أيّها الّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2]، فقال سلمان: يا رسول الله عامّة هذا أم خاصّة؟ قال: أمّا المؤمنون فعامّة المؤمنين أمروا بذلك، وأمّا الصّادقون فخاصّة لأخي عليّ وأوصيائيّ من بعده إلى يوم القيامة، قالوا: اللّهمّ نعم... فقال: أنشدكم الله، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك فقال: يا أيّها النّاس إنّي

---

[1] – سورة الأحزاب: ٣٣.

[2] – سورة التّوبة: ١١٩.

تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا، فإنّ اللّطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فقام عمر بن الخطّاب شبه المغضب فقال: يا رسول الله أكلّ أهل بيتك؟ فقال: لا، ولكن أوصيائي منهم، أوّلهم أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي هو أوّلهم، ثمّ ابني الحسن، ثمّ ابني الحسين ثمّ تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، حتّى يردوا عليّ الحوض. هم شهداء الله في أرضه وحجّته على خلقه، وخزان علمه ومعادن حكمته، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله. فقالوا كلّهم: نشهد أنّ رسول الله ﷺ قال ذلك[1].

الثّالثة: احتجاج أمير المؤمنين ومناشدته الّذين أرادوا الغائلة. قال عامر بن واثلة: «كنت على الباب يوم الشّورى، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليّاً يقول: بايع النّاس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع النّاس كفّاراً، يضرب بعضهم رقاب بعض بالسّيف ثمّ بايع النّاس عمر، وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع النّاس كفّاراً، يضرب بعضهم رقاب بعض بالسّيف.

ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان؟! إذاً لا أسمع ولا أطيع، وإنّ عمر جعلني من خمسة نفر أنا سادسهم، لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصّلاح، ولا يعرفونه لي، كلّنا فيه شرع سواء، وأيم الله لو أشاء أن أتكلّم، ثمّ لا يستطيع عربيّهم ولا عجميّهم ولا معاهد منهم ولا المشرك ردّ خصلة منها لفعلت»[2]. ثمّ ذكر جميع ما تقدّم في مناشدته الأولى والثّانية.

وهذه المناشدات دليل كاف على إمامة عليّ بن أبي طالب من قبل الله ورسوله،

---

[1] - «فرائد السّمطين» لشيخ الإسلام الشّافعي الحمويني: ج١ ص٣١٢-٣١٨.

[2] - «فرائد السّمطين»: ج١ ص٣١٩.

إلاّ أنّ الصّحابة أخرجوها عن أهل بيت رسول الله غصباً وعناداً. ثمّ هذه الكتب الّتي ذكرت فيها هذه المناشدات من أكابر أهل السنّة. ونكتفي بهذا المقدار تجنّباً عن التّطويل، وإلاّ فاحتجاجات عليّ بن أبي طالب كثيرة. فلا ينبغي الشّكّ بعد هذه الأمور في كون «مولى» في حديث الغدير بمعنى أولى بالتّصرف، لا بمعنى النّاصر أو المحبّ.

وأمّا الاحتجاجات الّتي صدرت من غير عليّ عليه السلام فهي كثيرة وردت في موارد مختلفة، لذا سنكتفي بذكر بعضها مع إسقاط الأسانيد تجنّباً عن التّطويل.

احتجاج فاطمة بنت رسول الله ﷺ: حيث قالت عليها السلام: **أنسيتم قول رسول الله يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، وقوله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى عليه السلام**[1].

احتجاج الإمام الحسن عليه السلام: «لمّا أجمع على صلح معاوية قام خطيباً، وحمد الله، وأثنى عليه، وذكر جدّه المصطفى بالرّسالة والنّبوّة، ثمّ قال: **إنّا أهل البيت أكرمنا الله بالإسلام، واختارنا واصطفانا، وأذهب عنا الرّجس وطهّرنا تطهيراً...**»، إلى أن قال: «**وقد سمعت هذه الأمّة جدّي رسول الله ﷺ يقول: ما ولّت أمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه، إلاّ لم يزل أمرهم سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوه وسمعوه يقول لأبي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي. وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خمّ وقال لهم: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ثمّ أمرهم أن يبلّغ الشّاهد الغائب**»[2].

---

(١) – ذكرها شمس الدّين أبو الخير الجزري الدّمشقي في كتابه «أسنى المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب» عن السّخاوي في «الضّوء اللامع»: ج٩ ص٢٥٦، والشّوكاني في «البدر اللامع»: ج٢ ص٢٩٧.

(٢) – «ينابيع المودة»: ج٣ ص١٥٠، القندوزي الحنفي، تركنا الذّيل خوفاً من التّطويل.

احتجاج الإمام الحسين ﷺ. فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين بن علي ﷺ فجمع الحسين ﷺ بني هاشم، رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم، من حجّ منهم ومن لم يحجّ، ومن الأنصار ممّن يعرف الحسين وأهل بيته، ثمّ لم يترك أحداً حجّ ذلك العام من أصحاب رسول الله ومن التابعين من الأنصار المعروفين بالصّلاح والنّسك، إلاّ جمعهم واجتمع عليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل، وأكثرهم من التّابعين، ونحو مائتي رجل من أصحاب النّبي ﷺ، فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد: **فإنّ هذا الطّاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنّي أريد ان أسألكم عن شيء، فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذّبوني، واسمعوا مقالتي واكتبوا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم ومن ائتمنتموه من النّاس ووثقتم به، فادعوه إلى ما تعلمون من حقّنا، فإنّا نخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب ويغلب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون. وما ترك شيئاً ممّا أنزل الله في القرآن فيهم إلاّ تلاه وفسّره ولا شيئاً ممّا قاله رسول الله ﷺ في أبيه وأمه ونفسه وأهل بيته إلاّ رواه، وكل ذلك يقولون: اللّهمّ نعم، قد سمعنا وشهدنا. ويقول التّابعون: اللّهمّ نعم، قد حدّثني به من أصدّقه وأئتمنه من الصّحابة إلى أن قال ﷺ: أنشدكم الله، أتعلمون أنّ رسول الله نصبه يوم غدير خمّ، فنادى له بالولاية وقال: ليبلّغ الشّاهد الغائب؟ قالوا: اللّهمّ نعم، الحديث»**[1].

احتجاج الإمام الحسين على عمر بن الخطّاب في الإمامة والخلافة. روي أنّ عمر بن الخطّاب كان يخطب النّاس على منبر رسول الله ﷺ، فذكر في خطبته أنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال له الحسين ﷺ من ناحية المسجد: **انزل أيّها الكذّاب عن منبر أبي رسول الله ﷺ لا منبر أبيك!**

---

[1] - «الغدير، للعلامة» الأميني: ج١ ص١٩٨و١٩٩.

بالمؤمنين من أنفسهم، فقال له الحسين عليه السلام من ناحية المسجد: انزل أيّها الكذّاب عن منبر أبي رسول الله ﷺ لا منبر أبيك!

فقال له عمر: فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبيّ، من علّمك هذا أبوك عليّ بن أبي طالب؟

فقال له الحسين عليه السلام: إن أطع أبي فيما أمرني فلعمري إنّه لهادٍ وأنا مهتدٍ به وله في رقاب النّاس البيعة على عهد رسول الله، نزل بها جبرائيل من عند الله تعالى، لا ينكرها إلاّ جاحد بالكتاب، قد عرفها النّاس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم، وويل للمنكرين حقّنا أهل البيت، ماذا يلقاهم به محمّد رسول الله ﷺ من إدامة الغضب وشدّة العذاء.

فقال عمر: يا حسين من أنكر حقّ أبيك فعليه لعنة الله، أمّرنا النّاس فتأمّرنا، ولو أمّروا أباك لأطعنا. فقال له الحسين: يا بن الخطّاب فأيّ النّاس أمّرك على نفسه قبل أن تؤمّر أبا بكر على نفسك ليؤمّرك على النّاس بلا حجّة من النّبي ولا رضاً من آل محمّد؟ فرضاكم كان لمحمّد ﷺ أيضاً، أو رضا أهله كان له سخطاً؟! أما والله لو أنّ للّسان مقالاً يطول تصديقه وفعلاً يعينه المؤمنون، لما تخطّأت رقاب آل محمّد، ترقى منبرهم، وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزّل فيهم لا تعرف معجمه، ولا تدري تأويله إلاّ سماع والآذان، المخطئ والمصيب عندك سواء، فجزاك الله جزاك، وسألك عمّا أحدثت سؤالاً حفيّاً.

قال فنزل عمر مغضباً، فمشى معه أناس من أصحابه حتّى أتى باب أمير المؤمنين عليه السلام، فاستأذن عليه فأذن له، فدخل فقال: يا أبا الحسن، ما لقيت اليوم من ابنك الحسين، يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله ويحرّض عليّ الطّغام وأهل المدينة.

فقال له الحسن عليه السلام: على مثل الحسين ابن النّبي ﷺ يشخب بمن لا حكم له، أو

يقول بالطّغام على أهل دينه؟ أما والله ما نلت إلاّ بالطّغام، فلعن الله من حرّض الطّغام.

فقال له أمير المؤمنين ﷺ: **مهلاً يا أبا محمّد فإنّك لن تكون قريب الغضب، ولا لئيم الحسب، ولا فيك عروق من السّودان، اسمع كلامي ولا تعجّل بالكلام،** فقال له عمر: يا أبا الحسن إنّهما ليهمّان في أنفسهما بما لا يرى بغير الخلافة، فقال أمير المؤمنين: **هما أقرب نسباً برسول الله من أن يهمّا، أمّا فارضهما يا بن الخطّاب بحقّهما يرضى عنك من بعدهما،** قال: وما رضاهما يا أبا الحسن؟ قال: **رضاهما الرّجعة عن الخطيئة والتّقية عن المعصية بالتوبة.**

فقال له عمر: أدّب يا أبا الحسن ابنك أن لا يتعاطى السّلاطين الّذين هم الحكماء في الأرض. فقال له أمير المؤمنين ﷺ: **أنا أؤدّب أهل المعاصي على معاصيهم، ومن أخاف عليه الذلّة والهلكة فأمّا من والده رسول الله، ونحله أدبه، فإنّه لا ينتقل إلى أدب خير له منه، أمّا فارضهما يا بن الخطّاب؟!** قال: فخرج عمر فاستقبله عثمان بن عفّان، وعبد الرّحمن بن عوف، فقال له عبد الرّحمن: يا أبا حفص ما صنعت فقد طالت بكما الحجّة؟ فقال له عمر: وهل حجّة مع ابن أبي طالب وشبليه؟!»[1].

احتجاج عمّار بن ياسر يوم صفّين على عمرو بن العاص: روى نصر بن مزاحم الكوفي في كتاب صفّين في حديث طويل عن عمّار بن ياسر، يخاطب عمرو بن العاص يوم صفّين، قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقاتل النّاكثين وقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم، وأمّا المارقين، فما أدري أدركهم أم لا، أيّها الأبتر، ألست تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: **من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه؟ وأنا مولى الله ورسوله وعليّ بعده، وليس لك**

---

(١) – «احتجاج الطّبرسي»: ج٢ ص٢٩٢.

مولى»[١].

احتجاج برد على عمرو بن العاص. قال أبو محمّد بن قتيبة: وذكروا أنّ رجلاً من همدان يقال له برد، قدم على معاوية فسمع عمراً يقع في عليّ ﷺ، فقال له: يا عمرو، إنّ أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول: **من كنت مولاه فعليّ مولاه**، فحقّ ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حقّ وأنا أزيدك: إنّه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب عليّ، ففزع الفتى، فقال عمرو: إنّه أفسدها بأمره في عثمان. فقال برد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا ولكنّه آوى ومنع. قال: فهل بايعه النّاس عليها؟ قال نعم، قال: فما أخرجك من بيعته؟ قال اتّهامي إيّاه في عثمان، قال له: وأنت أيضاً قد اتّهمت، قال: صدقت فيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم عليّ على الحقّ فاتّبعوه»[٢].

احتجاج عمرو بن العاص على معاوية. ذكر الخطيب الخوارزمي الحنفي في المناقب: كتاباً لمعاوية كتبه إلى عمرو بن العاص يطلب منه النّصرة في حرب صفّين، ثمّ ذكر كتاباً لعمرو مجيباً به معاوية[٣].

ومن جملة كتاب عمرو قوله: «وأمّا ما نسبت أبا الحسن أخا رسول الله ووصيّه إلى البغي والحسد على عثمان، وسميت الصّحابة فسقة، وزعمت أنّه أشلاهم على قتله، فهذا كذب وغواية ويحك يا معاوية؟ أما علمت أنّ أبا الحسن بذل نفسه بين يدي رسول الله ﷺ وبات على فراشه؟ وهو صاحب السّبق إلى الإسلام والهجرة، وقد قال فيه رسول الله: هو منّي وأنا منه، وهو منّي بمنزلة هارون من

---

[١] - «الغدير للعلامة» الأميني: ج١ ص٢٠٢، نقلاً عن كتاب «صفين»: ص١٧٦.

[٢] - «الإمامة والسّياسة»: ص٩٣ طبع القديم، وص١٠٩ طبع الجديد.

[٣] - «المناقب»: ص١٢٤ طبع القديم، وص١٢٩ طبع الجديد.

موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟ وقال فيه يوم غدير خمّ: **ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»**، والمعروف أنّ عمرو بن العاص لم يبايع معاوية إلاّ بعد أن كتب له كتاباً بمصر على أنّها طعمة له[١].

وكذا معاوية لا يبايع عليّاً إلاّ إذا كتب له كتاباً بالشّام ومعها مصر أيضاً على أنهما هبة له وجباية مادام حيّاً، وهذا ما قاله معاوية لجرير رسول الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال له بالحرف الواحد: «أكتب إلى صاحبك أن يجعل ليّ الشّام ومصر جباية»[٢].

فعلى الّذين يظنّون أنّ عليّاً ﷺ لا يعرف السّياسة أن يدرسوا التّاريخ، ويذكروا هذه الحقيقة، وينظروا إلى معاوية نظرتهم إلى ابن العاص، لأنّ الرّجلين من طينة واحدة، وعلى مبدأ واحد، وهو مبدأ الكسب والمساومة، وارتكاب الجرائم والمآثم من أجل المناصب والمراكز.

قال المستشرق «أوزبورد»: «كان معاوية مخادعاً داهية ذا قلب خال من كلّ شفقة، كان ذلك الأموي لا يتهيّب الإقدام على أيّة جريمة من أجل أن يضمن مركزه»[٣].

أمّا جريمة عمرو بن العاص فهي خدعته في حرب صفّين، حينما أشرف جيش الإمام على الفتح، ولم يبق إلاّ ساعات، فقال ابن العاص: أيّها النّاس من كان معه مصحف فليرفعه على رمح، فتوقّف جيش الإمام عن القتال، وقالوا بوقف القتال وقبول التّحكيم.

---

[١] – «الإمام عليّ بن أبي طالب»، تأليف محمّد رضا: ص١٥٤.

[٢] – «فضائل الإمام عليّ ﷺ»، تأليف محمّد جواد مغنية: ص١٤٥.

[٣] – «روح الإسلام لسيد مير عليّ»: ص٢٠٥ ترجمة عمر الديراوي.

أمّا أمير المؤمنين فهو القائل: «والله إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعليّ ونعيم يفنى ولذّة لا تبقى؟!».

احتجاج قيس بن سعد. قدم معاوية بن أبي سفيان حاجّاً إلى المدينة في أيّام خلافته بعدما توفّي الإمام الحسن ﷺ، فاستقبله أهل المدينة، فجرى بينه وبين قيس بن سعد أبي عبادة الأنصاري الخزرجي الصّحابي الكبير حديث طويل، وفيه أنّه قال قيس: ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حقّ مع عليّ وولده من بعده بعدما نصّه.

فغضب معاوية وقال: يا بن سعد، ممّن أخذت هذا؟ وعمّن رويته؟ وعمّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟ فقال قيس: سمعته وأخذته ممّن هو خير من أبي وأعظم حقاً من أبي. قال: من؟ قال: عليّ بن أبي طالب عالم هذه الأمّة وصدّيقها الّذي أنزل الله فيه: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ﴾[1]، فلم يدع آية نزلت في عليّ ﷺ إلاّ قد ذكرها.

قال معاوية: فإنّ صدّيقها أبو بكر وفاروقها عمر والّذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام.

قال قيس: أحق هذه الأسماء وأولى بها الّذي انزل الله فيه: ﴿أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ﴾[2]، والّذي نصبه رسول الله ﷺ بغدير خمّ فقال: «من كنت مولاه أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه»، وفي غزوة تبوك: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»[3].

وهناك احتجاجات أخرى تركنا ذكرها تجنّباً عن التّطويل.

---

[1] - سورة الرّعد: ٤٣.

[2] - سورة هود: ١٧.

[3] - «الغدير»: ج١ ص٢٠٨، نقلاً من كتاب سليم بن قيس الهلالي.

وبعد هذه المناشدات والاحتجاجات يعلم بالضّرورة أنّ المراد بكلمة المولى في حديث الغدير هو الأولى بالتّصرف، ولا يعقل أن يكون المراد به النّاصر أو المحبّ.

فالقول بأنّ المراد من المولى في الحديث هو النّاصر أو المحبّ، ليس إلاّ تغطية بحقّ آل البيت وتأييداً لأعدائهم.

ومن القرائن الّتي تؤكّد على أنّ المراد بالمولى هو أولى بالتّصرف حديث التّهنئة بعد خطبة النّبي ﷺ، حيث قال النّبي ﷺ: «**معاشر النّاس قولوا: أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا وميثاقاً بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤدّيه إلى أولادنا وأهالينا، لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيد علينا، وكفى بالله شهيداً، قولوا ما قلت لكم وسلموا على عليّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فإنّ الله يعلم كلّ صوت وخائنة كلّ نفس، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً، قولوا ما يرضي الله عنكم، فإن تكفروا فإنّ الله غنيٌّ عنكم**.

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر النّاس بقولهم: نعم، سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أوّل من صافق النّبي ﷺ وعليّاً أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزّبير وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي النّاس، إلى أن صلّى الظّهرين في وقت واحد، وامتدّ ذلك إلى أن صلّى العشاءين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة»[١].

قال المؤرّخ ابن خاوند شاه، وهو من أهل السّنّة، بعد ذكر حديث الغدير ما ترجمته: «ثمّ جلس رسول الله في خيمة تختص به، وأمر أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة أخرى، وأمر أطباق النّاس بأن يهنّئوا عليّاً في خيمته، ولمّا فرغ النّاس من التّهنئة له، أمر رسول الله أمّهات المؤمنين بأن يسرن إليه ويهنّئنه ففعلن،

---

[١] ـ «كتاب الولاية»: تأليف محمّد بن جرير الطّبري: ص٢١٤-٢١٦.

وممّن هنّأه من الصّحابة عمر بن الخطّاب فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات[1].

وقال غياث الدّين في «حبيب السّير» ما معرّبه: «ثمّ جلس أمير المؤمنين بأمر من النّبي ﷺ في خيمة تختصّ به، يزوره النّاس ويهنّئونه، وفيهم عمر بن الخطّاب فقال: بخٍ بخٍ يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. ثمّ أمر النّبي ﷺ أمّهات المؤمنين بالدّخول على أمير المؤمنين والتّهنئة له»[2].

وخصوص حديث تهنئة الشّيخين رواه من أئمّة الحديث والتّفسير والتّاريخ من رجال السّنّة كثير[3].

ومع هذه القرائن الّتي تفيد القطع بأنّ المراد بالمولى هو أولى بالتّصرف لا يبقى مجال لتأويل حديث الغدير.

عليّ ؑ وحديث الثّقلين

الثّاني: حديث الثّقلين. بعد ذكرنا لحديث الغدير في سياق الاستدلال على خلافة عليّ ؑ بالنّصوص المتواترة نتطرّق الآن إلى حديث الثّقلين، وهذا الحديث، وإن ورد بألفاظ متعدّدة، إلاّ أنّا نكتفي بذكر بعضها:

الأوّل: عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثّقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».**

الثّاني: في الغدير... قال ﷺ في خطبته المشهورة: «... **فانظروا كيف تخلفوني في الثّقلين.** فنادى مناد: وما الثّقلان يا رسول الله؟ فقال ﷺ: **كتاب الله، طرف بيد**

---

[1] - «روضة الصّفا»: الجزء الثّاني من المجلّد الأوّل، ص١٧٣.

[2] - «حبيب السّير»، تأليف غياث الدّين: ج١ ص١٤٤.

[3] - راجع «الغدير» للعلامة الأميني: ج١ ص٢٧٢.

الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر: عترتي، وإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي فلا تقدموهما فتُهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم»[١].

الثّالث: قال رسول الله ﷺ: «أيّها النّاس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما، وهما كتاب الله، وأهل بيتي عترتي»[٢].

الرّابع: وروى الحافظ جمال الدّين محمّد بن يوسف الزّرندي المدني في كتابه «نظم درر السّمطين» عن زيد بن أرقم قال: «أقبل رسول الله ﷺ يوم حجّة الوداع فقال: إنّي فرطكم على الحوض، فإنّكم تبعي، وإنّكم توشكون أن تردوا عليّ الحوض، فأسألكم من ثقليّ، كيف خلّفتموني فيهما؟ فقام رجل من المهاجرين، فقال: ما الثّقلان؟ قال: الأكبر منهما كتاب الله والأصغر عترتي، فتمسّكوا بهما، فمن استقبل قبلتي وأجاب دعوتي فليستوص بعترتي خيراً، فلا تقتلوهم ولا تقهروهم، ولا تقصروا عنهم، وإنّي قد سألت لهما اللّطيف الخبير فأعطاني أن يردا كهاتين، وأشار بالمسبحتين، ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليّهما لي وليّ، وعدوّهما لي عدوّ»[٣].

الخامس: قول النّبي ﷺ: «إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله، وأهل بيتي،

---

(١) - «مجمع الزّوائد» للهيثمي: ج٩ ص١٦٣، و«ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٣٥.

(٢) - «ينابيع المودة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٣٥.

(٣) - «ينابيع المودّة»: ج١ ص٣٥

وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

ورواه الثّعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾.

فلا ينبغي الشّكّ في صحة الحديث، لأنّه بألفاظه المختلفة متواتر بين الفريقين.

وأمّا دلالة الحديث على إمامة الأئمّة من أهل البيت ﷺ فواضحة وضوح الشّمس في رابعة النّهار. لأنّ النّبي ﷺ قد خلّف الدّولة الإسلاميّة الّتي لابدّ أن تكون لها القيادة والدّستور. والمستفاد من الحديث أنّ القيادة تختصّ بأهل البيت والدّستور بالكتاب.

فلولا قيادة أهل البيت وإمامتهم لم يكن هناك معنى لتصريح النّبي ﷺ بعدم افتراق الكتاب حتّى يردا الحوض، فذلك دليل على علمهم بالكتاب دون غيرهم، وعدم مخالفتهم له قولاً وعملاً.

ولولا إمامتهم لم يكن هناك وجه لجعلهم عدلاً للقرآن، وذلك يستدعي وجوب التّمسك بهم، كما يجب التّمسّك بالقرآن. ومن البديهي أنّه لا يجب التّمسّك إلاّ بالنّبي أو الإمام المعصوم.

ويؤكّد على ذلك ما تقدّم من بعض الألفاظ، حيث جعلهما النّبي ﷺ خليفتين. فخلافة القرآن ليست إلاّ بكونه دستوراً للحكومة الإسلاميّة، وخلافة العترة ليست إلاّ بإمامتهم وقيامهم بمصالح الإسلام والمسلمين. ويؤيّده وقوع قول النّبي ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثّقلين» بعد إخباره عن قرب موته.

إذ من البديهيّ أنّ صاحب السّلطة إذا ذكر موته، ثمّ قال: إنّي تارك فيكم فلاناً أو كتاباً، لم يفهم من كلامه إلاّ العهد إلى ذلك الشّخص بالإمارة والولاية.

---

[١] - «ينابيع المودّة»: ج١ ص٣٧، وقد روى حديث الثّقلين أحمد بن حنبل إمام الحنابلة في مسنده، في الجزء الثّالث: ص١٦، ٢٦، ٥٩، وفي الجزء الرّابع: ص٣٦٦، ٣٧١، وفي الجزء الخامس: ص٣٢٦، ورواه مسلم في فضائل عليّ ﷺ: ج٧ ص١٢٣.

وقوله ﷺ في بعض الألفاظ: «**إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما**» صريح في إمامة أهل البيت، إذ لا ضلال في متابعتهم، والنّبي ﷺ علّق عدم ضلال أمّته على التمسّك بالثّقلين.

فحديث الثّقلين بألفاظه المختلفة برهان قطعيّ على إمامة العترة الطّاهرة وضلالة من خالفهم في الإمامة وغيرها من الأحكام.

وفي بعض الألفاظ قد كرّر النّبي ﷺ أهل بيته ثلاث مرّات، حيث قال: «**أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي**»[1].

ومع ذلك لا يذكر خطباء الجمعة من أهل السّنّة: «وعترتي أهل بيتي»، بل يذكرون كلمة «وسنّتي» بدل «وعترتي»، مع أنّ ما هو الموجود في مصادرهم هو قول النّبي ﷺ: «**إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي**»، كما عرفت وقد تتبعنا في مصادرهم الموجودة عندنا، ولكن ما وجدتُ كلمة «سنّتي» بدل «عترتي».

فعليك أيّها القارئ الكريم، أن تنتبه إلى هذا التّحريف والتّزوير واسأل خطباء الجمعة: لماذا يذكرون ما وضعه الوضّاعون وتجّار الحديث الّذين اتّخذوا الكذب على الله ورسوله مهنة لهم والّذين استخدمتهم الحكومات الأمويّة والعبّاسيّة لوضع الأحاديث حسب أهوائهم ومصالحهم الشّخصية؟ ولماذا لم يذكروا ولو مرّة واحدة ما أكّده النّبي ﷺ لأهل بيته الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً. ولكن ليس ذكر الحديث المحرّف وترك الحديث الصّحيح إلاّ تغطيةً للحقّ. وقد رمى بعض علماء أهل السّنّة الشّيعة بالكذب والدّجل حيث يقول: الشّيعة خذلهم الله الّذين ليسوا بمسلمين، لأنّهم لا يعرفون من أصل الدّين شيئاً[2]. مع

---

[1] - «صحيح مسلم»: ج٧ ص١٢٣.

[2] - «منهاج السّنّة النّبوية» لابن تيمية: ج١ ص٢.

أنّ الخذلان للّذين خذلوا أهل البيت بصريح قول النّبي ﷺ في حديث الغدير، حيث قال: «اللّهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، وبصريح حديث الثّقلين حيث قال ﷺ: «ناصرهما لي ناصر وخاذلهما لي خاذل»، وبعض أهل السّنّة قد خذل أهل البيت، حيث أسقطهم عن حديث الثّقلين، فوضع «السّنّة» مكان «العترة».

وأمّا ما يكرّره أهل السّنّة في خطبة الجمعة من حديث «تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده أبداً: كتاب الله وسنّتي»، فمردود من وجوه:

الأوّل: إنّه حديث آحاد لا يقتضي علماً ولا عملاً، فلا يعارض ما ثبت عند المسلمين تواتره كحديث الثّقلين.

الثّاني: إنّ أئمّة الحديث عند أهل السّنّة لم ينقلوا هذه الكلمة في شيء من صحاحهم ومسانيدهم المعتبرة لديهم فلو كانت صحيحة لأخرجوها ولم يخرجوا غيرها، فعدم إخراجهم لها دليل على أنّها موضوعة وضعها الأمويون ليسقطوا بذلك عترة النّبي ﷺ، لأنّ عداوة الأمويين لعترة النّبي ﷺ أمرٌ غير قابل للإنكار.

الثّالث: إنّ رسول الله ﷺ لم يقرن عترته بكتاب الله إلاّ لأنّه علّمهم علومه وحمّلهم أحكامه، ليقوموا بحفظها ورعايتها، ويوضّحوا للأمة غوامضها، ويدلوها إلى تعاليم القرآن كما أنزل الله تعالى، وذلك لا يمكن أن يكون إلاّ لأعداله المعصومين بحكم النّبي ﷺ.

الرّابع: إنّ الجمع بين الحديثين على فرض صحّة حديث «وسنّتي» يستدعي أنّ الحثّ من النّبي ﷺ وقع على التّمسك بالكتاب وبالسّنة وبعلمائهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثّلاثة إلى يوم السّاعة.

وأنّ النّبي ﷺ أوجب على المسلمين الرّجوع إلى آل بيته في فهم الكتاب والسّنّة لعلمه بأنّ المسلمين -قديماً وحديثاً- يجهلون معاني كتاب الله، ويجهلون السّنّة

ولا يفهمون ما هو المقصود منهما.

الخامس: لو كان التّمسّك بالكتاب والسّنّة وحدهما يغني المسلمين عن التّمسّك بعترة النّبي الّذي حكم على المسلمين بوجوب التمسّك بهم وبالكتاب لئلاّ يقعوا في الضّلال المبين، لما وقع أكثر المسلمين في الضّلال الواضح، وأوضح دليل على ذلك ما وقع فيه الأئمّة الأربعة من الاختلاف في حكم الكتاب والسّنّة في الواقعة الواحدة، مع أنّ حكم الكتاب والسنّة في الواقعة الواحدة لا يتغيّر ولا يتبدّل، فأحد المختلفين في ضلال وخطأ بلا شكّ.

السّادس: أنّه لو كان التّمسّك بالكتاب والسنّة وحدهما يغني الأمّة من الوقوع في الضّلال، لما أوجب الله تعالى السّؤال عن المعصوم عند عدم العلم بما في الكتاب والسّنّة حيث قال تعالى: ﴿فاسْألُوا أهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]، إذ المراد من أهل الذكر هو الإمام المعصوم كما في بعض الرّوايات الواردة من أهل البيت ﷺ وذلك لأنّ وجوب السّؤال يستلزم وجوب الجواب، وهو الآخر يستلزم وجوب القبول والعمل على طبقه، ووجوب القبول والعمل به مطلقاً يستلزم عصمة المسؤول، وذلك لأنّه لو لم يكن معصوماً لأجاب بالخطأ، ولازم ذلك وجوب العمل بالخطأ، ولا شيء من الخطأ يجوز العمل به فضلاً عن وجوب العمل به، ولمّا وجب العمل به مطلقاً بحكم إطلاق الآية، علمنا أنّه معصوم.

فالحاصل إنّ التّمسك بالكتاب والسّنة لا يعصم الأمّة عن الوقوع في الضّلال إذا لم يكن ثمّة إمام معصوم يقوم بأمرهما ويرشد الأمّة إلى ما فيهما من أحكام وعلوم؟ ولا يمكن أن يكون الحافظ للشّريعة المتمثلة في الكتاب والسّنّة غير الأئمّة المعصومين من مجتهدي الأمّة، لأنّ المجتهد يجوز عليه الخطأ، فلا يقدر على حفظ الشّريعة من الضّياع، ولا يصلح أن يكون حافظاً لها وقائماً بها كما أراد الله وأنزله.

---

[1] - سورة النّحل: ٤٣.

عليّ ﷺ وحديث المنزلة

الثّالث: حديث المنزلة.. وهذا الحديث قد ورد في موارد متعدّدة.

منها: غزوة تبوك: «عن مصعب بن سعد عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليّاً فقال: أتخلفني في الصّبيان والنّساء؟ قال: **ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبي بعدي**»[1].

ومنها: «عن ابن عبّاس أنّ عمر قال: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ **يقول في عليّ ثلاث خصال، لئن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ ممّا طلعت عليه الشّمس**، كنت وأبو بكر وأبو عبيدة ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ، والنّبي ﷺ متكئ على عليّ، حتّى ضرب على منكبه ثمّ قال: **أنت يا عليّ أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّلهم إسلاماً، ثمّ قال: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك**»[2].

ومنها: في قصّة المؤاخاة عن زيد بن أبي الأوفى، أنّ النّبي ﷺ قال: «**والّذي بعثني بالحقّ، ما اخترتك إلاّ لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى..**»[3].

ومنها: عن أمّ سليم، أنّ النّبي ﷺ قال لها: «**يا أمّ سليم، إنّ عليّاً لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى**»[4].

ومن هنا يظهر بطلان ما يتخيّل من اختصاص خلافة عليّ بالمدينة في حياة

---

[1] - «صحيح البخاري»: ج٣ ص٨٦.

[2] - «كنز العمال» للفاضل الهندي: ج٦ ص٣٩٥..

[3] - «كنز العمال»: ج٦ ص٣٩٠.

[4] - «كنز العمال»: ج٦ ص١٦٤، و«صحيح مسلم»: ج٧ ص١٢٠، و«مسند أحمد»: ج١ ص١٧٠ و١٧٣ و١٧٥ و١٨٥، و«صحيح التّرمذي»: ج٢ ص٣٠، و«أسد الغابة»: ج٤ ص٢٦، وج٥ ص٨، و«خصائص النّسائي»: ص١٥ و١٦، و«ذخائر العقبى»: ص١٢٠، و«مجمع الزّوائد»: ج٩ ص١٠٩ و١١٠، و«الرّياض النّضرة»: ج٢ ص٣٣٧.

النّبي ﷺ، فلا يرتبط الحديث بخلافته بعد موت النّبي ﷺ ثمّ الحديث المذكور مسند من عدّة طرق، فلا يبقى مجال لتخيّل ابن تيميّة بأنّ هذا الحديث ليس مسنداً، بل مرسل.

وحديث المنزلة متواتر، ويكفي في ذلك أنّه ممّا ذكره أئمّة الحديث[1].

وأمّا تقريب الاستدلال به على خلافة عليّ بن أبي طالب، فيكفي فيه ما قاله الشّيخ في إرشاده: «لمّا جعل عليّاً منه بمنزلة هارون من موسى، أوجب له جميع منازل هارون من موسى، إلاّ ما خصّه العرف من الأخوّة، واستثناه هو من النّبوّة لفظاً، وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد أمير المؤمنين، ولا ساواه في معناها، ولا قاربه فيها على حال» انتهى.

وتوضيح ذلك، أنّ عليّاً ﷺ بعد رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى في حياة موسى، فكما أنّ هارون في حياة موسى كان خليفة له ويحلّ محلّه كلّما غاب موسى عن قومه، وكذلك الإمام عليّ ﷺ كان خليفة لرسول الله بعد موته بأمر من الله تعالى، لأنّ الرّسول الأعظم يشبّه عليّاً ﷺ بهارون في الخلافة والوزارة، إذ وجه الشّبه في مطلق التّشبيه يجب أن يكون من أبرز الأوصاف في المشبه به، وحينما يقال: زيد كالأسد أو بمنزلة الأسد، يراد منه أنّ زيداً كالأسد في الشّجاعة فقط، لا في كلّ ما للأسد من الأوصاف. وأبرز الأوصاف لهارون من موسى هو كونه خليفة له ووزيراً له كقوله تعالى عن لسان موسى ﷺ: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾[3].

فالغرض من تشبيه عليّ ﷺ بهارون ليس إلاّ كون عليّ وزيراً للنّبي في حياة

---

[1] - «الإصابة لابن حجر»: ج٢ ص٥٠٩.

[2] - سورة الأعراف: ١٤٢.

[3] - سورة طه: ٢٩ و٣٠.

النّبي ﷺ وخليفة له بعد وفاته ﷺ، كما يؤكّد عليه قول النّبي ﷺ: **«يا عليّ أنت أخي ووزيري وخير من أخلّفه بعدي»**[1]. فالرّسول عيّن عليّاً خليفة له بأمر من الله تعالى، وأنزله بمنزلة هارون من موسى في الوزارة والخلافة دون النبوّة لأنّ محمّداً ﷺ خاتم الأنبياء ولا نبي بعده.

فدلالة حديث المنزلة على خلافة عليّ عليه السلام بعد النّبي ﷺ واضحة لمن لا يريد تغطية الحقّ بتأويل حديث المنزلة، بأنّ حديث المنزلة يستدعي استخلاف عليّ عليه السلام عن النّبي ﷺ في مورد خاص في حياة النّبي ﷺ، ولا يرتبط بخلافة عليّ عليه السلام بعد موت النّبي ﷺ.

فشأن عليّ عليه السلام حينئذ ليس إلاّ شأن سائر من استخلفه النّبيّ ﷺ في المدينة. ولا يمكن القول بأنّ كلّ من استخلفه النّبي ﷺ في حياته يكون خليفة له بعد موته.

وبطلان هذا التّأويل لا يخفى على البسطاء فضلاً عن العلماء، لأنّ رسول الله ﷺ، وإن كان قد استخلف على المدينة غير عليّ عليه السلام، كأبي لبابة، حينما ذهب إلى «بدر»، وابن عرفطة يوم «دومة الجندل»، وابن أم مكتوم أيام غزوات «بني قريظة» و«بني لحيان» و«ذي قرد»، واستخلف أبا ذرّ يوم «بني المصطلق» ونُميلة يوم «خيبر»، وابن الأضبط يوم «عمرة القضاء»، وأبا رهم يوم «فتح مكة»، وأبا دجانة يوم حجّة الوداع.

إلاّ أنّه لم ينقل عن النّبي ﷺ لأيّ واحد من هؤلاء حديث المنزلة. فالدّليل على خلافة عليّ عليه السلام هو حديث المنزلة لا استخلافه في المدينة. فالمقصود بحديث المنزلة، إنّما هو قيادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام للأمّة الإسلاميّة بعد وفاة النّبي ﷺ.

ويؤكّد على ذلك أمور:

الأوّل: ما ذكره صاحب «ينابيع المودّة» عند تفسيره قوله تعالى: ﴿يا أيّها الّذينَ

---

[1] - «المناقب المرتضويّة» للحنفي التّرمذي: ص١١٧.

آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1] ، حيث ذكر أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين، حين خلّفه رسول الله ﷺ بالمدينة وقال: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى» حين قال موسى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾.

فربط الآية بحديث المنزلة يهدف إلى أنّ المراد بأولي الأمر هو عليّ بن أبي طالب ﷺ وأولاده المعصومون، فيكون النصّ على ولاية عليّ ﷺ قد ورد في القرآن وفي السنّة معاً.

الثّاني: ما ذكره محسن عبد النّاظر -وهو عدوّ الشّيعة الإماميّة، وقد اعترف بالحقّ من غير التفات- حيث قال: (إنّ عليّاً بكى يوم خلّفه الرّسول ﷺ على المدينة، ولمّا سئل عن سبب بكائه، أفاد أنّه يخاف أن تتّهمه قريش فتقول فيه غداً: ما أسرع ما تخلّف عن ابن عمّه وخذله... ولحق بالرّسول ﷺ وعبّر له عن تخوّفاته المتّصلة بالحاضر والمستقبل.

وفهم الرّسول ﷺ ما يجول بخاطر ابن عمّه من مخاوف مشروعة وأحاسيس نبيلة، فطمأنه، وزاده حجّة إلى حججه الكثيرة، وسلاحاً إلى أسلحته الفعّالة، لقد فهم عليّ يومها أنّ اتّهام قريش لا يضرّه، كما لم يضرّ قبل ذلك النّبيّ ﷺ، لقد قالوا فيه: إنّه ساحر، وإنّه كاهن وكذّاب، فنصره الله تعالى: وأظهر الدّين عليهم، وجعل كلمته العليا وكلمتهم السّفلى، وسيكون مصيرهم مع الولاية شبيهاً بمصيرهم مع النّبوّة، فعليه أن يستعدّ لتحمّل المسؤوليّة ومجابهة ما سيصيبه.

فكلّ سوء أصابت به قريش النّبي ﷺ ستصيب به الوصي المجتبى. فالّذين عادوا الرّسول ﷺ سيعادون عليّاً ويظلمونه، بل إنّ أعداء وظالمي الوصيّ سيكونون أكثر، إذ سيضاف إلى أعداء الرّسول ﷺ المنافقون الّذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر. وسينضمّ إليهم أيضاً الحاسدون والقاسطون والنّاكثون والمارقون. فإساءة

---

[1] - سورة النّساء: ٥٩.

هؤلاء وأولئك وظلمهم وحسدهم ونكثهم ومروقهم لن يقدر بمجموعها على تبديل ما قرره الله تعالى وقضاه.

فعليّ وصيّ الرّسول وخليفته، أذعنت قريش أم أبت. لقد فهم على كلّ ذلك من موقف ابن عمّه خاصّة عندما أعلمه أنّ حب النّيل من فضل الله تعالى مستجاب بدون خوضٍ للمعارك الصّغرى، لأنّه سيبقى بالمدينة يتحمّل الجهاد الأكبر...

وهكذا شعر عليّ أنّ مكانته لا يمكن لأحد من المسلمين أن يملأها، وأنّ مسؤوليته لا يتسنّى لأحد غير الرّسول ﷺ أن يتحمّلها. لقد قال له ابن عمّه: «إنّ المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك».

فمن من المسلمين حظي بمكانة مماثلة؟ ومن يستطيع أن ينافسه أمر الخلافة؟ إنّ الرّسول ﷺ لم ينتقل إلى جوار ربّه إلاّ بعد أن بيّن أنّ مكانة عليّ تؤهّله لقيادة المسلمين، فأغلق بذلك الطّريق أمام الطّامعين والحاسدين الّذين شرعوا في حياة الرّسول في تسطير الخطط لإبعاد عليّ بن أبي طالب عن القيام بدوره الّذي خصه الله به...

ولقد اطّلع كلّ المسلمين على أنّ مكانة الوصي من الرّسول شبيهة بمكانة هارون من أخيه موسى في جميع الحالات إلاّ النّبوّة وبذلك مُني أعداء عليّ بالخيبة.

وقد أخبر الرّسول ﷺ أصحابه المحبّ منهم لعليّ والمبغض له، أنّ الله تعالى يرضى لرضا الرّسول ويغضب لغضبه، وأنّ الرّسول يرضى لرضا ابن عمّه عليّ بن أبي طالب ويغضب لغضبه.

فالنّتيجة الحتميّة لهذه المعادلات لا تكون إلاّ دعوة صريحة إلى محبّة عليّ، والاقتداء به، والتّسليم عليه بالخلافة إذا انتقل الرّسول إلى الرّفيق الأعلى. لقد أكّد الرّسول ﷺ على هذا الاستنتاج يوم قال لأصحابه: «هذا عليّ بن أبي طالب،

لحمه لحمي، ودمه دمي، فهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»[1].

الثّالث: ما تقدّم من تمنّي عمر بن الخطّاب لأن يكون له واحدة من ثلاث خصال، ومنها قول النّبي ﷺ لعليّ ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، إذ لا معنى للتمنّي إذا لم يكن المراد من الحديث تنزيل عليّ منزلة هارون في الخلافة.

فلا يبقى مجال للمناقشة في دلالة حديث المنزلة على خلافة عليّ ﷺ، ولهذا اضطرّ ابن تيميّة إلى تكذيب الحديث من الأوّل تارة، ونسبته إلى الإرسال أخرى، مع أنّ الحديث متّفق عليه بين الفريقين ومسند بأسانيد متعدّدة.

عليّ ﷺ ووجوب الطّاعة

الرّابع: ما ورد من النّبي ﷺ في وجوب إطاعة عليّ ﷺ. قال رسول الله ﷺ لعمّار: «إنّه سيكون في أمّتي من بعدي هنات حتّى يختلف السّيف فيما بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، وحتّى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك، فعليك بهذا الأصلع عن يميني، يعني عليّ بن أبي طالب، فإن سلك النّاس كلهم وادياً وسلك عليّ وادياً، فاسلك وادي عليّ بن أبي طالب، وخلّ عن النّاس. يا عمّار، إنّ عليّاً لا يردّك عن هدى ولا يدلّ على ردى، يا عمّار طاعة عليّ طاعتي وطاعتي طاعة الله تعالى»[2].

ومن البديهي أنّ كون إطاعة عليّ ﷺ نفس إطاعة الرّسول ﷺ يدلّ على أنّه خليفته. فمفاد الرّواية أنّ الطّريق المستقيم بعد النّبي ﷺ هو خط عليّ ﷺ وأهل بيت النّبي ﷺ فقط. وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «عليّ طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي»[3].

---

[1] ـ «مسألة الإمامة»: ص٢١٦.

[2] ـ «فرائد السّمطين»: ج١ ص١٧٨.

[3] ـ «فضائل الصّحابة» لأحمد بن حنبل: ج٢ ص٦٦٢، و«عمدة عيون صحاح الأخبار» لابن البطريق: ص٨٨.

عليّ ﷺ وحديث الخلافة

الخامس: حديث الخلافة. «عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم قسم ذلك النّور جزأين، فجزء أنا وجزء عليّ، ففيّ النّبوّة وفي عليّ الخلافة»(١).

وعن عليّ بن موسى الرّضا ﷺ عن أبيه عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من أحبّ أن يتمسّك بديني ويركب سفينة النّجاة بعدي، فليقتد بعليّ بن أبي طالب، وليعاد عدوّه وليوال وليّه، فإنّه وصيّي وخليفتي في أمّتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كلّ مسلم، وأمير كلّ مؤمن بعدي، قوله قولي، وأمره أمري، ونهيه نهيي، وتابعه تابعي، وناصره ناصري، وخاذله خاذلي. ثمّ قال ﷺ: من فارق عليّاً بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن خالف عليّاً حرّم الله عليه الجنّة، وجعل مأواه النّار، ومن خذل عليّاً، خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر عليّاً نصره الله يوم يلقاه، ولقّنه حجّته عند المسألة»(٢).

أيّها القارئ الكريم، من هو الخاذل؟ ومن هو النّاصر؟ أهل السّنّة هم خاذلون لعليّ بن أبي طالب، فخذلهم الله بمقتضى هذا الحديث، والإماميّة هم ناصرون فنصرهم الله.

ومع ذلك، أهل السّنّة حينما يذكرون الإماميّة يقولون الرّافضة خذلهم الله، ولا ذنب لهم إلاّ أنّهم يرفضون الباطل، لأنّهم شيعة عليّ بن أبي طالب ﷺ.

عليّ ﷺ وحديث: «عليّ مع الحق والحق مع عليّ»

السّادس: حديث عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ. «عن أبي ثابت مولى أبي ذرّ،

---

(١) - «فرائد السّمطين»: ج١ ص١٧٩.

(٢) - «فرائد السّمطين» تأليف شيخ الإسلام الجويني الشّافعي: ج١ ص٥٤.

قال دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً، وقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»[١].

وعن عبد الله بن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «الحقّ مع عليّ بن أبي طالب حيث دار»[٢]. ولا ريب في صحّة الحديث لكونه متواتراً.

وعن شهر بن حوشب قال: «كنت عند أمّ سلمة (رضي الله عنها)، إذ استأذن رجل فقالت له: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى عليّ بن أبي طالب ﷺ، فقالت أمّ سلمة: مرحباً بك يا أبا ثابت، أدخل، فدخل، فرحبت به، ثمّ قالت: يا أبا ثابت، أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ فقال: مع عليّ ﷺ. قالت: وفقت، والّذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مع الحقّ والقرآن والحقّ والقرآن مع عليّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٣].

ودلالة هذه الرّوايات على خلافة عليّ ﷺ واضحة، إذ ليس خليفة الرّسول ﷺ إلاّ من دار معه الحقّ ولم يفارق الحقّ والقرآن.

نعم، كيف لا يكون الحقّ مع عليّ وهو باب مدينة علم رسول الله ﷺ؟ قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»[٤].

وكيف لا يكون الحقّ معه، وهو أعلم النّاس بعد رسول الله؟ حيث قال رسول الله ﷺ: «أعلم أمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب ﷺ»[٥].

وكيف لا يكون الحقّ مع عليّ، وهو وليّ الله؟ حيث قال النّبي ﷺ: «لما عرج بي

---

(١) - «ترجمة الإمام عليّ من تاريخ ابن عساكر الشّافعي»: ج٣ ص١٥٣.
(٢) - «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: ج١ ص١٧٧.
(٣) - «فرائد السّمطين»: ج١ ص١٧٧.
(٤) - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي: ج٢ ص٣٧٧. ، و«أسد الغابة» لابن الأثير: ج٤ ص٢٢.
(٥) - «كفاية الطّالب» للكنجي الشّافعي: ص١٩٠.

إلى السّماء وعُرضت عليّ الجنّة وجدتُ على أوراق أشجار الجنّة مكتوباً: **لا إلـه إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليّ بن أبي طالب وليّ الله، الحسن والحسين صفوة الله»**[١].

كيف لا يكون الحقّ مع عليّ، وهو الصّراط المستقيم؟ إذ جاء في الحديث: عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا عليّ أنت الطّريق الواضح وأنت الصّراط المستقيم»**[٢].

أهل البيت عليهم السلام وحديث السّفينة

السّابع: حديث السّفينة. عن أبي ذرّ، حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»**[٣].

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النّبي ﷺ يقول: **«إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غفر له»**[٤].

وفي حديث آخر قال النّبي ﷺ: **«نحن سفينة النّجاة، من تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»**[٥].

وهذه الأحاديث المتظافرة من طرق السّنة والشّيعة تنصّ على أنّ مثل أهل البيت مثل سفينة نوح.

ومن البديهي أنّ تمثيلهم بسفينة نوح صريح في وجوب اتّباعهم والاقتداء

---

[١] - «درّ بحر المناقب» لابن حسنويه الموصلي الحنفي: ص٣١.

[٢] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٣٢.

[٣] - «مستدرك الصّحيحين»: ج٢ ص٣٤٣، و«ينابيع المودّة»: ج١ ص٢٦، و«كنز العمّال»: ج٦ ص٢١٦، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: ج٤ ص٣٠٦، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي: ج١٢ ص١٩ أو ٩١.

[٤] - «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: الجنّة٢ ص٢٤٢.

[٥] - «فرائد السّمطين»: ج١ ص٣٧، و«المناقب» للخوارزمي: ص٢٥٢.

بأقوالهم وأفعالهم، وحرمة مخالفتهم، وحرمة اتّباع من خالفهم. فكما أنّ كلّ من ركب مع نوح في سفينته نجا من الغرق، ومن لم يركب غرق وهلك، فكذلك كلّ من اتّبع أهل البيت أصاب الحقّ ونجا من سخط الله وعذابه. وأصحاب السّقيفة قد تخلّفوا عن سفينة النّجاة، فهم هالكون.

ولا يقصر عنه في الدّلالة خبر تسميتهم بباب حطّة، الدّال على أنّ النّجاة في اتّباعهم، والخلاص من الذّنوب والمعاصي بالأخذ بطريقتهم، لأنّهم أمان لأهل الأرض، كما روي عن الرّسول ﷺ أنّه قال: **«النّجوم أمان لأهل السّماء وأهل بيتي أمان لأمّتي»**[1].

وفي حديث آخر: **«النّجوم أمان لأهل السّماء، فإذا ذهبت ذهب أهل السّماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»**[2].

وفي حديث ثالث أنّ النّبي قال: **«النّجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»**[3].

وهذه الأحاديث تؤكّد على إمامة أهل البيت وعصمتهم ﷺ، لأنّ أمانهم لأهل الأرض يستدعي كرامتهم عند الله تعالى، وامتيازهم بالفضيلة والعصمة، فإنّ العاصي لا يكون أماناً لنفسه، فكيف يكون أماناً لغيره؟!

فالنّتيجة الحتميّة لأحاديث السّفينة والأمان هي قيادة آل رسول الله ﷺ. فإنّ الإنسان كما يحتاج في حياته الفرديّة إلى العلم والعقل والكياسة، كذلك يحتاج في حياته الاجتماعيّة إلى قيادة حكيمة. والقيادة الحكيمة هي بمنزلة السّفينة، توصل المجتمع إلى ساحل السّعادة الأبديّة، والرّسول الأعظم جعل أهل بيته قادةً وأئمّة

---

(١) - «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: ج٢ ص٢٤١.

(٢) - «الصّواعق المحرقة» لابن حجر: ص١٨٢.

(٣) - «مستدرك الحاكم»: ج٣ ص١٤٩.

للمسلمين بعده في حياتهم الاجتماعيّة. كما أنّ لقمان الحكيم جعل التّقوى سفينةً لابنه في حياته الفرديّة، حيث وصّى ابنه وقال: «يا بنيّ إنّ الدّنيا بحر عميق، قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشراعها التّوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصّبر»[١].

فتقوى الله سفينة تنجي الإنسان في حياته الفرديّة عن عبادة الأهواء والشّهوات سواءٌ كانت شهوة السّلطة والسّيطرة على الآخرين، أو شهوة جعل الأكاذيب على سيّد المرسلين، واتهام جماعة من المسلمين بالخروج عن الدّين المبين أو غيرها من الشّهوات الأخرى الّتي اتّبعها الكثير ممّن استولوا على حقّ آل الرّسول ﷺ.

عليّ ﷺ وحديث الوصيّة

الثّامن: حديث الوصيّة. عن ابن المغازلي الشّافعي بإسناده عن رسول الله ﷺ أنّه قال ﷺ: «لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وإنّ وصيّي ووارثي عليّ بن أبي طالب»[٢].

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ. . . لولا أنّي خاتم الأنبياء، لكنت شريكاً في النبوّة، فإن لم تكن نبيّاً فإنّك وصيّ نبيّ ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء»[٣].

وفي حديث ثالث: عن أبي هريرة عن سلمان قال: قلت يا رسول الله من وصيّك؟ فقال ﷺ: «إنّ وصيّي وموضع سرّي وخير من أخلفه بعدي عليّ بن أبي طالب»[٤].

وعن أمّ سلمة قالت في ضمن حديث طويل: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله اختار من كلّ أمّة نبيّاً، واختار لكلّ نبيّ وصيّاً، فأنا نبي هذه الأمّة، وعليّ وصيّي في عترتي

---

[١] - «أصول الكافي» للكليني، كتاب العقل والجهل، الباب الأوّل: الحديث١٢.

[٢] - «مناقب ابن المغازلي»: ص٢٠٠، و«كنوز الحقائق»: ص١٢١، و«الرّياض النّضرة»: ج٢ ص١٧٨.

[٣] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٧٨.

[٤] - «مفتاح النّجاة» للحافظ البدخشي: ص٩٤، و«كنز العمال»: ج٦ ص١٤٣.

وأهل بيتي وأمّتي من بعدي»[١]

وفي حديث رابع عن عليّ بن الحسين عن الحسين بن عليّ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني جبرائيل وقد نشر جناحيه، فإذا في أحدهما مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد النّبي صلى الله عليه وآله، ومكتوب على الآخر: لا إله إلاّ الله، عليّ الوصيّ»[٢].

والأحاديث الّتي تصرّح بأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كانت كثيرة ومتواترة عند أهل السنّة، إلاّ أنّا نكتفي بهذا المقدار تجنّباً عن التّطويل.

ومن يريد التّفصيل فليراجع كتاب «عليّ والوصية» للشيخ نجم الدّين العسكري.

ودلالة هذه الأحاديث على كون عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيّاً وخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله واضحة غير قابلة للإنكار والتّأويل.

وقد أنكر بعض علماء السّنّة حيث قال: إنّ الوصاية لم تكن رواجاً قبل الإسلام عند العرب، فهذه الأحاديث كلّها من مجعولات الفرس، وتقدّم الكلام في الجواب عنه في قسم التّبريرات فراجع.

وقد اقترنت هذه الأحاديث الوصيّة بالخلافة فيدلّ على عدم صحّة إنكار أحاديث الوصيّة. ومن هنا يظهر بطلان ما قيل في تأويل هذه الأحاديث من أنّ الوصيّ قد يراد به من أوصي له بالعلم والهداية وحفظ قوانين الشّريعة وتبليغ الأحكام الإسلاميّة، لأنّ الوصية بهذا المعنى لا تنفكّ عن الوصيّة بالخلافة العامّة. فالوصيّة المطلقة تنصرف إلى الرّئاسة العامّة، وهي إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخلافته.

عليّ عليه السلام وحديث «أنّه حجّة الله»

التّاسع: حديث أنّ عليّاً حجّة الله. عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «... يا عليّ أنت

---

[١] - «المناقب» للخوارزمي الحنفي: ص٩٠.

[٢] - «المناقب» للخطيب الخوارزمي الحنفي: ص٩٠.

حجّة الله على النّاس، قولك قولي، أمرك أمري، نهيك نهيي، وطاعتك طاعتي، ومعصيتك معصيتي، وحزبك حزبي، وحزبي حزب الله»[1]، ثمّ قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ﴾[2].

وفي حديث آخر له ﷺ حيث قال ﷺ: «يا عليّ أنت حجّة الله، وأنت باب الله، وأنت الطّريق إلى الله تعالى»[3].

ودلالة هذا الحديث على خلافة عليّ بن أبي طالب تكون من الوضوح كالشّمس في النّهار، إذ كيف لا يكون عليّ ﷺ خليفة رسول الله ﷺ، وهو حجّة الله وباب الله والطّريق إلى الله تعالى؟!

علي ﷺ وحديث افتراق الأمّة

العاشر: هو الحديث المأثور في افتراق الأمّة. وهو قول النّبي ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النّصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النّار إلاّ واحدة»[4].

وهذا الحديث مشهور بين السّنة والشّيعة. وحكم ابن الجوزي بصحّته، ولا أشك في أنّ الفرقة الّتي لا تدخل النّار هي الشّيعة الإماميّة، ويؤكّد على ذلك ما ورد من الأحاديث الكثيرة، منها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[5].

عن موفق بن أحمد الخوارزمي عن زادان عن عليّ (رضي الله عنه) قال:

---

[1] – «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٢٣.

[2] – سورة المائدة: ٥٦.

[3] – «عليّ في الأحاديث النّبوية»، تأليف السّيد محمّد إبراهيم الموحّد: ص٤٦.

[4] – «الفرق بين الفرق»، تأليف عبد القاهر البغدادي: ص٤–٦.

[5] – سورة الأعراف: ١٨١.

«تفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النّـــــار وواحـــدة في الجنّة، وهي الّذين قال الله تعالى في حقّهم: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَــهْدُونَ بِـالْحَقِّ وَبِـهِ يَعْدِلُونَ﴾، وهم أنا ومحبّي وأتباعي»[1].

وعن جعفر الصّادق عن آبائه عن عليّ (رضي الله عنهم) قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا عليّ مثلك في أمّتي مثل عيسى ابن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقـــة مؤمنون وهم الحواريّون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عـــن دين الله وهم النّصارى. وإنّ أمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق: فرقة اتّبعوك وأحبّـــوك وهم المؤمنون، وفرقة عادوك وهم النّاكثون والمارقون والفاسقون، وفرقة غلوا فيـــك وهم الضّالّون. يا عليّ أنت وأتباعك في الجنّة، وعدوّك والغالي فيك في النّار»**[2].

فهذه الرّواية تصرّح بأنّ الفرقة النّاجية هي أتباع عليّ بن أبي طالب ﷺ وشيعته، فلا يبقى مجال لما ذكره عبد القاهر البغدادي من أنّ الفرقة النّاجية هي أهل السّنّة والجماعة[3]، مستدلاً بذلك بجواب النّبي حينما سئل عن الفرقة النّاجية، حيث قال ﷺ: **«ما أنا عليه وأصحابي»**، فقال عبد القاهر: ولسنا نجد اليوم من فرق الأمّة من هم على موافقة الصّحابة (رضي الله عنهم) غير أهل السّنّة والجماعة.

فنقول: إنّ ما استدلّ به عبد القاهر البغدادي مردودٌ لأمور:

الأوّل: إنّ مراد النّبيّ ﷺ من الأصحاب هم الّذين كانوا باقين على خطه ﷺ، كأبي ذرّ وسلمان والمقداد وغيرهم، وليس أهل السّنّة والجماعة موافقين لهؤلاء الأصحاب الأجلاّء فنقول: لم نجد اليوم من فرق الأمّة من هم على موافقة هؤلاء غير الشّيعة الإماميّة.

---

[1] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٠٩.

[2] - «ينابيع المودّة للقندوزي» الحنفي: ج١ ص١٠٩.

[3] - «الفرق بين الفرق»: ص٥.

الثّاني: إنّ أهل السّنّة ليسوا فرقة واحدة، بل هم أربع فرق في الفروع، أعني: الشّافعيّة والحنبليّة والحنفيّة والمالكيّة وفرقتان في أصول الدّين، أي أشعريّة ومعتزلة، وفي كتاب «نشأة الأشعرية وتطوّرها» يقول المؤلّف: إنّ المعتزلة والأشاعرة كانتا على طرفي نقيض.

ثمّ الفرق بين المعتزلة والأشاعرة على ما جاء في كتاب «الشّيعة والحاكمون» هذا ما لفظه: «المعتزلة» والأصول الّتي تجمعهم، واستحقّوا بها اسم الاعتزال خمسة:

١: التّوحيد: أي أنّ الله واحد بذاته وصفاته، فصفاته عين ذاته.

٢: العدل: أي أنّ الإنسان مخيّر غير مسيّر.

٣: المنزلة بين المنزلتين، أي أنّ مرتكب الكبيرة في منزلة بين المؤمن والكافر، فلا هو بالمؤمن، لأنّه لم يستكمل صفات الخير، ولا هو بالكافر، لأنّه يقرّ بالشّهادتين، وهو مخلّد في النّار، إذ ليس في الآخرة إلاّ الجنّة والنّار، ولكن تخفف النّار عليه، ويطلق عليه اسم المسلم.

٤: الوعد والوعيد، إنّ الله إذا وعد بالثّواب على الخير فوعده واقع، وإذا توعّد بالعقاب على الشّرّ فوعيده أيضاً واقع لا محالة، ولا يحقّ له أنّ يعفو عمّن توعّده.

٥: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجبان بالعقل لا بالسّمع.

«الأشاعرة» خالفوا المعتزلة في الأمور الخمسة، وقالوا: إنّ صفات الله غير ذاته وزائدة عليها، وأنّ الإنسان مسيّر غير مخيّر، وإنّ الله لا يجب عليه الوفاء لا بالوعد ولا بالوعيد، وله أن يعاقب المحسن، ويثيب المسيء إذ لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء، وإنّ مرتكب الكبيرة ليس في منزلة بين المؤمن والكافر، وإنّه لا يخلّد في النّار، وإنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يجبان بالسّمع لا بالعقل.

والشّيعة يتّفقون مع المعتزلة في مسألتي التّوحيد والعدل، ويخالفونهم في الثّلاثة

الباقية ، ويقولون في مسألة مرتكب الكبيرة ومسألة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بما تقول الأشاعرة ، وينفردون عن المعتزلة والأشاعرة معاً في مسألة الوعد والوعيد ، حيث ذهبوا إلى أنّ الله سبحانه وتعالى يفي بالوعد ولا يجب عليه الوفاء بالوعيد ، فله أن يعفو عن المذنب ، ولا يحقّ له بحكم العقل أن يخلف وعده مع المحسن . انتهى .

فالفرقة النّاجية هي الشّيعة الإماميّة ، لأنّها واحدة في أصول الدّين وفروعه . فقول النّبي ﷺ : كلّها في النّار إلاّ واحدة ، لا ينطبق إلاّ على الشّيعة الإماميّة ، كما يمرّ عليك ما يؤكّد على ذلك .

الثّالث : ما اتّفق عليه في النّقل عن النّبي ﷺ أنّه قال : **«لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ حتّى تقوم السّاعة»** . وقوله ﷺ : **«لا يزال من أمّتي أمّة قائمة بأمر الله لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتّى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»**[1] .

ومن البديهي أنّ الطّائفة الّتي تكون على الحقّ حتّى تقوم السّاعة هي الإماميّة ، لأنّ هذه الطّائفة قائمة بأمر الله وكانت مخذولة دائماً من قبل أهل السّنّة . ثمّ الوجه لكون هذه الطّائفة على الحقّ أنّ فيهم إمام معصوم ملازم للحقّ والصّواب ، وهم يتابعونه في أقواله وأفعاله . فهذه الرّواية تؤيّد مذهب الإماميّة ، ولهذا أسقطها من حقّق صحيح البخاري ، ولكنّها موجودة في جميع الطّبعات الّتي لم تصل إليها يد التّحريف بحجّة التّحقيق ، وقد أسقط المحقّق باباً كاملاً . ولعلّ بمرور الأيام تسقط الأقلام المستأجرة جميع الأحاديث الّتي لها علاقة بفضائل أهل الرّسالة والنبوّة أو إشارة إلى أحقية مذهب الإماميّة .

الرّابع : إنّ النّبي ﷺ قد بيّن الطّائفة النّاجية بطرق مختلفة :

وهي قوله ﷺ : «إنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي ولا

---

[1] - «صحيح البخاري» : ج٤ ص١٨٧ .

يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو عليّ»[١]. وقال النّبي ﷺ لعليّ: «أنت منّي وأنا منك»[٢].

وأيضاً أخرج الحمويني عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ أنا مدينة الحكمة وأنت بابها، ولن تؤتى المدينة إلاّ من قبل الباب، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك، لأنّك منّي وأنا منك، لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وروحك من روحي، وسريرتك من سريرتي، وعلانيتك من علانيتي، وأنت إمام أمّتي ووصيّي، سعد من أطاعك وشقي من عصاك، وربح من تولاّك، وخسر من عاداك، فاز من لزمك وهلك من فارقك، ومثلك ومثل الأئمّة من ولدك مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك، ومثلكم مثل النّجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة»[٣].

وأيضاً أخرج أبو المؤيّد أخطب الخطباء موفق بن أحمد الخوارزمي المكّي عن سيّد الحفّاظ أبي منصور شهردار بن شيرويه الديلمي بسنده عن زيد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين (رضي الله عنهم) قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتحت خيبر بقدرة الله: «لولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النّصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمرّ على ملأ من المسلمين إلاّ أن أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك ترثني وأرثك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي. يا عليّ، أنت تؤدّي ديني وتقاتل على سنّتي، وأنت في الآخرة أقرب النّاس منّي، وإنّك غداً على الحوض

---

(١) - «مسند أحمد»: ج٤ ص١٦٤، و«خصائص النّسائي»: ص١٩، ٣٠، و«تاريخ الخلفاء»: ص١٦٩، و«سنن البيهقي»: ج٨ ص٥، و«صحيح التّرمذي»: ج٢ ص٢٩٧، و«مجمع الزّوائد»: ج٩ ص١٢٧، و«مسند أبي داود»: ج٣ ص١١١.

(٢) - «صحيح البخاري»: ج٤ ص٢٠٧، و«كنز العمال»: ج٦ ص٣٩٩.

(٣) - «ينابيع المودة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٣٠.

خليفتي، وأنت أوّل من يرد عليّ الحوض، وتذود المنافقين عن حوضي، وأنت أوّل داخل في الجنّة من أمّتي، وإنّ محبّيك وأتباعك على منابر من نور رواء مرويين، مبيضة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غداً جيراني، وإنّ أعداءك غداً ظمأى مظمئين، مسودة وجوههم، يضربون بالمقامع، وهي سياط من نار مقمحين، وحربك حربي، وسلمك سلمي، وسرّك سرّي وعلانيتك علانيتي، وسريرة صدرك سريرة صدري، وأنت باب علمي وإنّ ولدك ولدي ولحمك لحمي ودمك دمي، وإنّ الحق معك والحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وإنّ الله أمرني أن أبشرك أنّك وعترتك ومحبّيك في الجنّة وعدوّك في النّار، لا يرد عليّ الحوض مبغضك، ولا يغيب عنه محبّك. قال عليّ: فخررت ساجداً لله تبارك وتعالى، وحمدته على ما أنعم به من الإسلام والقرآن وحبّبني إلى خاتم النّبيين وسيّد المرسلين»[1].

عليّ ﷺ وقول النّبي ﷺ: «عليّ منّي وأنا من عليّ»

الكلام في شرح حديث: «أنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ»: ولهذا الحديث النّبوي وإن كانت تفاسير عديدة من السّنة والشّيعة، وهذه التّفاسير بعضها يرتبط بكلمة «من» وبعضها بما هو المراد من الجملة بكاملها، إلاّ أنّا نكتفي بما ذكره البهبودي وابن البطريق في كتابه «عمدة عيون صحاح الأخبار».

قال يحيى بن الحسن المعروف بابن البطريق: اعلم أنّ «من» فيها أربعة أوجه: تكون لابتداء الغاية، أو للتّبعيض، وتكون زائدة، أو لتبيين الجنس. ثم ذكر لكلّ واحد من الأوجه شاهداً من الآيات، إلى أن قال:

أمّا الوجه الأول: وهو كونها لابتداء الغاية، فلا يجوز أن يكون مراد النّبي ﷺ

---

[1] - نفس المصدر السّابق.

لأنّه إذا كان ابتداء غاية عليّ ﷺ من ابتداء غاية النّبيّ ﷺ فكيف يجوز العكس في الكلام بعد الطّرد بقوله: وأنا من عليّ؟ لأنّه يجب أن يكون ابتداء غاية النّبي ﷺ من ابتداء عليّ ﷺ، وهذا متناقض.

وأمّا الوجه الثّاني: وهو كونها للتّبعيض، فلا يجوز أن يكون مراده ﷺ، لأنّه ليس بجزء من عليّ ﷺ ولا عليّ ﷺ جزء منه، وهذا معلوم ضرورة من دون حاجة إلى الدّليل.

وأمّا الوجه الثّالث: وهو كونها زائدة، فلا يجوز أن يكون مراده ﷺ لأنّ معنى الزّائدة إذا حذفتها لم يتغيّر الكلام. ومن البديهي أنّ كلمة «من» إذا حذفت من أحدهما تغيّر الكلام والمعنى، إذ يرجع الكلام إلى عليّ أنا وأنا عليّ، وهذا ما لا يقوله عاقل.

أمّا الوجه الرّابع: وهو كونها لتبيين الجنس فهو المراد، فيكون قوله ﷺ: «عليّ منّي» أي من جنسي في التّبليغ والأداء ووجوب فرض الطّاعة، لأنّ النّبي ﷺ نبي وإمام، كما قال تعالى مخاطباً لإبراهيم: ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً﴾[1] مع كونه نبيّاً من أولي العزم، فصار استحقاق الإمامة له كاستحقاق النّبوّة للنّبي ﷺ، لأنّ جنس طريق الاستحقاق واحد، وهو سؤال إبراهيم ﷺ، لأنّه سأل الإمامة لذرّيته، فقال له تعالى: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾[2].

إلى أن قال: وممّا يوضّح ذلك ويزيده بياناً، وأنّه الوجه المقصود به دون ما عداه، أنّ له قرينتين في لفظ الخبر، تدلاّن على صحّة هذا التّأويل، وهما قوله ﷺ: «ولا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو عليّ»، وقوله ﷺ: «عليّ منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». وهاتان القرينتان من أدلّ دليل على أنّ مراده ﷺ بقوله: «عليّ منّي

---

[1] - سورة البقرة: ١٢٤.

[2] - سورة البقرة: ١٢٤.

وأنا منه» استحقاق الإمامة بعده، لأنّه لا يؤدّي عن النّبي ﷺ إلاّ الإمام المفروض الطّاعة فلا يكون وليّ المؤمنين بعده إلاّ الإمام المنصوب لاستحقاق الولاء من الأمّة. ويزيده إعظاماً في تفخيم أمره ﷺ قول النّبي ﷺ: «أنا منه»، إذ لو اقتصر بقوله: «عليّ منّي»، لكان قابلاً لوجوه من التأويل، ولمّا قال له: «أنا منه» دلّ على تعظيم القصّة، وأنّه أراد الجنس المستحقّ به الإمامة. فمفاد الحديث أنّ عليّاً من النّبي في الإمامة وفرض الطّاعة.

وقال اليهودي: إنّ المراد من كلمة «من» في قول النّبي ﷺ: «عليّ منّي وأنا من عليّ» هو الاتّحاد والتّرابط بين محمّد ﷺ وعليّ ﷺ. وطبيعي أنّ هذا المعنى لم يفهم من كلمة «من» أو من الجملة ذاتها، ولكن يمكن التّوصل إليه خلال تتبّعنا للتّاريخ، فقد كانت عادة العرب عند إقامة عقد أو حلف أن يصرّحوا بقولهم: «أنت منّي وأنا منك»، وتتكرر كلمة «من» عند إلغاء هذا العقد بقولهم: «لستَ منّي ولست منك». وقد ورد هذا في أشعارهم، وهذا شطر من بيت لأشعار النّابغة الذبياني في قصيدة يعاتب بها عيينة بن حصن الفزاري.

«أتخذل ناصري وتعين عبساً ... ويربوع بن غيظ للمعن
إذا حاولت في أسد فجوراً ... فإنّي لست منك ولست منّي[1]»

نقل عن المرزوقي أنّ المراد من كلمة «من» في المثبت هو الاتّحاد والتّعاقد والوفاق وترك الخلاف، وتدلّ أيضاً على أنّ الطّرفين متّحدان دون انفصال أو تمايز بينهما. ثمّ إنّ المراد بكلمة «من» في المنفي هو نفي الاتّحاد وقطع العلاقة.

فالمقصود من كلمة «من» هو إيجاد العلاقة والاتّحاد لأجل التّعاون والتّكاتف، وفي الآيات القرآنية إشارة إلى هذا، كقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[2].

---

[1] – «ديوان النّابغة»: ص٧٩، و«الغرر والدّرر»: ج١ ص٣٦.

[2] – سورة آل عمران: ٣٤.

والمراد هو التّعاون والتّكاتف، كما ذهب إليه الطّبرسي في مجمع البيان، وكذلك معنى الآية: ﴿المُنافِقونَ وَالمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[1]. أي أنّهم يتعاونون على النّفاق، «أي بعضهم من جملة بعض، وبعضهم مضاف في الاجتماع على النّفاق والشّرك، كما تقول: أنا من فلان وفلان منّي، أي أمرنا واحد، وكلمتنا واحدة»[2]، فمعنى قول القائل: «أنت منّي وأنا منك» هو الاتّحاد والتّعاضد على كلمة واحدة دون تفرّق، كما هو الظّاهر في تفسير الحديث النّبوي من بعض أهل السّنّة، مثل ملاّ عليّ القارئ في «المرقاة»[3] إذ يقول إنّ ظاهر الكلام هو «لا يؤدّي عنّي إلاّ عليّ» ولكن استدراك النّبيّ ﷺ لكلمة «أنا» إنّما هي للتّأكيد وتفيد الاتّصال أيضاً، كما يستفاد ذلك من قوله ﷺ: «عليّ منّي وأنا منه». وما جاء في «فيض القدير»[4] عند شرحه للحديث المذكور أنّ مراد النّبيّ ﷺ هو أنّ عليّاً متّصل بي وأنا متّصل به في المودّة والمنزلة وغيرهما، و«من» هنا اتّصاليّة، قد قصد بها إيجاد الاتّحاد لأجل التّعاون. وهذه الجملة كانت تستعملها العرب في العصر الجاهلي في الأحلاف المتعارفة بينهم، وكانوا يعلنون بها عن الاتّحاد والتّعاضد، ويقولون في صيغة حلف قبيلة مع قبيلة أخرى: أنتم منّا ونحن منكم إلى الأبد، دمنا دمكم وعرضنا عرضكم.

إلى أن قال ما حاصله: إنّ الحديث النّبوي الشّريف عن النّبيّ ﷺ كان تأكيداً لحلف الموازرة الّتي نصّ بها النّبيّ ﷺ في أوائل بعثته حينما نزلت الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[5]، فدعا النّبيّ ﷺ عشيرته من ولد عبد المطلب، وكانوا

---

[1] - سورة التّوبة: ٦٧.

[2] - «مجمع البيان» للطّبرسي في الجزء العاشر من المجلد الثّالث: ص٩٤.

[3] - «المرقاة»: ج٥ ص٥٦٩.

[4] - «فيض القدير»: ج٤ ص٣٥٧.

[5] - سورة الشّعراء: ٢١٤.

يعدّون عندئذ بما يقرب من أربعين رجلاً، وبعد أن شاهدوا معجزته ﷺ في بركة الطّعام (اللّبن واللّحم)، قام فيهم قائلاً: يا بني عبد المطلب! إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به إنّي قد جئتكم بخير الدّنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال عليّ ﷺ: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت، وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيّ الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوه، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[1].

فخرجوا من البيت، وكان بينهم أبو لهب، فقال لأبي طالب وهو يستهزئ به: اسمع كلام ابنك وأطعه.

ولكنّ الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ، الذي كان أنموذجاً للرّجل المؤمن المخلص يدافع عن عقيدته بكلّ غال ورخيص، أبى إلاّ أن يكون خير ناصر ومعين لرسول الله ﷺ في نشر دعوته وإعلاء كلمة الإسلام فبايع الرّسول الأعظم ﷺ على هذا الأمر. والحلف هذا، وإن كان قد تمّ بشكله المتعارف في ذلك اليوم، إذ كان له اعتباره ومنزلته من الوجهة القانونيّة، إلاّ أنّه كان محترماً ومقبولاً في التّاريخ الإسلامي. وتبعاً لهذه المعاهدة والمسؤوليّة الدّينية التي كان يشعر بها الإمام عليّ ﷺ، وتقرّباً إلى الله سبحانه وتعالى، فقد أصبح محامياً ومدافعاً عن حياة النّبيّ ﷺ ورسالة السّماء.

ومواقف الإمام عليّ ﷺ من النّبيّ ﷺ بعد الهجرة لا تحتاج إلى مزيد من البيان، منها موقفه ﷺ في واقعة بدر وأحد وخيبر والخندق.

---

[1] - «موسوعة الغدير» للأميني: ج٢ ص٢٧٩.

ففي واقعة أحد، بعد أن هرب جيش الإسلام إلاّ النّفر اليسير منهم، وفي الوقت الّذي كان الإمام عليّ ﷺ يناضل ويدافع عن حياة الرّسول ﷺ، ويضرب بسيفه، ويردّ ضرباتهم إلى نحورهم، نزل أمين الوحي جبرائيل مخاطباً الرّسول الأعظم قائلاً: يا رسول الله، إنّ ملائكة السّماء لتعجب من بطولة هذا الشّاب ومؤازرته لك، فأجابه النّبيّ ﷺ: «وما يمنعه من هذا، وهو منّي وأنا منه»[1]، ويؤيّد على ما ذكرنا من أنّ قوله ﷺ تأكيد لعهد المؤازرة ما حدث في تبليغ براءة إلى المشركين، وذلك يتّضح عند تتبّعنا لقصّة سورة براءة وكيفيّة إبلاغها. وبما أنّ السّورة المذكورة كان يجب أن تبلّغ إلى المشركين كافّة، فالبلاغ هذا إمّا أن يتمّ بواسطة النّبيّ ﷺ نفسه، أو بمن ينوب عنه، وذلك بأن يذهب هو بنفسه أو نائبه إلى القبائل واحدة بعد الأخرى، أو أن ينتظر موسم الحجّ وتجمّع القبائل وإنذارهم بما أنزل إليه، ويؤكّد خطابه بقوله ﷺ: «فليبلّغ الشّاهد الغائب».

وبما أنّ مفاد الآية الثّانية: ﴿أذانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلى النّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ﴾[2] تجيز النّيابة عنه ﷺ، وقد يكون هو الأرجح بأن تقرأ السّورة على المشركين علناً، فالنّبيّ ﷺ قد تغافل عن العهد الّذي أبرم بينه وبين ابن عمّه عليّ بن أبي طالب ﷺ، فأرسل أبا بكر بن أبي قحافة إلى مكّة المكرّمة لإبلاغ المشركين، فلم تمض إلاّ برهة حتّى نزل أمين الوحي جبرائيل وقال: يا رسول الله: «لا يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجل منك»[3]، وعند ذلك أمر الرّسول ﷺ عليّاً أن يركب النّاقة الغضباء، وكانت خير دليل على أنّه مبعوث من قبله ﷺ، ويعقب أبا بكر ليستردّ منه السّورة المذكورة، ويقوم هو بهذا العمل الخطير.

---

[1] - «الطّبري»: ج٢ ص٥١٤ و«الكامل»: ج٢ ص٦٣، و«إرشاد المفيد»: ص٣٩، و«أمالي الطّوسي»: ص١٧٠.

[2] - سورة التّوبة: ٣.

[3] - «الدّر المنثور» للسيوطي: ج٣ ص٢٠٩.

وعندما عاد أبو بكر، استفسر من النّبيّ ﷺ عن العلّة والسّبب، فأجابه النّبيّ ﷺ: **«الأمين هبط إليّ عن الله عزّ وجلّ إنّه لا يؤدّي إلاّ أنت أو رجل منك، وعليّ منّي وأنا من عليّ، ولا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو عليّ»**[1].

وفي الحقيقة: إنّ مفاد الوحي **«أو رجل منك»**، يعني الحليف وإشارة إلى الحلف الّذي قد تمّ بينهما بأمر من الله جلّ وعلا، ويفسّره ما كان من اختياره لعليّ بن أبي طالب ﷺ بقوله: **«عليّ منّي وأنا من عليّ»**. ومراده ﷺ أنّ البلاغ نيابة لا يتحقّق في رسالة السّماء إلاّ فيمن يماثلني، وقصده من ذلك أنّ شخصاً يستطيع البلاغ نيابة عنّي فيما إذا كان يماثلني وفقاً للعهد أو الحلف ويشابهني من حيث الرّفعة والمقام وعليّ بن أبي طالب خير أنموذج وخير نائب، وهو الّذي عاهدني بأمر من الله تعالى على أن يؤازرني، وعقدت معه حلف المؤاخاة والمؤازرة، وهو الّذي يستحقّ النّيابة عنّي دون منازع، وبذلك يتحقّق مصداق قول رسول الله ﷺ: اعلم يا أبا بكر، لو كان مصداق الوحي أن يتحقّق البلاغ نيابة بواسطة أحد أصحابي وأهلي، لما بعثت عليّاً خلفك.

وإذا كان المراد هو أحد أفراد عشيرتي، لكنت قد اخترت عمّي العبّاس وأرسلته إليك ليؤدّي عنك، فهو أكبر سنّاً وأحسن صوتاً وأرفع شأناً ومقاماً بين القبائل من قريش، ولكن مفاد الوحي لا ينطبق عليك يا صديقي في الغار، ولا على عمّي العبّاس، وإنّما انحصرت هذه المهمّة والقيام بها في عليّ ﷺ، علماً بأنّه أصغركم سنّاً وأقلّكم مقاماً ومنزلة بين القبائل. فالغرض من قوله ﷺ: **«عليّ منّي وأنا من عليّ»** هو بيان وحدتهما، وأنّهما كالجسد الواحد في سبيل نشر الإسلام.

كي تعرف الأجيال المستقبلة أنّ الحقّ مع عليّ بن أبي طالب في الحرب والسّلم

---

[1] - «مشكاة المصابيح»: ص٥٦٤، و«المرقاة» لملاّ عليّ القاريّ: ج٥ ص٥٦٩، و«فيض القدير»: ج٤ ص٣٥٧.

فإنّ الإسلام في تاريخه قد خاض ثلاث معارك كبرى، وكان لكلّ معركة بطلها، كما كانت لكلّ معركة ظروفها السّياسية وآثارها الاجتماعية.

المعركة الأولى: كانت مع الكفر وكان بطلها النّبيّ ﷺ، إذ قد واجه النّبيّ ﷺ الكافرين والملحدين، الّذين كانوا بعيدين عن رسالة الله فكراً وإيماناً وعقيدةً وسلوكاً، وكانت جبهة الكفر واضحة وصريحة، كما كانت جبهة الإيمان واضحة وصريحة أيضاً، وقد وقعت بين الجبهتين معارك وحروب كان الإسلام فيها كلّه يواجه الكفر كلّه.

والمعركة الثّانية: هي معركة الإسلام مع التّحريف، ومع الّذين حملوا شعارات الإسلام نفسه، ولكن بعد تحريفها وتطبيقها على من لم تنزل بحقّه.

وكان بطل هذه المعركة هو الإمام عليّ عليه السلام، فلقد واجه الإمام عليه السلام من صارعوه للوصول إلى مركز قيادة المسلمين، وهم بعيدون عن الإسلام. ولقد ظهر هذا التّحريف جليّاً حينما قُتل عمّار بن ياسر، وتذكّر المسلمون كلمة الرّسول بحقّه، حيث قال: «**يا عمار تقتلك الفئة الباغية**»، وقد قتله جيش معاوية بن أبي سفيان. فالفئة الباغية هي معاوية وأصحابه.

أمّا المعركة الثّالثة: فهي معركة الإسلام مع التّزييف، وكان بطلها الإمام الحسين عليه السلام، فلقد واجه الإمام عليه السلام وضعاً استثنائياً متردّياً في الأمّة، حيث انقلب كلّ شيء رأساً على عقب، فإذا بالمنابر قد تحوّلت من وسائل للإرشاد والهداية إلى وسائل للسّبّ والشّتم واللعن، والتّضليل وإذا بالسّيوف الّتي شهرها الإسلام في وجه الكفر انقلبت لمواجهة أهل البيت، وإذا بالزّكاة الّتي هي من أجل تطهير النّفوس وتزكيتها تصرف في شراء الضّمائر.

كما أنّ الحاكمين الّذين أخذت البيعة لهم عن طريق الإكراه أو عن طريق التّرغيب، كانوا يحكمون باسم رسول الله. لأجل هذا تحظى معركة الإمام الحسين عليه السلام بالأهمّية القصوى، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول بحقّ الإمام

الحسين: **«حسين منّي وأنا من حسين»**، **«أحبّ الله من أحبّ حسيناً»**، **«الحسين مصباح الهدى وسفينة النّجاة»**، كي يعرف المسلمون أنّ يزيداً هو الباغي الّذي خرج على إمام زمانه. فالنّتيجة الحتميّة لهذا البحث أنّ الطّائفة الحقّة والفرقة النّاجية هي الّتي أخذت أهل البيت أئمّة لها.

الخامس: الأحاديث النّبوية من كتب أهل السنّة بأنّ **«شيعة عليّ هم الفائزون»**، عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النّبيّ ﷺ، فأقبل عليّ بن أبي طالب، فقال النّبيّ ﷺ: **«قد أتاكم أخي»**، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثمّ قال: **«والّذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»**، ثمّ قال: **«إنّه أوّلكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرّعية، وأقسمكم بالسّوية، وأعظمكم عند الله مزيّة»**[١]. قال: ونزلت: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾**[٢].

الحديث الثّاني: قال النّبيّ ﷺ: **«شيعة عليّ هم الفائزون»**[٣].

الحديث الثّالث: **«عليّ وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»**[٤]. عن سلمان الفارسي أنّه قال: ما طلع عَلَيّ عليّ بن أبي طالب وأنا مع رسول الله ﷺ: إلاّ قال: **«يا سلمان هذا وحزبه هم المفلحون»**[٥].

روى الحافظ الحاكم الحسكاني الحنفي في «شواهد التّنزيل» عن أبي النّضر العياشي، بإسناده عن الأصبغ بن نباتة عن عليّ في قول الله تعالى: **﴿ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ**

---

[١] - «ترجمة الإمام عليّ» لابن عساكر الشّافعي: ج٢ ص٤٤٢.

[٢] - سورة البينة: ٧.

[٣] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٤.

[٤] - «ينابيع المودّة»: ج٢ ص٤.

[٥] - «شواهد التّنزيل»: ج١ ص٩٨.

الله﴾[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنت الثّواب وشيعتك الأبرار»[2] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾[4].

روى العلامة البحراني في «غاية المرام» عن كتاب «المناقب الفاخرة في العترة الطّاهرة»، تأليف أبي عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد بن حنبل إمام الحنابلة، عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت عند أمير المؤمنين، فأتاه ابن الكوّا، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾[5]. فقال: «يا بن الكوّا نحن نقف على الأعراف يوم القيامة بين الجنّة والنّار، من نصرنا من شيعتنا ومحبّينا، وعرفنا وعرفناه بسيماه، أدخلناه الجنّة، ومن كان مبغضاً لنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النّار»[6].

وفي «المناقب» بسنده عن زادان عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ أكثر من عشر مرّات: «يا عليّ إنّك والأوصياء من ولدك أعراف بين الجنّة والنّار، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكركم وأنكرتموه»[7].

وفي «المناقب» بسنده عن مقرون قال: سمعت جعفر الصّادق ﷺ يقول: جاء ابن الكوّا إلى أمير المؤمنين ﷺ فسأله عن هذه الآية، فقال: «نحن الأعراف، ونحن

---

[1] - سورة آل عمران: ١٩٥ . .

[2] - «شواهد التّنزيل»: ج١ ص١٣٨ .

[3] - سورة آل عمران: ١٩٨ .

[4] - سورة الأعراف: ٤٦ .

[5] - سورة الأعراف: ٤٦ .

[6] - «غاية المرام»: ص٣٥٤، و«ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٠١ .

[7] - «ينابيع المودّة»: ج١ ص١٠١ .

نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الّذين لا يعرف الله عزّ وجلّ إلاّ بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف، يوقفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصّراط، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرنا وأنكرناه، إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف النّاس نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله ووجهه الّذي يتوجّه منه إليه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا، فإنّهم عن الصّراط لناكبون، فلا سواء من اعتصم النّاس به، ولا سواء حيث ذهب النّاس إلى عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربّها لا نفاد لها ولا انقطاع»[1].

روى العلامة البحراني في «غاية المرام» عن ابن شهر آشوب عن أبي طالب الهروي -من طرق العامّة- بإسناده عن علقمة وأبي أيوب: إنّه لمّا نزلت: ﴿الم • أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[2]، قال النّبيّ صلى الله عليه وآله لعمّار: «إنّه سيكون من بعدي هناة حتّى يختلف السّيف فيما بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، وحتّى يتبرّأ بعضهم من بعض فإذا رأيت فعليك بهذا الأصلع عن يميني عليّ بن أبي طالب، فإن سلك النّاس كلّهم وادياً فاسلك وادي عليّ، وخلّ عن النّاس. يا عمّار إنّ عليّاً لا يردّك عن هدى، ولا يردّك إلى ردى. يا عمّار طاعة عليّ طاعتي، وطاعتي طاعة الله»[3].

فهذا الحديث الشّريف الّذي ورد في تفسير الآية المذكورة، يدلّ بوضوح على وجوب كون المسلم شيعياً يتبع عليّ بن أبي طالب، ويترك غير عليّ بن أبي طالب، ممّن لا يسير في فلك عليّ بن أبي طالب كائناً من كان.

---

(١) - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٠١.

(٢) - سورة العنكبوت: ١-٣.

(٣) - «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: ج١ ص١٧٨، و«غاية المرام»: ص٤٠٣.

روى العلاّمة البحراني في «غاية المرام» عن ابن المغازلي الفقيه الشّافعي في كتابه «مناقب أمير المؤمنين»، قال: أخبرنا القاضي أبو جعفر محمّد بن إسماعيل العلوي بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل من أمّتي الجنّة سبعون ألفاً لا حساب عليهم»** ثمّ التفت إلى عليّ فقال ﷺ: **«هم شيعتك وأنت إمامهم»**[١]. **﴿إنّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾**[٢].

روى العلاّمة البحراني عن موفق بن أحمد الحنفي بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة ينادون عليّ بن أبي طالب بسبعة أسماء: يا صدّيق، يا دالّ، يا عابد، يا هادي، يا مهدي، يا فتى، يا عليّ مر أنت وشيعتك إلى الجنّة بغير حساب»**[٣].

نعم، كيف لا يكون شيعة عليّ كذلك وعليّ بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنّة والنّار؟!

أخرج ابن المغازلي الشّافعي بسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا عليّ إنّك قسيم الجنّة والنّار أنت تقرع باب الجنّة وتدخلها أحبّاءك بغير حساب»**[٤].

وكيف لا يكون شيعة عليّ كذلك، وهم بين قتيلٍ وسجينٍ ومشرّدٍ عبر العصور والأمصار؟ وما كلّ ذلك إلاّ لأجل الدّفاع عن مذهب أهل البيت وعدم الاستسلام في مقابل سلاطين الجور.

فهذه الأحاديث تدلّ بوضوح على أنّ الفرقة النّاجية من مجموع الفرق الإسلاميّة هي شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقط لا غير.

---

(١) ـ «غاية المرام»: ص٥٧٩.

(٢) ـ سورة الزّمر: ١٠.

(٣) ـ «غاية المرام»: ص٥٨٣.

(٤) ـ «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٨١.

السّادس: الأحاديث الّتي تصرّح بأنّ الخلفاء هم الاثنى عشر وهذه الأحاديث، وإن كانت كثيرة، ذكرها السّنّة والشّيعة في صحاحهم ومسانيدهم وسائر كتبهم المعتبرة، إلاّ أنّا نكتفي بذكر بعض ما أخرجه أهل السّنّة. ثمّ الأحاديث الصّحيحة الواردة من طريق جهابذة علم الحديث من أئمّة السّنّة تدلّ بوضوح على ما يعتقد به الإماميّة من أنّ خلفاء الرّسول اثنا عشر فقط، لا أقلّ ولا أكثر. فالفرقة النّاجية هي الإماميّة فقط.

عن مسروق كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرؤنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرّحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم تملك هذه الأمّة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحدٌ منذ قدمت العراق قبلك. ثمّ قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله ﷺ فقال: «**اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل**»[1].

عن الشّعبي عن جابر بن سمرة قال: رسول الله ﷺ يقول: «**يكون لهذه الأمّة اثنا عشر خليفة**»[2].

عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي: أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، قال: فكتب إليّ سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة، عشيّة رجم الأسلمي يقول: «**لا يزال الدّين قائماً حتّى تقوم السّاعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش**»[3].

وأخرج أيضاً الحديث المذكور عن طرق كثيرة جدّاً، غير أنّ الطّرق المذكورة لا تفيد إلاّ معنىً واحداً، وهو أنّ خلفاء النّبيّ ﷺ اثنا عشر لا غير. وفيها دلالة

---

[1] - أخرجه إمام الحنابلة أحمد بن محمّد بن حنبل في «مسنده»: ج١ ص٣٩٨، طبع مصر عام ١٣١٣، وهذا الحديث موجود في «الصّواعق المحرقة»: ص٤٣، و«ينابيع المودة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٨٢.

[2] - أخرجه أيضاً الإمام ابن حنبل في «مسنده»: ج٥ ص١٠٦.

[3] - أخرجه أيضاً الإمام ابن حنبل في «مسنده»: ج٥ ص٨٩، و«صحيح مسلم»: ج٦ ص٤.

واضحة على أنّ النّبيّ ﷺ نطق بهذه الأحاديث في مواطن متعدّدة، فلا يبقى مجال للشكّ في صحّتها.

وابن حجر في «الصّواعق المحرقة» ذكر حديث «الخلفاء اثنا عشر» من عدّة طرق حيث قال: «فمن تلك الطّرق لا يزال هذا الأمر عزيزاً ينصرون على من ناوأهم عليه إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش» رواه عبد الله بن أحمد بسند صحيح.

ومنها: «**لا يزال هذا الأمر صابحاً... إلخ**».

ومنها: «**لا يزال هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة**».

ومنها: «**لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة**»، رواه مسلم.

ومنها للبزّار: «**لا يزال أمر أمتي قائماً حتّي يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش**»[1].

عن الشّعبي عن عمر بن قيس قال: كنّا جلوساً في حلقة فيها عبد الله بن مسعود، فجاء أعرابي فقال: أيّكم عبد الله بن مسعود؟ قال: أنا عبد الله بن مسعود. قال: هل حدّثكم نبيّكم كم يكون بعده من الخلفاء؟ قال: نعم، اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل[2].

عن جرير عن أشعث عن ابن مسعود عن النّبيّ ﷺ قال: «**الخلفاء بعدي اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني إسرائيل**»[3].

عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة (رضي الله عنه) قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ فسمعته يقول: «**بعدي اثنا عشر خليفة**»، ثمّ أخفى صوته،

---

[1] - «الصّواعق المحرقة» لابن حجر، الطّبع الجديد: ص٤٣، و«فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: ج٢ص١٤٨.

[2] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ص٨٢.

[3] - نفس المصدر السّابق.

فقلت لأبي: ما الّذي أخفى صوته قال: قال: **«كلّهم من بني هاشم»**[١].

عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: دخلت على النبيّ ﷺ فإذا الحسين ؑ على فخذيه وهو يقبّل عينيه ويقبّل فاه ويقول: **«أنت سيّد ابن سيّد، وأنت إمام ابن إمام، وأنت حجّة ابن حجّة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم»**[٢].

عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يكون اثنا عشر أميراً»**، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: **«كلّهم من قريش»**[٣].

وأيضاً جاء في صحيح البخاري: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»**[٤].

عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يكون من بعدي اثنا عشر أميراً»**، ثمّ تكلّم بشيء لم أفهمه، فسألتَ الّذي يليني، فقال: قال: **«كلّهم من قريش»**[٥].

فهذه الأحاديث صريحة على أنّ عدد الخلفاء اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بني إسرائيل ولا خلاف في ذلك.

---

(١) – نفس المصدر السّابق.

(٢) – «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ص٨٣.

(٣) – أخرجه محمّد بن إسماعيل البخاري في صحيحه: ج٨ ص١٢٧، آخر كتاب الأحكام في باب الاستخلاف.

(٤) – «صحيح البخاري»: ج٨ ص١١٤، كتاب الأحكام.

(٥) – أخرجه أبو عيسى محمّد الترمذي في صحيحه: ج٢ ص٤٥ باب ما جاء في الخلفاء. طبع دهلي عام ١٣٤٢م.

ثمّ بعد أن اتّفق الشّيعة والسنّة على أنّ الخلافة لا تكون إلاّ في قريش، قال الشّيعة الإماميّة: إنّ أفضل قريش بنو هاشم، لما رواه مسلم في صحيحه: إنّ النّبي ﷺ قال: **«إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»**[١].

وأيضاً روى مسلم أنّ النّبي قال: **«أمّا بعد، ألا أيّها النّاس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهُدى والنّور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: **وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي»**[٢]. فإذا جمعنا بين الأحاديث المذكورة أعني: الخلفاء اثنا عشر في قريش، وحديث الاصطفاء، وحديث الثّقلين؛ كانت النّتيجة هي اختصاص الخلافة بأهل بيت رسول الله ﷺ، وهم علي وأولاده المعصومون. ويؤكّد على ذلك ما ورد من طريق أهل البيت من أنّ النّبي ﷺ قد صرّح بأسماء خلفائه الاثنا عشر.

عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **«معاشر النّاس، إنّي راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيراً، وإيّاكم والبدع، فإنّ كلّ بدعة ضلالة، والضّلالة وأهلها في النّار، معاشر النّاس: من افتقد الشّمس فليتمسّك بالقمر، ومن افتقد القمر فليتمسّك بالفرقدين، فإذا فقدتم الفرقدين فتمسّكوا بالنّجوم الزّاهرة بعدي، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»**.

قال: فلمّا نزل عن المنبر ﷺ تبعته حتّى دخل بيت عائشة، فدخلت إليه وقلت: بأبي وأمي يا رسول الله سمعت تقول: **«إذا افتقدتم الشّمس فتمسّكوا بالقمر وإذا افتقدتم القمر فتمسّكوا بالفرقدين، وإذا افتقدتم الفرقدين فتمسّكوا بالنّجوم**

---

[١] - «صحيح مسلم»: ج٧ كتاب فضائل النّبي ﷺ: ص٥٨.

[٢] - «صحيح مسلم»: ج٧ ص١٢٣ باب فضائل علي بن أبي طالب.

الزّاهرة. فما الشّمس؟ وما القمر؟ وما الفرقدان؟ وما النّجوم الزّاهرة؟ فقال أنا الشّمس وعليّ القمر والحسن والحسين الفرقدان، فإذا افتقدتموني فتمسّكوا بعليّ من بعدي، وإذا افتقدتموه فتمسّكوا بالحسن والحسين، وأمّا النّجوم الزّاهرة فهم الأئمّة التّسعة من صلب الحسين تاسعهم مهديهم.

ثم قال ﷺ: إنّهم هم الأوصياء والخلفاء من بعدي أئمّة أبرار، عدد أسباط يعقوب وحواري عيسى. قلت: فسمّهم لي يا رسول الله؟ قال: أوّلهم علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي، وبعدهما عليّ زين العابدين وبعده محمّد بن علي الباقر علم النّبيين، والصّادق جعفر بن محمّد وابنه الكاظم سميّ موسى بن عمران، والّذي يقتل بأرض الغربة، وابنه علي، ثم ابنه محمّد وابنه الحسن وابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، فإنّهم عترتي من دمي ولحمي، علمهم علمي وحكمهم حكمي، من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي»[1].

والحديث مسند بسند طويل تركنا ذكر السّند رعاية للاختصار.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، يقول: «لمّا أنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ: ﴿يا أيّها الّذينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وَأطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنكُمْ﴾[2]، قلت: يا رسول الله قد عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر منكم الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: خلفائي وأئمّة المسلمين بعدي أوّلهم علي بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمّد بن علي الباقر، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي بن محمّد، ثمّ الحسن بن علي، ثم سمّي حجّة الله في أرضه، الّذي يفتح الله تعالى ذكره على يده مشارق

---

[1] – «كفاية الأثر في النّصّ على الأئمّة الاثني عشر» تأليف علي بن محمّد القمي: ص٤١.

[2] – سورة النّساء: ٥٩.

الأرض ومغاربها، ذلك الّذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان»[1].

عن ابن عبّاس قال: قدم يهودي على رسول الله ﷺ يقال له: «نعثل»، فقال: يا محمّد إنّي أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك. قال: سل يا أبا عمارة.

فقال: يا محمّد صف لي ربّك، فقال ﷺ: **إنّ الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الّذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به؟ جلّ عمّا يصفه الواصفون، نأى في قربه، وقرب في نأيه كيّف الكيفيّة، فلا يقال له كيف، وأيّن الأين، فلا يقال له أين، وهو منقطع الكيفيّة فيه والأينونية، فهو الأحد الصّمد، كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.**

قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن قولك: «إنّه واحد لا شبيه له»، أليس الله واحد والإنسان؟ فوحدانيّته أشبهت وحدانيّة الإنسان؟ فقال ﷺ: **واحد وأحديّ المعنى، والإنسان واحد ثنويّ المعنى، جسم وعرض وبدن وروح، وإنّما التشبيه في المعاني لا غير.**

قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصيّ، وأنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون. فقال: نعم، **إنّ وصيّي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب ﷺ وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة من صلب الحسين أئمّة أبرار.** قال: يا محمّد فسمّهم لي؟

قال: نعم، **إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى فابنه محمّد، فإذا مضى فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي**

---

[1] ـ «كفاية الأثر في النّصّ على الأئمّة الاثني عشر» لعلي بن محمّد القمي: ص٥٣.

فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فبعده ابنه الحجّة بن الحسن بن علي ﷺ. فهذه اثنا عشر إماماً على عدد نقباء بني إسرائيل.

قال: فأين مكانهم في الجنّة؟ قال: **معي في درجتي.**

قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله وأشهد أنّهم الأوصياء من بعدك، ولقد وجدت هذا في الكتب المتقدّمة، وفيما عهد إلينا موسى ﷺ. إذا كان آخر الزّمان يخرج نبيّ يقال له «أحمد» خاتم الأنبياء، لا نبيّ بعده، يخرج من صلبه أئمّة أبرار عدد الأسباط.

فقال ﷺ: **يا أبا عمارة أتعرف الأسباط؟** قال: نعم، يا رسول الله، إنّهم كانوا اثني عشر[1]... ونكتفي بهذا المقدار رعاية للاختصار.

الشّيعة والفرقة النّاجية

فالنّتيجة الحتميّة لهذه الأحاديث هي أنّ الفرقة النّاجية هي الإماميّة، إذ المراد من الأحاديث المذكورة هو حصر الأئمّة والخلفاء الشّرعيّين بعد النّبي ﷺ في الاثني عشر، وهم ليسوا إلاّ أئمّة الشّيعة ويؤكّد على ذلك ما عن عبد الله بن عبّاس عن النّبي ﷺ يقول: **«أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»**[2]. إذ يجب أن يكون خليفة النّبي المعصوم إماماً معصوماً. لا كلّ فاسق وفاجر. فلا يبقى مجال لتأويل الأحاديث المذكورة.

وقد ذكر أهل السّنّة في تأويل الأحاديث المذكورة وجوهاً:

---

[1] - «كفاية الأثر في النّصّ على الأئمّة الاثني عشر» لعلي بن محمّد القمي: ص١١-١٤، و«ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٣ ص٩٩.

[2] - «ينابيع المودّة»: ج٢ ص٨٣.

الوجه الأوّل: ما في «الصّواعق المحرقة» حيث يذكر قول القاضي عياض أنّه قال: لعلّ المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنّهم يكونون في مدّة عزّة الخلافة وقوّة الإسلام واستقامة أموره، والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه النّاس، إلى أن اضطرب أمر بني أميّة، ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد، فاتّصلت تلك الفتن بينهم، إلى أن قامت الدّولة العبّاسية، فاستأصلوا أمرهم[١].

قال شيخ الإسلام في «فتح الباري»: «كلام القاضي هذا أحسن ما قيل في هذا الحديث وأرجحه، لتأييده بقوله في بعض طرقه الصّحيحة: كلهم يجتمع عليه النّاس، والمراد باجتماعهم انقيادهم لبيعته، والّذي اجتمعوا عليه الخلفاء الثّلاثة، ثمّ عليّ إلى أن وقع أمر الحكمين في صفّين فتسمّى معاوية يومئذ بالخلافة، ثمّ اجتمعوا عليه عند صلح الحسن، ثمّ على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر، بل قتل قبل ذلك، ثمّ لمّا مات يزيد اختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بعد قتل ابن الزّبير، ثمّ على أولاده الأربعة: الوليد، فسليمان، فيزيد، فهشام، وتخلّل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الرّاشدين، والثّاني عشر الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمعوا عليه، فلمّا مات عمّه هشام، فولّى قرابة أربع سنين، ثمّ قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيّرت الأحوال من يومئذ، ولم يتّفق أن يجتمع النّاس على خليفة بعد ذلك». انتهى مورد الحاجة من كلام القاضي ومن يعينه على الإثم وهو شيخ الإسلام.

ولكن هذا التّأويل فيه من الشّناعة على حدّ لا يخفى على جاهل فضلاً عمّن يسمّي نفسه بالقاضي أو شيخ الإسلام. إذ حاصل التّوجيه المذكور هو شرعيّة خلافة معاوية مع وجود علي بن أبي طالب عليه السلام، وشرعيّة خلافة يزيد بن معاوية مع وجود الحسين بن علي عليهما السلام.

---

[١] - «الصّواعق المحرقة»: ص٤٣.

وأمّا ما مفاده من أنّ خلافة معاوية ويزيد كانت قوّة الإسلام واستقامة أموره، فنقول في توضيح شناعة ذلك: إنّ مراد شيخ الإسلام بالإسلام الّذي يقوى ويستقيم أمره بخلافة معاوية وابنه يزيد، إن كان هو الإسلام المحرّف والمزيّف، فهو صحيح إلاّ أنّه خارج عن محل الكلام، لأنّ محل الكلام هو الإسلام الّذي جاء به نبيّنا محمّد ﷺ. ومن البديهي أنّ خلافة معاوية ليست قوّة وعزّة للإسلام الّذي جاء به نبيّنا محمّد ﷺ. فما قاله شيخ الإسلام ليس إلاّ افتراءً على رسول الله ﷺ، لأنّ الرّسول لم يقصد من اثني عشر خليفة معاوية وأمثاله، لأنّ خليفة الرّسول هو من يقوم مقامه في أمور الدّين والدّنيا، فإنّ الخلافة هي الرّئاسة العامّة الإلهيّة، فيجب أن يكون الخليفة حامياً للدّين الإلهي، فيحمل النّاس على فعل الطّاعات واجتناب المحرّمات، ويقيم الحدود ويؤاخذ الفسّاق، وذلك يستدعي أن يكون الخليفة كالنّبي ﷺ عالماً عادلاً شجاعاً، بل معصوماً، حتّى تكون خلافته قوّة الإسلام وعزّته.

وأمّا خلافة معاوية، فليست قوّة الإسلام الّذي جاء به النّبي ﷺ كيف يكون معاوية خليفة رسول الله وهو يشرب الخمر ويأكل الرّبا، ويتمّ في السّفر، ويصلّي الجمعة يوم الأربعاء؟!

عن عبد الله بن بريدة قال: «دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش، ثمّ أتينا بالطّعام فأكلنا، ثمّ أتينا بالشّراب فشرب معاوية، ثمّ ناول أبي، ثمّ قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ، ثمّ قال معاوية: كنت أجمل شباب قريش، وأجودهم ثغراً، وما شيء كنت أجد له لذّة، كما كنت أجده وأنا شاب، غير اللّبن، أو إنسان حسن الحديث يحدّثني»[1].

---

[1] - أخرجه إمام الحنابلة أحمد في مسنده: ج٥ ص٣٤٧.

قال عمير بن رفاعة: مرّ على عبادة بن الصّامت -وهو في الشّام- قطارة تحمل الخمر، فقال: ما هذه؟ أزيت؟ قيل لا، بل خمر تباع لفلان، فأخذ شفرة من السّوق، فقام إليها، فلم يذر فيها راوية إلاّ بقرها، وأبو هريرة إذ ذاك بالشّام فأرسل فلان إلى أبي هريرة يقول له: أما تمسك عنّا أخاك عبادة؟ أمّا بالغدوات فيغدو إلى السّوق فيفسد على أهل الذمّة متاجرهم، وأمّا بالعشي فيقعد في المسجد ليس له عمل إلاّ شتم أعراضنا أو عيبنا، فأمسك عنّا أخاك، فأقبل أبو هريرة يمشي حتّى دخل على عبادة فقال له: يا عبادة! ما لك ولمعاوية؟ ذره وما حمل[1]، فإن الله يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾[2].

قال: يا أبا هريرة لم يكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ، بايعناه على السّمع والطّاعة في النّشاط والكسل، وعلى النّفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، على أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعه ممّا نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنّة، فهذه بيعة رسول الله ﷺ التّي بايعناه عليها، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع عليه رسول الله ﷺ وفى الله له بما بايع عليه نبيّه، فلم يكلّمه أبو هريرة بشيء[3].

والرّوايات في هذا الباب كثيرة، تركناها رعايةً للاختصار. نعم، كيف يمكن أن يقول شيخ الإسلام بأنّ عزّة الإسلام في خلافة معاوية وبيت معاوية حانوت الخمر ودكّة الفجور ودار الفحشاء والمنكر؟! كيف يلعب القاضي وشيخ الإسلام بالدّين المبين، حيث جعلا من لعنه رسول الله ﷺ خليفة له، تجاهلاً عن قول رسول

---

[1] – أخرجه ابن عساكر في تاريخه: ج٧ ص٢١١.

[2] – سورة البقرة: ١٣٤.

[3] – «الغدير» للعلاّمة الأميني: ج١٠ ص١٨٠.

الله ﷺ: «لعنت الخمر وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها»[١].

معاوية وأكل الرّبا

أخرج مالك والنّسائي وغيرهما من طريق عطاء بن يسار: إنّ معاوية (رضي الله عنه) باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدّرداء (رضي الله عنه): سمعت رسول الله ﷺ عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل، فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً، فقال له أبو الدّرداء (رضي الله عنه): من يعذرني في معاوية أنا أخبره عن رسول الله ﷺ وهو يخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها، ثمّ قدم أبو الدّرداء (رضي الله عنه) على عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه)، فذكر له ذلك فكتب عمر إلى معاوية: أن لا تبع ذلك إلاّ مثلاً بمثل وزناً بوزن[٢].

معاوية وإتمام الصّلاة في السّفر

أخرج الطّبراني وأحمد بإسناد صحيح من طريق عباد بن عبد الله بن الزّبير قال: لمّا قدم علينا معاوية حاجاً، قدمنا معه مكّة، قال: فصلّى بنا الظّهر ركعتين، ثمّ انصرف إلى دار النّدوة، قال: وكان عثمان حين أتمّ الصّلاة، فإذا قدم مكّة صلّى بها الظّهر والعصر والعشاء الآخر أربعاً أربعاً، فإذا خرج إلى منى وعرفات قصّر الصّلاة، فإذا فرغ من الحجّ وأقام بمنى أتمّ الصّلاة حتّى يخرج من مكّة، فلمّا صلّى بنا الظّهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمّك بأقبح ما عبته به، فقال لهما: وما ذاك؟ قال فقالا له: ألم تعلم أنّه أتمّ الصّلاة بمكّة؟ قال: فقال لهما: ويحكما، وهل كان غير ما صنعت؟ قد صلّيتهما مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) قالا: فإنّ ابن

---

[١] - سنن أبي داود: ج٢ ص١٦١، وسنن ابن ماجة: ج٢ ص١٧٤.

[٢] - الغدير للعلامة الأميني: ج١٠ ص١٨٤.

عمّك قد أتمّها، وإنّ خلافك إيّاه له عيب، قال: فخرج معاوية إلى العصر فصلاّها بنا أربعاً.

قال الأميني ﷺ: انظر إلى مبلغ هؤلاء الرّجال أبناء بيت أميّة من الدّين، ولعبهم بطقوس الإسلام، وجرأتهم على الله وتغيير سنّته، وإحداثهم في الصّلاة، وهي أفضل ما بُنيت عليه البيضاء الحنيفية، وانظر إلى ابن هند حلف الخمر والرّبا كيف يترك ما جاء به رسول الله ﷺ ووجد هو عمله عليه، ووافقه هو مع أبي بكر وعمر، ثمّ يعدل عنه لمحض أنّ ابن عمّه غيّر حكم الشّريعة فيه، وأنّ مروان بن الحكم طريد رسول الله وابن طريد، الوزغ ابن الوزغ، اللّعين ابن اللّعين على لسان النّبي العظيم وصاحبه عمرو بن عثمان ما راقهما اتباعه السّنّة، فاستهان مخالفتها دون أن يعيب ابن عمّه بعمله فأحيى أحدوثة ذي قرباه، وأمات سنّة محمّد ﷺ، غير مكترث لما سمعته أذن الدّنيا عن ابن عمر: الصّلاة في السّفر ركعتان من خالف السّنّة فقد كفر[1].

معاوية وصلاة الجمعة يوم الأربعاء

إنّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفّين، فتعلّق به رجلٌ من دمشق فقال: «هذه ناقتي أخذت منّي بصفّين فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدّمشقي خمسين رجلاً بيّنة يشهدون أنّها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله، إنّه جملٌ وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكمٌ قد مضى، ودسّ إلى الكوفي بعد تفرّقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه وبرّه وأحسن إليه، وقال له: أبلغ عليّاً أنّي أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين النّاقة والجمل، ولقد بلغ من

---

[1] - «الغدير للأميني»: ج١٠ ص١٩٠.

أمرهم في طاعتهم له أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفّين الجمعة في يوم الأربعاء»[١].

نعم، كان معاوية على بصيرة من أهل الشّام ومبلغهم من العقل والدّين، وقد كان يستفيد من أولئك الهمج بضآلة عقليّتهم وخور نفسياتهم، وبعدهم عن معالم الدّين ونواميس الشّريعة المقدّسة، فيجمعهم على قتال إمام الحقّ تارة، وللشّهادة بأنّه هو الّذي قتل عثمان أخرى.

نعم، معاوية لم يقابل إمام الحقّ فحسب، وإنّما كان يقابل النّبي الأعظم ودينه الأقدس وكتابه العزيز. فالقاضي عياض وشيخ الإسلام وإن كانا يشهدان بالخلافة لمعاوية وابنه يزيد، إلاّ أنّ هذه الشّهادة منهما ليست على أهل بيت الرّسالة فقط، بل شهادة زور على الرّسول الأعظم وعلى دينه الأقدس. أليس من العار والإهانة لأعظم الأنبياء أن يكون خليفته من يتجاهر بشرب الخمر ويلاعب القرود ويلبسهم الذّهب كيزيد بن معاوية؟ انظر إلى تاريخه الأسود حتّى تعلم أنّه كان يشرب الخمر علانية وأنّه صلّى بالمسلمين الفجر أربع ركعات، بعد أن كان شارباً حتّى الثّمالة[٢].

ولكن الحسين الّذي هو ريحانة رسول الله، وهو سيّد شباب أهل الجنّة، الّذي يصرّح عن سبب انتفاضته بقوله: **«أيّها النّاس من رأى إماماً جائراً يحلّل حرمات الله وينقض عهد الله من بعد ميثاقه ويخالف سنّة نبيّه، ويحكم عباد الله بالإثم والجور، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»** لم يكن خليفة لجدّه رسول الله ﷺ. فكان شيخ الإسلام مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾**[٣].

---

[١] - «الغدير للأميني»: ج١٠ ص١٩٦.

[٢] - «لأكون مع الصّادقين» للدكتور محمّد التّيجاني: ص٦٥، و«حقيقة الشّيعة الاثني العشرية» لأسعد وحيد القاسم: ص٧٧.

[٣] - سورة المائدة: ٢.

إذ نسبة الكذب والقبح إلى الرّسول الأعظم من أكمل مصاديق التّعاون على الإثم والعدوان. فيشمله أيضاً قول ريحانة رسول الله ﷺ الحسين بن علي ﷺ حيث قال: **«ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا الشّيطان، وتركوا طاعة الرّحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غير»**. وكيف لا يموت خجلاً من يسمّي نفسه شيخ الإسلام وهو يعلم قول الرّسول ﷺ بوجوب إطاعة علي بن أبي طالب ﷺ ويقول إنّ خليفة الرّسول هو معاوية، وكان يعلم أنّ علياً مع الحقّ والحقّ مع عليّ ﷺ. وهو يعلم باعتبار أنّه شيخ الإسلام قول النّبي ﷺ لعمّار: **«إنّه سيكون في أمّتي من بعدي هناة حتّى يختلف السّيف فيما بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، وحتّى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بعلي بن أبي طالب، فإن سلك النّاس كلّهم وادياً وسلك علي وادياً، فاسلك وادي علي بن أبي طالب وخلّ عن النّاس. يا عمّار إنّ عليّاً لا يردّك عن هدى ولا يدلّ على ردى، يا عمّار طاعة عليّ طاعتي وطاعتي طاعة الله»**[1].

ومن هنا ظهر بطلان ما قاله شيخ الإسلام من اجتماع المسلمين على انقياد هؤلاء الفاسقين، لأنّ النّبي قد وصّى لعمّار أن يسلك الطّريق الّذي سلكه علي بن أبي طالب. وهذا الحديث يؤكّد على أنّ الحقّ هو الطّريق الّذي سلكه علي، وإن كان النّاس كلّهم سلكوا ما سلكه الفاسقون. هذا مع أنّ الملاك في ثبوت الخلافة، لو كان هو اجتماع النّاس على الانقياد، لكان هارون الرّشيد من الخلفاء العبّاسيين أولى بالخلافة حيث قيل فيه: إنّه سيّد ملوك بني العبّاس بلا منازع، بلغ بملكهم ما لم يبلغه أحد قبله ولا بعده من سعة الآفاق، وهيبة السّلطان، وتأمين الحدود والثّغور.

---

[1] - «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: ج١ ص١٧٨.

وعرفه الشّرق من الصّين، وعرفه الغرب حتّى فرنسا، فترنّم بسيرته وبعظمة دولته، وبنظامها ورفاهيتها، وعلمها. . . من لم يقرأ التّاريخ[1].

الوجه الثّاني: لتأويل وتوجيه حديث اثني عشر خليفة بعد النّبي ﷺ وحاصل هذا التّأويل أنّ المراد بالاثني عشر خليفة غير أصحاب الرّسول، لأنّ حكم أصحابه يرتبط بحكمه.

إذاً، كلّ الأئمّة الاثني عشر من بني أميّة ما عدا عثمان ومروان، لأنّهما صحابيان. وعليه يكون أوّل الأئمّة الّذين عناهم النّبي ﷺ يزيد بن معاوية، ثمّ ابنه معاوية، ثمّ عبد الملك وأولاده الأربعة: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، وعمر بن عبد العزيز، والوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وأخوه إبراهيم، ومروان الحمار.

وهذا التّأويل لا يقلّ شناعة من الأوّل، وعرفت وجه ذلك في التّأويل الأوّل وقلنا: كيف يقبل وجدان مسلم غيور أن يكون خليفة النّبي من لم تخل مجالسه من كؤوس الخمر والفواحش. . . ؟!

ومن البديهي أنّ الخلفاء الأمويين مشهورون بالفسق والفجور.

الوجه الثّالث: إنّ المراد بالاثني عشر خليفة هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي عليه السلام، ومعاوية، وولده يزيد، وعبد الملك، وأولاده الأربعة، وعمر بن عبد العزيز، وهذا التّأويل من الشّناعة كالأوّل والثّاني، كما لا يخفى.

الوجه الرّابع: ما قاله ابن العربي المالكي في شرحه على صحيح التّرمذي، من أنّ هذا الحديث، وإن كان صحيحاً، إلاّ أنّا عددنا الخلفاء بعد رسول الله ﷺ ووجدناهم أكثر من الاثني عشر خليفة. وعدد جميع الخلفاء من الأمويين والعبّاسيين ثمّ قال: «ولم أعلم للحديث معنى». أيّها القارئ الكريم، كيف لا

---

[1] - «هارون الرّشيد» لشوقي أبي خليل: ص٧.

يعلم معنى الحديث من يتمكّن من شرح صحيح التّرمذي؟! بل يتجاهل عن معنى الحديث.

وما ذلك إلاّ تغطيةً لحق أهل بيت الرّسالة. ويؤكّد على ذلك ما في كتبهم عن الأصبغ بن نباتة عن عبد الله بن عبّاس (رضي الله عنه) قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون**»[١].

وهذا الحديث صريح بأنّ المعصومين بعد رسول الله ﷺ هم الاثنا عشر، وهم خلفاؤه ﷺ. ثمّ لو كان جهله حقيقياً، فحقيق بأن لا يعلم معنىً للحديث، لأنّه أعرض عن أهل البيت.

وأمّا الإماميّة الّذين تمسّكوا بأهل بيت الرّسالة ومعدن الوحي والتّنزيل، فهم على هدى من معنى الحديث ولا يقع في قلبهم شكٌّ أصلاً.

الوجه الخامس: إنّ الأئمّة الاثني عشر لم يخلقوا بعد، وسيخلقون ويملكون بعد ظهور المهدي المنتظر ووفاته[٢].

وهذه التّأويلات من إخواننا أهل السنّة ليست إلاّ تغطيةً لحقّ أهل بيت الرّسالة والنّبوّة وإلاّ فالحديث لا يحتاج إلى أيّ تأويل، بل غير قابل للتّأويل لكونه صريحاً.

وقد عرفت النّصوص الصّريحة الصّحيحة بين الشّيعة والسّنّة على خلافة علي بن أبي طالب ﷺ. وبعض هذه النّصوص ممّا كرّره النّبي ﷺ من مبدأ أمره -في نبوّته- إلى منتهى عمره الشّريف.

---

[١] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٨٣.

[٢] - «الصّواعق المحرقة» لابن حجر: ص٤٤، و«الشّيعة في الميزان» لجواد معنية: ص٤٣٢، و«خلفاء الرّسول الاثنا عشر» للحائري البحراني: ص١٩٤.

ومن البديهي أنّه لا يليق بجلال الله سبحانه أن يترك أمّة بدون إمام، وهو القائل: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[١]، كما لا يليق برحمة رسول الله أن يترك أمّته بدون راع.

وأنّه ﷺ كان لا يتركها كذلك في الأسفار القصيرة، وإنّما كان يعيّن مكانه من ينوب عنه.

وكيف يترك أمّته بدون راع، وإنّه كان يخشى عليهم الفرقة والانقلاب على الأعقاب، ويعلم تنافسهم على الدّنيا حتّى يضرب بعضهم رقاب بعض ويتبعون سنن اليهود والنّصارى[٢].

فإذا كانت أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر تبعث إلى عمر بن الخطّاب حين طعن فتقول له: «استخلف على أمّة محمّد ولا تدعهم بعدك هملاً، فإنّي أخشى عليهم الفتنة»[٣].

وإذا كان عبد الله بن عمر يدخل على أبيه حين طعن فيقول له: «إنّ النّاس زعموا أنّك غير مستخلف، وإنّه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمّ جاءك وتركها رأيت أن قد ضيّع، فرعاية النّاس أشدّ»[٤].

وإذا كان أبو بكر، وهو الّذي استخلفه المسلمون بالشّورى، يحطّم هذا المبدأ ويسارع إلى استخلاف عمر من بعده بحجّة قطعه دابر الخلاف والفرقة والفتنة. مع أنّ الأمر لم يكن كذلك، بل كان استخلاف عمر جزاءً له، لأنّ عمر بن الخطّاب هو الّذي أسّس وشيّد خلافة أبي بكر يوم السّقيفة، كما يؤكّد على ذلك

---

(١) - سورة الرّعد: ٧.

(٢) - «صحيح البخاري»: ج٤ ص١٤٤.

(٣) - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة: ج١ ص٢٣.

(٤) - «صحيح مسلم»: ج٦ ص٥ باب الاستخلاف وتركه.

قول علي ﷺ لعمر، حينما شدّد عليه لمبايعة أبي بكر: «**احلب حلباً لـــك شـــطره واشدد له اليوم يردّه عليك غداً**»[١].

فإذا كان هؤلاء يؤكّدون على الاستخلاف دفعاً للفرقة والفتنة، فكيف نصدّق بأنّ رسول الله ﷺ ترك الأمر دون استخلاف أصلاً؟! إذ لا يمكن أن يقال في حق النّبي الأعظم ﷺ بأنّه لم يكن يعلم ما علمه أبو بكر وعائشة وعبد الله بن عمر، وما يعلمه كلّ النّاس بالبداهة من اختلاف الآراء وتشتّت الأهواء، عندما يوكّل إليهم أمر الاختيار، وبالخصوص إذا كان الأمر يتعلّق بالرّئاسة واعتلاء منصّة الخلافة فتجاهل أهل السّنّة عن النّص على خلافة علي بن أبي طالب ﷺ وتمسّكهم بالشّورى، ليس إلاّ تغطيةً لحقّ علي ﷺ، مع أنّهم يعلمون بأنّ خلافة عمر كانت بنصٍّ من أبي بكر لا بالشّورى.

ويعلمون بأنّه قد أجمعت الأمّة الإسلاميّة قاطبة سنّةً وشيعة على خلافة علي ﷺ واختلفوا على خلافة غيره. إلاّ أنّهم تركوا ما اتّفق عليه الجميع وشقّوا عصا المسلمين، ورفضوا النّصوص المتواترة، وأخذوا بالظّنّ والاجتهاد. ولم يكن ذلك إلاّ تغطيةً لحقّ أهل بيت الرّسالة.

وممّا يؤيّد ذلك أنّ بيعة أبي بكر، إنّما تمّت بالإكراه والتّهديد، كما سبق تفصيل ذلك، ولكن حينما بايع النّاس عليّاً بعد مقتل عثمان انطلقت الأصوات ترجّ المدينة في فرح بالبيعة لعلي ﷺ، وكانوا يكبّرون ويهلّلون[٢].

وتعرف مرتبة علي وأبي بكر من كلامهما بعد أخذ مقاليد السّلطة، فقال علي بن أبي طالب ﷺ لابن عبّاس مشيراً إلى نعله: «**والله لهي أحبّ من إمرتكم، إلاّ أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً**»[٣].

---

[١] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة: ج١ ص١١.

[٢] - «عليٌّ إمام المتقين» لعبد الرّحمن الشّرقاوي: ج١ ص٢١٧.

[٣] - «نهج البلاغة»: الخطبة ٣٣.

وقال أبو بكر: «وإن زغت فقوّموني»[1]. فأبو بكر يحتاج إلى التقويم وعلي بن أبي طالب ﷺ يقيم الحقّ في المجتمع من دون حاجة إلى التقويم، فهو أولى بأن يكون قيّم المسلمين وخليفة من الرّسول. فلا يقبل العقل السّليم أن يكون خليفة المسلمين من يحتاج إليهم في التّقويم، بل خلافته ليست إلاّ نكبةً على المسلمين. ويؤكّد على ذلك ما شهد به عمر بن الخطّاب على رؤوس الملأ من أنّ «بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه»[2].

ولم يسأل أحد عمر بن الخطّاب: «كيف قبل استخلافه بوصيّة أبي بكر الّذي كانت بيعته فلتة وقى الله المسلمين شرّها»[3]؟ حسب شهادته هو. فإذا كانت خلافة أبي بكر فلتة، فخلافة عمر كانت وليدة الفلتة، فهي فلتة في فلتة، ولهذا بقيت آثارها إلى زماننا هذا. فجميع ما جرى بين المسلمين من الحروب الدّامية وهتك الأعراض ونهب الأموال وليد لبيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة. فما ذكره عمر بن الخطّاب من أنّ بيعة أبي بكر فلتة، وإن كان صحيحاً، إلاّ أنّ قوله: «وقى الله المسلمين شرّها» غير صحيح، بل بقي المسلمون في شرّها إلى زماننا هذا. وكيف لا يخجل عمر من هذا القول وهو الّذي أسّس وشيّد خلافة أبي بكر يوم السّقيفة؟! والمتتبّع للتاريخ يعلم أنّه لولا عمر لما كان لابن قحافة أن يعتلي منصّة الخلافة، فكلامه هذا اعتراف ضمني على أنّه مؤسّس للشرّ.

نعم، كلّ مسلم إذا كان طالباً للحقّ لا مفرّ له إلاّ أن يأخذ أقوال أئمّة أهل البيت، إذ الطّريق الّذي لا عوج فيه ولا يستدعي التّناقض هو طريق أهل بيت الرّسالة. ولكنّ أهل السّنّة لا يمكن أن يتخلّصوا من التّناقض، إذ لا يجتمع القول بأنّ النّبي ﷺ ترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يشاؤوا، والقول بأنّ هذا الأمر في قريش ما بقي من النّاس اثنان، وقول الرّسول ﷺ بأنّ الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش. إذ قولهم: بأنّ النّبي ﷺ ترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يشاؤوا، ولو من غير

---

[1] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة: ج١ ص١٦.

[2] - «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج٢ ص٣٤.

[3] - «صحيح البخاري»: ج٨ ص٢٥ باب رجم الحبلى من الزّنا.

قريش، يناقض قول النّبي ﷺ بأنّ الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش. ويناقض احتجاج أبي بكر على الأنصار بالقرابة من النّبي ﷺ. ثمّ احتجاجهم بالقرابة من النّبي ﷺ على الأنصار يناقض ردّهم احتجاج علي عليه السلام بالقرابة عليهم.

نعم، إنّهم احتجّوا على الأنصار بالقرابة، وأخرجوا الأمر منهم بهذه الحجّة، وأعرضوا عن قبول نفس الحجّة حينما احتجّ علي عليه السلام عليهم بها، لأنّ القرابة في هذا المقام كانت ضربة قاسية عليهم.

الفصل الثالث

في أبرز ما سجّله التّاريخ من عمر بن الخطّاب

وذلك يتلخّص فيما يلي:

١ : ما اعترضه على النّبي ﷺ في مرضه .

٢ : سيرته مع أهل بيت النّبي ﷺ .

٣ : مخالفته للنّبي ﷺ .

ويا ليت يترك عمر بن الخطّاب ما فعله وأحدثه كي لا يحصل ماحصل من افتراق الأمّة الإسلامية إلى شيَع وأحزاب متناحرة .

وأمّا ما اعترضه على النّبي ﷺ في مرضه : فهو رزيّة الخميس ، أخرج البخاري بالإسناد إلى ابن عبّاس ، قال : «يوم الخميس ، وما يوم الخميس؟ اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال : ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً فقال عمر (رضي الله عنه) إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله»[١] .

وفي صحيح مسلم كان ردّهم : أنّ رسول الله ﷺ يهجر[٢] .

فأوّل من ردّ على النّبي ﷺ ورفض طلبه هو عمر بن الخطّاب وهو الّذي عارض رسول الله ﷺ حين أراد أن يكتب للمسلمين كتاباً يعصمهم من الضّلالة بعده وقال عمر بن الخطّاب بأنّه يهجر .

---

[١] – «صحيح البخاري» : ج٧ ص٣٨٩ كتاب المرضى من قول المريض : قوموا عنّي .

[٢] – «صحيح مسلم» : ج٤ ص١٧٥ كتاب الوصيّة ، باب ترك الوصيّة .

فاتّهمه بالهجر لمّا عرف بأنّه يريد تعيين علي بن أبي طالب عليه السلام كتابةً، لأنّه سبق أن قال النّبي صلى الله عليه وآله لهم في حجّة الوداع بأنّ المتمسّك بالكتاب والعترة لن يضلّ بعده أبداً. ولم يكن ناسياً لقول النّبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». إذ لم يمض غير شهرين على يوم الغدير الّذي اتّخذه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عيدٍ لتنصيب علي بن أبي طالب خليفةً من بعده.

وكان عمر بن الخطّاب وأبو بكر من جملة المهنّئين لعلي بن أبي طالب بهذه المناسبة فقد جاءا إليه يقولان له: «بخٌ بخٌ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولانا ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة».

فقد فهم عمر بن الخطّاب بأنّ مضمون الكتاب الّذي أراد النّبي صلى الله عليه وآله أن يكتب لهم سيكون بنفس الألفاظ المذكورة يوم الغدير.

«إنّي تارك فيكم الثّقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». فقال عمر بن الخطّاب ردّاً لهذا الحديث: «حسبنا كتاب الله». فرفض العترة دون الكتاب لأنّ العترة تمنع عن الرّئاسة من يدّعيها، والكتاب قابلٌ للتأويل والعترة غير قابلة للتّغيير. ثم اتّهم النّبي صلى الله عليه وآله بالهجر ليعدل عن الكتابة نهائيّاً، ولم يصرّ النّبي عليها.

وفهم النّبي صلى الله عليه وآله بأنّه لو أصرّ على الكتابة، لما كان كتابه عاصماً من الضّلالة، لأنّ العصمة من الضّلالة انتفت بعد موافقة الكثير من الصّحابة لعمر على أنّه يهجر؟!

فالحكمة تقتضي عدم الكتابة، إذ لو أصرّ على الكتابة، لادّعى عمر بن الخطّاب وأتباعه بأنّ الكتاب كان هذياناً فلا اعتبار له أصلاً، أو أقاموا بعد النّبي صلى الله عليه وآله دعاوى باطلة تشكّك حتّى في كتاب الله ونصوص القرآن.

فكان عدم الإتيان بالدّواة والقرطاس هو السّبب في كلّ الحروب التّي حصلت، والمشاكل التّي نشأت بين جماعات الأمّة الإسلاميّة وأفرادها من صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

ويا ليت عمر لم يعارض ليكتب النّبي ﷺ لهم ما فيه صلاح الأمّة كي لا يحصل ما حصل من النّزاع والاختلاف على مرّ العصور.

أمّا إيجاد الاختلاف فهو السّبب الرّئيسي في إيجاد الاختلاف بين المسلمين وقد شقّ به عصا المسلمين وذلك فإنّ عمر بن الخطّاب هو الّذي أسّس وشيّد خلافة أبي بكر يوم السّقيفة، وقد خالف بذلك ما أجمع عليه الرواة من حديث الغدير وغيره من النّصوص الصّريحة في أنّ الأئمّة ﷺ اثنا عشر من أهل البيت.

فقد انقسمت الأمّة الإسلاميّة إلى سنّة وشيعة، ويعلم المتتّبع للتّاريخ أنّه لولا عمر بن الخطّاب لما كان لابن أبي قحافة أن يعتلي منصّة الخلافة.

فلولا فذلكة عمر قبل مؤتمر السّقيفة وبيعته لأبي بكر في ذلك المؤتمر وقسوته بعده، لما استتبّ الأمر لأبي بكر، ولما انقسمت الأمّة إلى سنّة وشيعة.

أمّا فذلكة عمر فهي شيء خطير بالغ الأهميّة، قام به عمر بن الخطّاب يوم وفاة رسول الله ﷺ لتجميد الأوضاع، وإيقاف أيّ عمليّة تؤدّي إلى انتخاب من يخلف الرّسول ﷺ، لأنّ زميله أبا بكر لم يكن في يثرب عند وفاة النّبي ﷺ وإنّما كان في السّنح[1]. فبعث خلفه من يأتي به إلاّ أنّه خشي أن يتقدّم إلى السّاحة أحد قبل مجيئه، فانطلق بحالة رهيبة، وهو يجوب في أزقّة يثرب وشوارعها، ويقف عند كلّ تجمّع من النّاس، ويهزّ بيده سيفه. وينادي بصوت عال قائلاً: «إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله ﷺ قد مات، وإنّه والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه، كما ذهب موسى بن عمران... والله ليرجعنّ رسول الله فيقطّعنّ أيدي رجال وأرجلهم ممّن أرجفوا بموته».

---

[1] - السّنح: محلّ يبعد عن المدينة بميل، وقيل: هو أحد عواليها، ويبعد عنها بأربعة أميال.

وجعل لا يمرّ بأحد يقول: مات رسول الله، إلاّ خبطه بسيفه وتهدّده وتوعّده. وذهل النّاس وعصفت بهم أمواج رهيبة من الحيرة، فلا يدرون أيصدّقون مزاعم عمر بحياة النّبي ﷺ، وهي من أعزّ ما يأملون، ومن أروع ما يحلمون؟ أم يصدّقون ما عاينوه من جثمان النّبي ﷺ، وهو مسجى بين أهله لا حراك فيه؟!!

ويستمرّ عمر بتهديده بالقتل وقطع الأيدي والأرجل لمن أرجف بموت النّبي ﷺ، إلاّ أنّه لم يمض قليل من الوقت حتّى جاء صاحبه أبو بكر من «السّنح»، فانطلق معه إلى بيت النّبي ﷺ، فكشف أبو بكر الرّداء عن وجه رسول الله ﷺ، وبعدما اطمأنّ بموته خرج إلى النّاس ويقول: «أيّها النّاس... من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت... وتلا قوله تعالى: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ﴾[1].

ولم يلبث عمر أن أسرع إلى الإذعان والتّصديق ويقول: «فوالله ما هو إلاّ إذ سمعتها... وقد علمت أنّ رسول الله قد مات»[2].

وقد ذكر باقر شريف القرشي تحليلاً لفذلكة عمر بن الخطّاب، حيث قال ما هذا لفظه:

نقاط مهمّة:

ونحن إذا تأمّلنا بدقّة وإمعان هذه البادرة الغريبة الّتي صدرت من الشّيخين، نجد فيها عدّة نقاط مهمّة تسترعي الاهتمام والتّحليل وهي:

١: إنّ عمر قد أنكر بصورة جازمة، وبإصرار بالغ موت النّبي ﷺ، فقد زعم أنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، وأنّه لابدّ أن يرجع إلى الأرض وينكّل بالمرجفين بموته. وممّا لا شكّ فيه أنّ ذلك لم يكن عن إيمان منه بحياة

---

[1] ـ سورة آل عمران: ١٤٤.

[2] ـ «الكامل لابن الأثير»: ج٢ ص٣٢٤.

النّبي ﷺ، وإنّما كان ذلك استغلالاً للفرص، وتوصّلاً إلى أهدافه السّياسيةحسب المخطّطات التّي وضع برامجها أقطاب حزبه، كأبي بكر، وأبي عبيدة، ويدلّ على ذلك ما يلي:

أ: إنّ عمر بالذات كان من المتفائلين بموت النّبي ﷺ في ذلك، فكان يقول لأسامة: «مات رسول الله ﷺ وأنت عليّ أمير؟». هذا ورسول الله ﷺ كان حيّاً، وقد اطمأنّ بوفاته حينما نعى ﷺ نفسه إلى المسلمين، وساق لهم الأمارات التّي تدلّ على وفاته.

ب: إنّه وقف أمام النّبي ﷺ في مرضه الّذي توفّي فيه، وقد صدّه عمّا رامه من الكتابة التّي تقي أمّته من الفتن والضّلال، وقال له: «حسبنا كتاب الله». ومن الطّبيعي أنّه إنّما قال ذلك حينما أيقن بوفاة النّبي ﷺ بهذا المرض.

ج: إنّ كتاب الله العظيم أعلن أنّ كلّ إنسان لابدّ أن يتجرّع كأس المنيّة. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1]، وقال سبحانه في خصوص نبيّه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾[3]. وهذه الآيات تتلى في وضح النّهار، وفي غلس الليل، أفهل خفيت على عمر، وهو ممّن يسمع كتاب الله، ويصابح رسول الله ﷺ ويماسيه؟

د: إنّ سكون عمر وهدوء ثورته الجامحة حينما جاء خدنه أبو بكر وتصديقه بلا مناقشة لمقالتّه حينما أعلن وفاة النّبي ﷺ، كلّ ذلك يقضي -بلا شبهة- أنّه إنّما قام بهذه العملية توصّلاً إلى مآربه وأهدافه.

---

[1] - سورة العنكبوت: ٥٧.

[2] - سورة الزّمر: ٣٠.

[3] - سورة آل عمران: ١٤٤.

٢ : إنّ حكم عمر بأنّ رسول الله ﷺ سوف يرجع إلى الأرض، ويقطع أيدي رجال وأرجلهم ممّن أرجفوا بموته، لا يخلو من وهنٍ، فإنّ تقطيع الأيدي والأرجل والحكم بالإعدام إنّما يكون للّذين يخرجون عن دين الله، أو يسعون في الأرض فساداً، وليس القول بموت النّبي ﷺ ممّا يوجب ذلك قطعاً.

٣ : إنّ أبا بكر أعلن في خطابه الّذي نعى به النّبي ﷺ: «من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت».

ومن المقطوع به أنّه لم يؤثّر عن أيّ أحد من المسلمين أنّه كان يعبد رسول الله ﷺ، أو اتّخذه ربّاً من دون الله، وإنّما أجمع المسلمون على أنّه عبد الله، ورسوله الّذي اختاره الله لوحيه واصطفاه لرسالته[1].

ويؤكّد على كون قيام عمر بالعمليّة المذكورة مؤامرةً للوصول إلى أهدافه أمران:

الأوّل: تجهيز النّبي ﷺ جيشاً عبّأ فيه وجوه المهاجرين والأنصار من كبار الصّحابة، فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعثمان وغيرهم، وأمرهم بالمسير إلى مؤتة بفلسطين بقيادة أسامة، وكان الهدف من ذلك إبعادهم عن المدينة وقت وفاته حتّى لا يقدرون على تنفيذ مخطّطهم، وهو صرف الخلافة عن علي بن أبي طالب، لأنّ النّبي ﷺ قد علم بالمؤامرة الّتي دبّروها لإبعاد علي بن أبي طالب عن الخلافة.

ويؤكّد على ذلك أنّ النّبي ﷺ لم يعبّئ عليّاً ضمن ذلك الجيش. فيدلّ هذا التّصرّف الحكيم على أنّ الخليفة بعد النّبي ﷺ مباشرةً هو علي بن أبي طالب. فالّذين يطمعون في الخلافة ويبغضون عليّاً أمرهم بالمسير، والّذين لم يعبئهم رسول الله في الجيش ليس فيهم من يطمع في الخلافة، ولا من يبغض عليّاً ويريد الغدر به.

---

[1] - «حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام»: ج١ ص٢٤٢-٢٤٤.

إلاّ أنّ النّبي ﷺ لم ينجح في مخطّطه هذا، إذ بعدما أدرك القوم هذا المخطّط توقّفوا عن المسير.

وأتى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة نحو أسامة وقالوا: أين تذهب وتخلّي المدينة، ونحن أحوج من كلّ أحد إلى المقام بها؟

فقال أسامة: وما ذاك؟

قالوا: لأنّ رسول الله قد نزل به الموت، والله لئن خلّينا المدينة ليلينّ الأمر علي بن أبي طالب، وما وجّه بنا محمّد ﷺ إلى هذا الوجه البعيد إلاّ ليخلّي المدينة لعلي بن أبي طالب، ويستتمّ الأمر له ويفسد علينا جميع ما أبرمناه.

ثم بعثوا رسولاً إلى المدينة ليتعرّف لهم الخبر وعلّة رسول الله ﷺ، فأتى الرّسول عائشة وسألها عن ذلك سرّاً.

فقالت له: امض إلى أبي بكر وعمر وقل لهما: إنّ رسول الله ﷺ قد ثقل حاله وزاد مرضه فلا يرجع أحدٌ منكم، وأنا أعرفكم الخبر وقتاً بعد وقت.

فلمّا اشتدّ مرض النّبي ﷺ دعت عائشة صهيب الرّومي فقالت له: امض إلى أبي بكر وعمر وأعلمهما أنّ رسول الله ﷺ في حال اليأس وقل له: يدخل هو وعمر وأبو عبيدة بالليل.

وأتاهم صهيب وأعلمهم برسالة عائشة، فأخذوه بيده وأدخلوه على أسامة وأخبروه بما أرسلت عائشة، واستأذنوه في الدّخول، فأمرهم وقال: لا يعلمنّ بكم أحدٌ فإن عوفي رسول الله فارجعوا إلى معسكركم، وإن قُبض فعرّفوني ذلك فندخل فيما دخل فيه النّاس.

فدخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ليلاً إلى المدينة ورسول الله مغشيّ عليه، فلمّا أفاق قال: والله لقد طرق المدينة هذه الليلة شرٌّ عظيمٌ، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: الّذين أمرتهم بالخروج في جيش أسامة رجع منهم أناس إلى المدينة مخالفين لأمري «ألا وإنّي إلى الله منهم بريء».

وكيف لا يكون النّبي ﷺ بريئاً منهم وهم خالفوا حكمه بتنفيذ جيش أسامة؟!

وقد كان النّبي ﷺ يحكم: «نفذوا جيش أسامة، نفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عنه» قالها ثلاثاً[١]. وليس لتخلّفهم عن سريّة أسامة تفسيرٌ مقبولٌ إلاّ المؤامرة على إبعاد عليّ عن الخلافة.

وممّا لا يقبل الجدل أنّه يستنتج من تصرّفات النّبي ﷺ وأقواله، وتحريضه، وحثّه على تنفيذ جيش أسامة أنّه ﷺ أراد أن يؤكّد الأمر لعلي بن أبي طالب، ويمهّد السّبيل له، بخلوّ المدينة عن الّذين يطمعون بالخلافة حتّى لا يبقى معارض، وبعد رجوعهم يكون الأمر قد استتبّ لعلي بن أبي طالب وتكون المعارضة أقلّ خطراً، أو لا خطر فيها أصلاً.

إلاّ أنّ مخالفة الصّحابة لأمر النّبي ﷺ كانت سبباً لعدم إتمام ما أراد الرّسول الأعظم من تنصيب علي ﵇ للخلافة الّتي كانت عن أمر الله تعالى. ثمّ إنّ النّبي ﷺ كان يعلم مسبقاً بأنّ عظماء قريش الّذين بلغوا السّتين لا ينقادون لعليّ وعمره لم يتجاوز الثّلاثين، بل يتذرّعون بصغر سنّه، فأمّر عليهم اسامة وعمره سبعة عشر وهو لا نبات بعارضيه وهو من الموالي، كي يبيّن لهم أوّلاً ولكلّ المسلمين ثانياً بأنّ المؤمن الصّادق في إيمانه يجب عليه أن يسمع ويطيع، ولو وجد في نفسه حرجاً ممّا قضى الرّسول ﷺ ويسلّم تسليماً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٢].

إلاّ أنّهم تفطّنوا إلى تدبيره ﷺ في تأميره أسامة عليهم، فطعنوا في إمارته ورفضوا الخروج معه.

وتحقّق بذلك عند النّبي ﷺ عدم إيمانهم وإخلاصهم لله ولرسوله ﷺ، وأنّهم عازمون على تنفيذ مخطّطهم. فقد اشتدّ غضب النّبي ﷺ عليهم وأطلق لعنته على

---

[١] ـ «علم اليقين» تأليف الفيض الكاشاني: ج٢ ص٦٦٤، وكتاب «السّقيفة» لأحمد بن عبد العزيز الجوهري.

[٢] ـ سورة الأحزاب: ٣٦.

المتخلّفين ليفهمهم وأتباعهم والمسلمين كافّة بأنّ الأمر قد بلغ منتهاه، ليهلك من هلك عن بيّنة.

الثّاني: مبادرة الأنصار إلى عقد مؤتمر السّقيفة سرّاً، بعدما أدركوا بأنّ عمر بن الخطّاب أراد بفذلكته إيقاف أيّ مؤتمر يؤدّي إلى انتخاب خليفة للرّسول.

وكان مؤتمر السّقيفة بدايةً للفتنة الكبرى إذ لم تقع بعد وفاة النّبي ﷺ حادثة أخطر على الأمّة الإسلامية من مؤتمر السّقيفة الّذي عقده الأنصار للاستيلاء على الحكم، والاستبداد بشؤون الدّولة، فقد كان الحجر الأساسي لتدهور الأمّة وما عانته من الكوارث والخطوب.

ولقد جرّ هذا المؤتمر السّياسي سلسلة طويلة من الأحداث الدّامية الّتي كان منها رزيّة كربلاء.

يقول الإمام كاشف الغطاء (رحمه الله):

تالله ما كربلاء لولا «سقيفتهم» ومثل ذاك الفرع ذاك الأصل ينتجه

بواعث هذا المؤتمر

أمّا البواعث الّتي أدّت إلى تسابق الأنصار إلى عقد مؤتمرهم بتلك السّرعة الخاطفة، وعدم التّريّث في الأمر حتّى يوارى النّبي ﷺ في مثواه الأخير فهي ما يلي:

١: إنّ الأنصار رأوا التّحرّك السّياسيّ من قبل المهاجرين الّذين يمثّلون الجبهة القريشية المعارضة لعلي بن أبي طالب، فقد أجمعوا على صرف الخلافة عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وظهرت منهم -بوضوح- بوادر التّمرّد، فقد امتنعوا من الالتحاق بسريّة أسامة، وحالوا بين النّبي ﷺ وبين ما رامه من الكتابة الّتي وصفها بأنّها تضمن عصمة الأمّة عن الضّلالة.

والأنصار وقفوا على حقد المهاجرين وكراهيتهم للإمام قبل وفاة النّبي ﷺ بزمان بعيد، وأنّهم لا يخضعون لحكمه ولا يرضون بسلطانه، كما يؤكّد على ذلك

قول النّبي ﷺ قبل موته: «**يا علي إنّي أعلم أنّ لك ضغائن في صدور قوم سوف يظهرونها لك بعدي، فإن بايعوك فاقبل وإلاّ فاصبر حتّى تلقاني مظلوماً**»[١].

والسّبب لضغائن القوم أنّ الإمام قد وترهم، وحصد رؤوس أعلامهم، ويؤكّد على ذلك ما يقول به عثمان بن عفّان للإمام: «ما أصنع إن كانت قريش لا تحبّكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين رجلاً، كأنّ وجوههم شنوف الذّهب تصرع آنافهم قبل شفاههم»[٢].

وعلى أيّ حال فإنّ الأنصار قد علموا أنّ المهاجرين من قريش يدبّرون المؤامرات، ويبغون الغوائل للإمام، وإنّهم لا يرضون بحكمه، وقد أعلنوا ذلك يوم غدير خمّ فقد قالوا: «لقد حسب محمّد أنّ هذا الأمر قد تمّ لابن عمّه وهيهات أن يتمّ».

وقد أيقن الأنصار أنّهم سيصيبهم الجهد والعناء إن استولى المهاجرون على زمام الحكم، وذلك بسبب مودّتهم للإمام، فلذلك بادروا إلى عقد مؤتمرهم، والعمل على ترشيح أحدهم للخلافة.

٢: وقد استبان للأنصار فيما أخبر به النّبي ﷺ أنّ أهل بيته لا ينالون الخلافة، وأنّهم المستضعفون من بعده فقد روى الشّيخ المفيد (رحمه الله) أنّه بقي عند النّبي ﷺ في مرضه عمّه العبّاس، وابنه الفضل، وعلي بن أبي طالب، وأهل بيته خاصةً، فقال له العبّاس: إن يكن هذا الأمر مستقرّاً فينا من بعدك فبشّرنا، وإن كنت تعلم أنّا نغلب عليه فأوص بنا، فقال ﷺ: «**أنتم المستضعفون من بعدي**»[٣].

فاحتاطت الأنصار لأنفسها، فبادرت لعقد المؤتمر للاستيلاء على الحكم لئلاّ يسبقهم إليه المهاجرون من قريش.

---

[١] ـ «الرّياض النّضرة في مناقب العشرة» للطبري، باب فضائل علي بن أبي طالب.

[٢] ـ «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج٩ ص٢٣.

[٣] ـ «الإرشاد»: ص٩٩.

٣: إنّ الأنصار كانوا العمود الفقري للقوّات الإسلامية المسلّحة، وقد أنزلوا الضّربات القاصمة بالقرشيين، فأبادوا أعلامهم وأشاعوا في بيوتهم الحزن والحداد في سبيل الإسلام، وقد علموا أنّ الأمر إذا استتبّ للقرشيين فإنّهم سينتقمون منهم بقهرهم وإذلالهم طلباً بثأرهم.

وقد تحقّق هذا التّنبّؤ في زمان حكم الأمويين، فسعوا جاهدين في إذلال الأنصار وقهرهم. وقد بالغ معاوية في الانتقام منهم، ولمّا ولّى الأمر من بعده يزيد جهد على الوقيعة بهم فأباح أموالهم ودماءهم وأعراضهم بجيوشه في «واقعة الحرّة» الّتي لم يشهد التّاريخ لها نظيراً في فظاعتها وقسوتها.

فمبادرة الأنصار لعقد مؤتمرهم الّذي أحاطوه بكثير من السّرّ والكتمان يؤكّد على أنّ عملية عمر كانت مؤامرة للوصول إلى أهدافه السّياسية.

وأمّا بيعة عمر لأبي بكر في مؤتمر السّقيفة:

فكانت فلتة باعتراف عمر بن الخطّاب، وكان يشهد على رؤوس الملأ في أيّام خلافته بأنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقّى الله المسلمين شرّها[١].

ونحن نقول: إنّ بيعة عمر لأبي بكر كانت فلتة وقع في شرّها المسلمون إلى يومنا هذا، إذ أوّل من بايع أبا بكر هو عمر بن الخطّاب، قال عمر: «فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتّى تخوّفت فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر لأبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار»[٢].

وروى أبو بكر الجوهري: «إنّ عمر كان يومئذ -يعني يوم بويع أبو بكر- محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنّ النّاس قد بايعوا أبا بكر». نعم، يهرول عمر بن الخطّاب فرحاً وسروراً. وكان يشجّع النّاس على البيعة تارةً ويهدّدهم أخرى، حتّى تمّ أمر الخلافة لأبي بكر.

---

[١] - «صحيح البخاري»: ج٨ ص٢٦، باب رجم الحبلى من الزّنا.

[٢] - «السّيرة النّبوية» لابن هشام ج٤ ص٢٢٧، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٥.

نعم، بايع النّاس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه البيعة العامّة بعد بيعة السقيفة، وشغلوا عن دفن رسول الله ﷺ من يوم الاثنين حتّى عصر الثّلاثاء، فسمع العبّاس وعليّ التّكبير في المسجد، ولم يفرغوا من غسل رسول الله فقال عليّ: ما هذا؟ قال العبّاس: ما رُؤي مثل هذا قطّ؟! فقد جاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمّد!! فقال العبّاس: فعلوها وربّ الكعبة!

فقد شيّد عمر بن الخطّاب خلافة أبي بكر يوم السّقيفة مع أنّها كانت فلتة باعترافه.

فإذا كانت خلافة أبي بكر فلتة، فخلافة عمر كانت وليدة الفلتة، فهي فلتة في فلتة، قد وقع المسلمون في شرّها إلى يومنا هذا، إذ قد غرقت أمّة محمّد في بحر من الدّماء بعدما تحكّم في مصيرها سفهاؤها وأراذلها بعد الخلافة الرّاشدة بحجّة الشّورى والاختيار. وتحوّلت بعد ذلك إلى الملك العضوض، وإلى القيصريّة والكسرويّة.

وأمّا **سيرته مع أهل بيت النّبي ﷺ**: فأبرزها تهديده إحراق بيت علي بن أبي طالب وفيه ريحانة رسول الله ﷺ فاطمة الزّهراء عليها السلام.

فقد ذكر أنّ أبا بكر أرسل عمر بن الخطّاب ومعه جماعة بالنّار والحطب إلى دار علي وفاطمة والحسن والحسين ليحرقوه بسبب الامتناع عن بيعته، فلمّا راجع عمر بعض النّاس قائلين: إنّ في البيت فاطمة... قال: وإن...[1].

ويؤكّد على ذلك ما ذكره ابن قتيبة في كتابه «الإمامة والسّياسة»: وإنّ أبا بكر (رضي الله عنه) تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي (كرم الله وجهه)، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب

---

[1] - «السّقيفة والخلافة» لعبد الفتاح عبد المقصود: ص١٤.

وقال: والّذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة فقال: وإن...»[١].

ومن هنا يأتي هذا السّؤال: لماذا هدّد بيت فاطمة الزّهراء بالحرق؟

الجواب: لقد تخلّف عدد كبير من الصّحابة الّذين لم يبايعوا أبا بكر في بيت علي بن أبي طالب، ولو لم يسارع عمر بن الخطّاب وطوّق الدّار بالحطب وهدّدهم بالحرق لاستفحل الأمر وانشقّت الأمّة إلى حزبين علويّ وبكريّ، ولكنّ عمر، ومن أجل فرض الأمر الواقع، ذهب شوطاً بعيداً عندما قال: لتخرجنّ للبيعة أو لأحرقنّ الدّار بمن فيها، يقصد عليّاً وفاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وبهذا القول لا يبقى في النّاس أحد تسوّل له نفسه شق عصا الطّاعة وعدم الدّخول في البيعة، فأيّ حرمة له أكبر من حرمة سيدة نساء العالمين وزوجها سيّد الوصيّين[٢]؟

نعم، تهديد عمر وإن كان مانعاً عن افتراق الأمّة الإسلامية إلى الحزبين في بداية الأمر، إلاّ أنّه تسبّب افتراق الأمّة الإسلامية إلى شيع وأحزاب متناحرة بعد الخلافة الرّاشدة إلى يومنا هذا.

عمر ومخالفته للنّبي ﷺ

وأمّا مخالفته للنّبي ﷺ: فكثيرة ولكنّنا نذكر بعض ما ابتدعه الّذي اشتهر على حدّ يتخيّله عوام أهل السّنّة أنّه سنّة لنبيّهم ﷺ كي يعلموا أنّه من بدع عمر بن الخطّاب لا من سنّة النّبي ﷺ ويتنبّهوا على أنّهم إذا عملوا بما أحدثه عمر بن الخطّاب كانوا من أتباع عمر بن الخطّاب لا من أتباع محمّد ﷺ ويعرفوا سرّ رفض علي عليه السلام للخلافة حينما فرض عليه العمل بسيرة الشّيخين.

---

[١] - «الإمامة والسّياسة»: ج١ ص١٢ طبع مصر سنة ١٣٨٨ هجرية.

[٢] - «فأسألوا أهل الذّكر» للدكتور التّيجاني: ص٢٥٠.

وذلك أنّه لمّا انتهى الأجل الّـذي ضربـه عمر بن الخطّاب، اجتمعوا في مسجد الرّسول، فقال عبد الرّحمن لعلي بن أبي طالب، أمدد يدك أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشّيخين.

فقال عليّ ﷺ: **أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت**. وقد كرّر عبد الرّحمن كلامه ثلاث مرّات، إلاّ أنّ عليّاً رفض العمل بسيرة الشّيخين، ثم مدّ عبد الرّحمن يده إلى عثمان وقال: امدد يدك أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشّيخين، فوافق عثمان على ذلك فبايعه عبد الرّحمن، وبذلك نال عثمان الخلافة.

نعم، أهل الدّنيا والرّئاسة يقدّمون الرّئاسة على كلّ شيء، فيقبلون كلّ ما هو الطّريق إلى الرّئاسة فقال عليٌّ لعبد الرّحمن: ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون. والله، ما ولّيت عثمان إلاّ ليردّ الأمر إليك، والله، كلّ يوم هو في شأن[1].

فرفض علي بن أبي طالب ﷺ لسيرة الشّيخين دليل على انحراف سيرتهما عن سيرة النّبي ﷺ وسنّته، وإلاّ لا وجه لرفضه ذلك مع أنّه يعلم أنّ الخلافة حقّ له فقط.

وعلم من ذلك أنّ أتباع الشّيخين ليسوا أتباع محمّد، بل شيعة علي هم أتباع محمّد، لأنّ علي بن أبي طالب ﷺ لم يغيّر شيئاً من الإسلام، وكان يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله.

وكيف كان، فمن بدع عمر بن الخطّاب:

---

[1] - «الطّبري»: ج٥ ص٣٧، و«ابن الأثير»: ج٣ ص٣٠ و٣١ نقلاً عن «تاريخ الإسلام السّياسي»: ج١ ص٢٥٦ تأليف الدّكتور حسن إبراهيم حسن.

عمر وصلاة التّراويح

صلاة التّراويح[1]: وهي نافلة شهر رمضان جماعة ولا يرتاب أحد في أنّها لم تكن أيّام رسول الله ﷺ ولا في خلافة أبي بكر، وإنّما سنّها الخليفة الثّاني عمر بن الخطّاب سنة ١٤ من الهجرة، نصّ على ذلك البخاري في كتاب صلاة التّراويح من صحيحه، قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه. قال: فتوفّي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر. وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه عن عبد الرّحمن بن عبد القاري، قال: خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا النّاس أوزاع متفرّقون، فقال عمر: إنّي أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد كان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب. قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى، والنّاس يصلّون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه.

قال القسطلاني في شرحه للبخاري: «سمّاها بدعة، لأنّ رسول الله ﷺ لم يسنّ لهم الاجتماع لها، ولا كانت في زمن الصّدّيق، ولا أوّل الليل ولا كلّ ليلة ولا هذا العدد».

وأخرج هذا الحديث أيضاً مالك في «الموطأ» في باب ما جاء في قيام رمضان. وأخرج مثل ذلك مسلم في صحيحه في باب التّرغيب في قيام رمضان.

قال أبو الوليد بن الشّحنة في تاريخه: «روضة المناظر»، في حوادث سنة ٢٣ عند ذكر وفاة عمر بن الخطّاب: «هو أوّل من جمع النّاس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز وأوّل من جمع النّاس على إمام يصلّي بهم التّراويح».

وقال ابن سعد في «الطّبقات الكبرى» في ترجمة عمر: هو أوّل من سنّ قيام شهر رمضان بالتّراويح، وجمع النّاس على ذلك، وكتب به إلى البلدان، وذلك في

---

[1] - «صحيح البخاري»: ج٢ ص٢٥١.

شهر رمضان سنة ١٤ ، ونصب للنّاس بالمدينة إمامين يصلّيان بهم التّراويح ، إماماً للرجال ، وإماماً للنساء .

وجميعاً يقرّون أنّها بدعة ، إذ لم يشرّع الله الاجتماع لأداء نافلة من السّنن غير صلاة الاستسقاء ، وإنّما شرّعه في الصّلوات الواجبة . وكان رسول الله ﷺ يقيم ليالي شهر رمضان بأداء سننها في غير جماعة . وقد أقام إجماع من أهل السّنّة على أنّ الرّسول ﷺ قال : **كلّ محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النّار .**

فقولهم بأنها بدعة حسنة ليس إلاّ تغطية الباطل بالباطل ، لأنّ الخلافة هي النّيابة عن صاحب الشّريعة في حفظ الدّين وتنفيذ أحكامه ، وليس للخليفة أن يغيّر ما جاء به صاحب الشّريعة من الأحكام ، كما يؤكّد على ذلك قوله تعالى : ﴿**وَمَا أتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[1] ، وما هو المعروف من أنّ «**حلال محمّد ﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة**» .

عمر وإسقاطه «حيّ على خير العمل» من الأذان

أسقط «حيّ على خير العمل» من الأذان والإقامة ، وكان هذا الفصل جزءً من الأذان والأقامة على عهد رسول الله ﷺ باتّفاق السّنّة والإمامية .

وروى البيهقي بسند صحيح عن ابن عمر أنّه كان يؤذّن بحيّ على خير العمل ، وقال ابن حزم : وقد صحّ عن ابن عمر وأبي أمامة «أنّه كانوا يقولون : حيّ على خير العمل»[2] .

---

[1] - سورة الحشر : ٧ .

[2] - «المحلى» : ج٣ ص١٦٠ نقلاً عن «الإمام الصّادق والمذاهب الأربعة» : ج٥ ص٢٨٣ .

وقال الشّوكاني نقلاً عن كتاب «الأحكام»: وقد صحّ لنا أنّ «حيّ على خير العمل» كانت على عهد رسول الله ﷺ يؤذّن بها، ولم تطرح إلاّ في زمان عمر. وهكذا قال الحسن بن يحيى[1].

وقال برهان الدّين الشّافعي في سيرته: ونقل عن ابن عمر وعن علي بن الحسين أنّهما كانا يقولان: «حيّ على خير العمل» بعد «حيّ على الفلاح»[2].

هذا ملخّص الكلام فيما نقل عن أهل السنّة.

وأمّا الإمامية فقد أجمعوا على لزوم الإتيان بلفظ: «حيّ على خير العمل»، لأنّها ثابتة على عهد الرّسول الأعظم ﷺ وقد أمر أهل البيت ﷺ أتباعهم بذلك، فكانت شعارهم في جميع أدوار التّاريخ.

وقال الإمام الباقر ﷺ: **«وكانت هذه الكلمة: «حيّ على خير العمل» في الأذان فأمر عمر بن الخطّاب أن يكفّوا عنها مخافة أن تثبّط النّاس عن الجهاد، ويتّكلوا على الصّلاة»**[3].

وقد جعل عمر بن الخطّاب كلمة «الصّلاة خير من النّوم» في الأذان. جاء في موطأ مالك أنّ المؤذّن جاء عمر بن الخطّاب يؤذنه لصلاة الصّبح، فوجده نائماً فقال المؤذّن: الصّلاة خير من النّوم، فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصّبح[4].

وقال الإمام علي ﷺ عندما سمع ذلك: **«لا تزيدوا في الأذان ما ليس منه»**. وأمّا ما يدّعى من أنّ النّبي ﷺ أمر بلالاً أن يقول: «الصّلاة خير من النّوم» في الأذان فليس إلاّ تغطيةً لما فعله عمر بن الخطّاب من البدعة، لأنّ الّذي روى عن بلال ذلك هو عبد الرّحمن بن أبي ليلى، وهذا غير صحيح، لأنّ ولادة عبد الرّحمن كانت سنة ١٧[5] من

---

[1] - «نيل الإوطار»: ج٢ ص٣٢.

[2] - «السّيرة»: ج٢ ص١٠٥.

[3] - «البحر الزّاخر»: ج١ ص١٩٢.

[4] - «موطأ مالك» في هامش «مصابيح السنّة للبغوي»: ج١ ص٣٧.

[5] - «تهذيب الأسماء واللغات» لمحيي الدّين النّووي: ج١ ص٣٠٤.

الهجرة النّبوية، وتوفّي سنة ٨٤ هـ، ووفاة بلال سنة ٢٠ من الهجرة فكيف يصح أن يروي عن بلال من عمره ثلاث سنين؟

وادّعي أيضاً أنّ بلالاً أتى النّبي ﷺ فوجده راقداً، فقال: «الصّلاة خير من النّوم»، فقال النّبي ﷺ: ما أحسن هذا، اجعله في أذانك. وهذه الدّعوة أيضاً ليست إلاّ تغطية للباطل، لأنّ الرّاوي هو عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم المتوفي سنة ٢٨٢هـ عن ابيه زيد بن أسلم عن بلال، وعبد الرّحمن ضعيف الحديث لا يعتمد عليه، كما نصّ على ذلك أحمد، وابن المديني، والنّسائي، وغيرهم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ زيداً لم يسمع من بلال، لأنّ ولادة زيد كانت سنة ٦٦هـ، ووفاته سنة ١٢٦ هـ[١].

فكيف يصحّ سماعه من بلال، وهولم يولد إلاّ بعد وفاة بلال بست واربعين سنة؟! فهذه الكلمة كانت في أيّام عمر وهي من بدع عمر بن الخطّاب. وبدون شكّ إنّ الأذان الّذي من فصوله: «حيّ على خير العمل» كان بأمر من الله ووحي أنزله على نبيّه ﷺ.

فقد أسقطها عمر بن الخطّاب، وتبعه في إسقاطها عامّة من تأخّر من المسلمين، مع علمهم بأنّ عمر بن الخطّاب ليس نبيّاً، كي يكون إسقاطه لها بوحي من الله. نعم، أتباع أهل البيت جعلوا «حيّ على خير العمل» شعاراً لهم، فهم في الحقيقة أتباع الرّسول الأعظم ﷺ، حيث لم ير من أئمّتهم تغيير حكم من أحكام الشّريعة الغرّاء.

عمر وتحريمه لمتعة الحجّ

وقد نهى عمر بن الخطّاب عنها رغماً لأمر رسول الله ﷺ بها عن الله عزّ وجلّ. وهي ممّا نصّ الذّكر الحكيم: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَما اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْي فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أيّامٍ فِي الحَجِّ. . . ﴾[٢].

---

[١] - «تذكرة الحفاظ» للذهبي: ج١ ص١٢٤، و«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي: ج١ ص٢٠٠.

[٢] - سورة البقرة: ١٩٦.

أمّا صفة التمتّع بالعمرة إلى الحج، فهي أنْ ينشئ المتمتّع بها إحرامه في اشهر الحج - وهي شوّال وذو القعدة وذو الحجّة- من الميقات فيأتي مكّة، ويطوف بالبيت، ثم يسعى بين الصّفا والمروة، ثم يقصّر ويحلّ من إحرامه، فيقيم بعد ذلك حلالاً، حتّى ينشئ في تلك السّنة نفسها إحراماً آخر للحجّ من مكّة، والأفضل من المسجد، ويخرج إلى عرفات، ثم يفيض إلى المشعر الحرام، ثم يأتي بأفعال الحج على ما هو مبيّن في الفقه.

وسمّي هذا القسم من الحج بحجّ التّمتّع، لما فيه من المتعة، أي اللـذّة، بإباحة محظورات الإحرام في المدّة المتخلّلة بين الإحرامين. هذا ما كرهه عمر بن الخطّاب. وقد أنكر عليه في هذا أهل البيت كافّة، ولم يقرّه عليه كثير من أعلام الصّحابة.

وأخبارهم في ذلك متواترة، وحسبك منها ما أخرجه مسلم في باب جواز التّمتّع من كتاب الحج من صحيحه، فإنّ فيه عن شقيق، قال: كان عثمان ينهى عن المتعة، وكان علي يأمر بها. قال علي: «**يا عثمان إنّا تمتّعنا على عهد رسول الله ﷺ**».

عمر وتحريمه لمتعة النّساء

وقد شرّعها الله ورسوله، وعمل بها المسلمون على عهده ﷺ حتّى لحق بالرّفيق الأعلى، ثم عملوا بها بعده على عهد أبي بكر حتّى مضى لسبيله، فقام بعده عمر وهم مستمرّون على العمل بها حتّى نهى عنها بقوله وهو على المنبر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالين وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النّساء». ومن الغريب أنّ أهل السّنّة مع علمهم بأنّ عمر ليس نبيّاً، فليس له أن يحرّم حلال الله ويغيّر أحكام الشّريعة، قد عملوا بما أحدثه عمر بن الخطّاب في الشّريعة، وهم مستمرّون على ذلك إلى يومنا هذا؟!!

وحسبك من الكتاب في إباحة متعة النّساء قوله تعالى ﴿**فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾[1].

---

[1] - سورة النّساء: ٢٤.

وقد أجمعت الأمّة الإسلامية على أصل مشروعية متعة النّساء بالآية المذكورة والسنّة النّبوية، إلاّ أنّ قول بعض العامّة بأنّ الآية منسوخة ليس إلاّ تغطية لما أحدثه عمر بن الخطّاب من البدعة.

ثمّ قول عمر بن الخطّاب حيث قال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله...» يؤكّد على عدم النّسخ، إذ لا معنى لنهي عمر عنها على فرض نسخ آية متعة النّساء ويؤكّد على ذلك أيضاً ما ذكره القوشجي في أواخر مبحث الإمامة من شرح التّجريد، وهو من أئمّة المتكلّمين على مذهب الأشاعرة من نصّ عمر بن الخطّاب وهو على المنبر: «ثلاث كنّ على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهنّ وأحرّمهنّ وأعاقب عليهنّ: متعة النّساء، ومتعة الحجّ، وحيّ على خير العمل»[١].

ثم اعتذر القوشجي بأنّه قد اجتهد في ذلك. وهذا الاعتذار منه ليس إلاّ تغطية البدعة بالبدعة مثلها، لأنّ الاجتهاد إنّما هو استنباط الأحكام من الأدلّة الشّرعية وليس معنى الاجتهاد تحريم ما هو معلوم الحلّيّة.

ولعمر بن الخطّاب بدع كثيرة تركت ذكرها رعايةً للاختصار، وتركنا بدع أبي بكر وعثمان لنفس الغرض. فخالفوا -بإحداث خلاف ما أتى به الرّسول ﷺ- قوله تعالى: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٢].

ومن هنا يظهر سرّ رفض علي بيعة عبد الرّحمن حينما فرض عليه العمل بسيرة الشّيخين. قال عبد الرّحمن: أمدد يدك أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشّيخين، فقال علي عليه السلام: **«أمّا كتاب الله وسنّة رسوله فنعم، وأمّا سيرة الشّيخين فلا»**.

---

[١] - «شرح تجريد الاعتقاد»: ص٣٧٤، طبع طهران.

[٢] - سورة الحشر: ٧.

الفصل الرّابع

المقارنات

وبالمقارنات تظهر الحقائق وتتميّز من الانحرافات

المقارنة الأولى: بين الشّيعة والسّنّة في مبدأ التشيّع والتّسنّن، تقول السّنّة: إنّ ظاهرة التّشيّع، بوصفه ظاهرة طارئة في المجتمع الإسلامي، نتيجة لأحداث وتطوّرات اجتماعية معيّنة أدّت إلى تكوين فكري ومذهبي خاص تحت عنوان الشّيعة.

وتقول الشّيعة: إنّ ظاهرة التّسنّن ظاهرة طارئة حدثت في المجتمع الإسلامي نتيجة لاجتهادات الصّحابة ومخالفتهم للنّصوص الدّينية حتّى في حياة الرّسول الأعظم ﷺ.

ثم أهل السّنّة -بعد أن يفترضوا ظاهرة التّشيّع نتيجة للأحداث والتّطوّرات- اختلفوا في تلك الأحداث والتّطوّرات التّي أدّت إلى نشوء تلك الظّاهرة وولادتها.

فمنهم من يفترض أنّ «عبد الله بن سبأ» ونشاطه السّياسي المزعوم هو الأساس لذلك التّكتّل الشّيعي، كما صرّح به «الدّكتور أحمد الشّلبي» في كتابه «موسوعة التّاريخ الإسلامي» حيث قال: «ونجح ابن سبأ في الخطّة التّي وضعها، وبجده -ليضمن النّجاح- يقوم بالدّعوة لعلي، فيتشرّف مذهب الوصاية، أي أنّ عليّاً وصيّ

محمّد، كما أنّ لكلّ نبيّ وصيّاً، وأنّ عليّاً خاتم الأوصياء، كما كان محمّد خاتم الأنبياء»[١].

ومنهم من يردّ ظاهرة التّشيّع إلى عهد خلافة الإمام علي ﷺ وما هيّأه ذلك العهد من مقام سياسيّ واجتماعي على مسرح الأحداث[٢].

ومنهم من يزعم أنّ ظهور الشّيعة يكمن في أحداث متأخّرة عن عهد خلافة الإمام علي ﷺ، كما صرّح به أحمد أمين حيث قال: «والحق أنّ التّشيّع كان مأوى يلجأ إليه كلّ من أراد هدم الإسلام لعداوة وحقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانيّة وزردشتيّة وهنديّة، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كلّ هؤلاء كانوا يتّخذون حبّ أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كلّ ما شاءت أهواؤهم»[٣].

وهذه الافتراضات كلّها باطلة نابعة عن تجاهل أصحابها عن التّاريخ وعن روح الإسلام، بل ليس من البعيد أن تكون أقلام هؤلاء مستأجرة لتغطية الحقائق، فاصطنعوا بها أساطير حول الشّيعة والتّشيّع، كأسطورة عبد الله بن سبأ، وأسطورة: إنّ مذهب التّشيّع قام على أساس فارسي، وقد لجأ إليه الفرس بعد أن زالتّ دولتهم على أيدي العرب. وأسطورة: إنّ التّشيّع هو حصيلة تعاليم خليطة من اليهوديّة والنّصرانيّة. وأسطورة: إنّ مذهب التّشيّع مذهب سياسي وليس دينياً.

وقد نُسجت هذه الأساطير حول الشّيعة بإحكام وتقدير، وكانت حياكتها بإدارة طبقة حاكمة تثبيتاً لسلطتها، كي يستمرّ عبثها بمقدّرات الأمّة الإسلامية حسب أهوائها وشهواتها.

---

[١] - «موسوعة التّاريخ الإسلامي»: ج١ ص٤٣٣.

[٢] - راجع كتاب «مسالة الإمامة» تأليف محسن عبد النّاظر: ص٣٤-٣٧.

[٣] - «فجر الإسلام» تأليف أحمد أمين: ص٢٧٦.

وذلك أنّه قد أوجب المالكيّة والشّافعيّة والحنابلة الصّبر على جور الحاكم وظلمه ومنعوا من الخروج عليه[١].

ولهذا أصبحت هذه المذاهب رسميّة وانتشرت في أرجاء العالم من دون أن تلاقي منعاً أو معارضة من السّلاطين والحكّام.

هذا بخلاف فقهاء الشّيعة، فقد أفتوا بأنّ أيّ عمل فيه معونة لظالم بجهة من الجهات، فهو حرام وكبيرة من الكبائر.

إذ قد جاء عن الإمام الصّادق عليه السلام: **«من أرضى سلطاناً جائراً بسخط الله خرج من دين الله»**، وقال الباقر عليه السلام: **«لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله»**، وقال الإمام علي عليه السلام: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**.

فمبدأ التّشيّع يلازم الثّورة على الفساد والظّلم. وقد ثار أئمّة الشّيعة وفقهاؤهم وأدباؤهم على حكّام الجور، ورفضوا التّعاون معهم على الإثم امتثالاً لأمر ربّهم: **﴿وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوانِ﴾**[٢]، لأنّ عقيدة التّشيّع ثورة بطبعها على الباطل، وتضحية بالحياة من أجل الحق، ولهذا أصبح مذهب التّشيّع من المذاهب المحظورة عبر العصور.

إذ ليس من المعقول أن يتجاهل الحاكمون هذه العقيدة، فاضطهدوا الشّيعة ونكّلوا بهم، وطاردوهم في كلّ مكان، بل كان ولاة الجور ينهبون الأموال ويستعبدون الأحرار، ويملؤون السّجون بالأبرياء، ويعملون السّيف في الرّقاب.

وكانوا في الوقت نفسه يجدون من شيوخ السّوء من يبرّر أعمالهم ويخرجها على قواعد الدّين وأصول الشّريعة، ويفتي بتكفير الشّيعة ويدّعي مروقهم من الشّريعة. فلقد وجد معاوية أبا هريرة وسمرة بن جندب يضعان الأحاديث الكاذبة

---

[١] - «المذاهب الإسلامية» للشيخ أبي زهرة: ص١٥٥، المطبعة النّموذجية.

[٢] - سورة المائدة: ٢.

على لسان الرّسول في مدح معاوية، والطّعن في عليّ، كما وجد ولده يزيد شيخاً يقول: إنّ الحسين قتل بسيف جدّه؟!!

فقد تمّ الاتّفاق بين حكّام الجور وشيوخ السّوء على أن يقتل أولئك المؤمنون المخلصون لله ولرسوله واهل البيت، ويبرّروا ذلك التّقتيل على أساس الدّين المزعوم.

وكان السّبب الوحيد لذلك الاتّفاق أنّ شيعة عليّ يمثّلون المعارضة للحكومات الأمويّة والعبّاسيّة، وهي حكومات ظالمة جائرة، توجب على معارضيها أن يمشوا في طريق معاداة الظّلم والجور. وكان الشّيعة يفسّرون الدّين تفسيراً يخالف مصالح الطّغاة.

نعم إنّ الأقلام المستأجرة تكتب بأنّ الشّيعة هم الّذين هدموا الدّين، وليس هذا إلاّ تغطيةً للحقائق وإحياءً لأباطيل الطّغاة. بل الّذين هدموا الدّين والإسلام هم الّذين صرفوا الحقّ عن أهله، وأخرجوه من معدنه بيت الرّسول الأعظم ﷺ، حتّى طمع به الأدعياء، والطّلقاء الّذين ركّبوا أمّ المؤمنين على الجمل وطافوا بها القفار، والّذين حرّضوا على قتل عثمان ثم طالبوا بدمه، وأعلنوا الحرب على الوصيّ في البصرة وصفّين، والّذين سمّموا الحسن وقتلوا الحسين والّذين فضحوا النّساء في «واقعة الحرّة» فولد في تلك السّنة ألف مولود لا يعرف لهم أب. فكلّ من يتتبّع التّاريخ بوجدان حيّ يعلم بأنّ هؤلاء الطّغاة وأتباعهم الفجرة هم الّذين هدموا الإسلام والعروبة، لا الشّيعة أتباع الإمام الصّادق الأمين وأهل بيته الطّيّبين.

وبهذا نجد السرّ الأوّل والتّفسير الصّحيح لقول أحمد أمين وغيره من السّنّة بأنّ «التّشيّع كان ملجأً لكلّ من أراد هدم الإسلام»، لأنّ الإسلام في منطق أحمد أمين وأسلافه يتمثّل في شخص الحاكم جائراً كان أو عادلاً فكلّ من عارضه أو ثار عليه فقد خرج على الإسلام، والجائر في منطق الشّيعة هو الخارج على الإسلام

وشريعته، فمن ثار على هذا الحاكم فقد أخذ بالدّين وعمل بالقرآن وسنّة الرّسول الأعظم ﷺ، كما نشاهد ذلك في شعب أفغانستان وإيران.

فالشّيعة هدّامون للضّلال والفساد، لأنّهم يوجبون المعارضة والثّورة على الفساد والظّلم. فمذهب الشّيعة يخالف مذهب التّسنّن، فإنّ جمهور السّنّة يوجبون طاعة الحاكم الجائر والصّبر على جوره وظلمه ولا يجيزون الخروج عليه، ويقف كلّ من مذهب الشّيعة والسّنّة موقف التّضاد من الآخر، ومع ذلك لم تر فتوى من علماء الشّيعة بتكفير أهل السّنّة، بخلاف فتوى علماء السّنّة بتكفير الشّيعة وهي ليست إلاّ بإرادة حكّام الجور.

ولم يكتفوا بذلك، بل خلقوا أساطير حول الشّيعة، وقد تحوّلت تلك الأساطير بمرور الزّمن إلى حقائق واقعيّة وخياليّة ثابتة ظاهراً، وذلك بقوّة الاستمرار إلى حاجز منيع يحجب الحقيقة وراء ضباب كثيف.

ولكن للحقيقة قوّة ماردة سحريّة تبدّد الضّباب والظّلام، وتدكّ الحواجز والسّدود، وتظهر من ألف جدار وجدار، وتحوّل الأساطير المضروبة حولها إلى هباء، كما بدّدت الحقيقة ظلام الشّيوعيّة وحطّمت أسطورتها بيد غور باتشوف بعد بقائها وراء الضّباب الكثيف أكثر من سبعين عاماً.

فقد كتب خصوم الشّيعة أنّ العقيدة الشّيعيّة قد نبعت من أصل يهودي، وأنّها من صنع عبد الله بن سبأ الّذي كان يهوديّاً وأظهر الإسلام، واندسّ بين صفوف المسلمين متنقّلاً في العواصم الإسلامية، يبث دعاته في الأنصار لنشر الدّعوة لعليّ.

وأنّه هو الّذي وضع للشّيعة مذهب الوصاية الّذي أخذه عن اليهوديّة، بمعنى أنّ عليّاً هو وصيّ محمّد، وأنّه خاتم الأوصياء كما أنّ محمّداً خاتم الأنبياء.

وأنّه هو الّذي ألّب المسلمين على عثمان بن عفّان وأجّج الثّورة ضدّه حتّى قتل.

وأنّه هو الّذي قد أثّر على جماعة من الصّحابة والتّابعين، فاستجابوا لدعوته، وأثاروا الشّغب كما يريد، ومن هؤلاء أبو ذر وعمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي حذيفة، ومحمّد بن أبي بكر. وهذه الأسطورة كتبها خصوم الشّيعة من دون مراجعة إلى مصادر الشّيعة المتوفّرة في كلّ مكان وزمان. فبدلاً أن يعودوا إلى مؤلّفات الشّيعة، رجعوا إلى أقوال صاغها الوهم، وافترضها الحقد، وخلقتها الخصومة، وقد يكون الجهل أحد عوامل وجودها.

وليست هذه التّقوّلات من خصوم الشّيعة سياسيّاً ومذهبيّاً إلاّ تغطيةً للحقّ وإبرازاً للباطل بصورة الحق، كما هو شأن كلّ خصم لئيم، لأنّ مصدر ولادة عبد الله بن سبأ ينحصر في روايات الطّبري، وإنّها كاذبة باعتراف محدّثي أهل السّنّة.

فإنّ روايات الطّبري تستند في هذا الموضوع على ركيزتين:

الرّكيزة الأولى: سيف بن عمر، وتقول عنه كتب التّراجم ما يلي بالحرف الواحد: يقول ابن حبّان: كان سيف عمر يروي الموضوعات عن الأثبات وقالوا: إنّه كان يضع الحديث، واتّهم بالزّندقة، كما يقول عنه الحاكم النّيسابوري: اتّهم سيف بالزّندقة، وهو بالرّواية ساقط، ويقول عنه ابن معين: ضعيف الحديث، فليس فيه خير، وقال عنه النّسائي صاحب السّنن: ضعيف، وقال عنه السّيوطي: إنّه وضّاع، وقال محمّد بن طاهر بن علي الهندي عنه: سيف بن عمر متروك، اتّهم بالوضع والزّندقة وكان وضّاعاً[1].

الرّكيزة الثّانية: السّري بن يحيى، كما يسمّيه الطّبري، وهو ليس بالسّري بن يحيى الثّقة، لأنّ السّري بن يحيى الثّقة يكون زمانه أقدم من الطّبري، فقد توفّي سنة ١٦٧ هـ في حين ولد الطّبري سنة ٢٢٤هـ. فالفرق بينهما سبعة وخمسون عاماً. ولا يوجد عند الرّواة سري بن يحيى غيره، ولذلك يفترض أهل الجرح

---

(١) - «تهذيب التّهذيب» لابن حجر: ج٤ ص٢٩٥ نقلاً عن «هوية التّشيّع» للدكتور الوائلي: ص١٣٠.

والتّعديل أنّ السّري الّذي يروي عنه الطّبري يجب أن يكون واحداً من اثنين، كلّ منهما كذّاب وهما: السّري بن إسماعيل الهمداني الكوفي، وهو أوّلهما، وثانيهما السّري بن عاصم الهمداني نزيل بغداد المتوفّي سنة ٢٥٨، والّذي أدرك ابن جرير الطّبري وعاصره أكثر من ثلاثين عاماً، وكلّ من هذين قد كذّبه أهل الحديث، واتّهموهما بالوضع، فقد كذّبهما صاحب «تهذيب التّهذيب» وصاحب «ميزان الاعتدال»، وصاحب «تذكرة الموضوعات»، وصاحب «لسان الميزان» وغيرهم واتّهموا كلّ واحد منهم بالوضع.

وقد ذكر النّقاد للطّبري سبعمائة حديث وحديثاً واحداً، وهذه الأحاديث تغطّي زمن الخلفاء الثّلاثة، وأسانيد هذه الرّوايات كلّها عن السّري الكذّاب وعن شعيب المجهول وعن سيف الوضّاع المتّهم بالزّندقة.

ومن تلك الروايات رواياته في أحوال عبد الله بن سبأ وسنده عن شعيب وعن سيف بن عمر، وكلّ من كتب عن عبد الله بن سبأ فهو عيال على الطّبري، وعنه أخذ وإليه استند[1]. فعبد الله بن سبأ شخصيّة وهميّة مخترعة لا حقيقة لها.

وقد تفطّن الدّكتور طه حسين لأسطورة عبد الله بن سبأ، وهو من أهل السّنّة، حيث استعرض أوّلاً الصّورة الّتي رسمت لابن سبأ، ثم مزّقها بعد تحليل دقيق. وانتهى إلى أنّ عبد الله بن سبأ شخصيّة وهميّة خلقها خصوم الشّيعة، ودعم رأيه بالأمور التّالية:

١ : إنّ كلّ المؤرّخين الثّقات لم يشيروا إلى قصّة عبد الله بن سبأ، ولم يذكروا عنها شيئاً.

٢ : إنّ المصدر الوحيد عنه هو سيف بن عمر وهو رجل معلوم الكذب ومقطوع بأنّه وضّاع.

---

[1] - راجع «الغدير» للأميني: ج٩ ص٢١٨.

٣ : إنّ الأمور الّتي أسندت إلى عبد اللـه بن سبأ تستلزم معجزات خارقة لفرد عاديّ ، كما تستلزم أن يكون المسلمون الّذين خدعهم عبد الله بن سبأ وسخّرهم لمآربه ، وهم ينفّذون أهدافه بدون اعتراض ، في منتهى البلاهة والسّخف .

٤ : عدم وجود تفسير مقنع لسكوت عثمان وعمّاله عنه مع ضربهم لغيره من المعارضين كمحمد بن أبي حذيفة ومحمّد بن أبي بكر وعمار وغيرهم .

٥ : عدم وجود أثر لابن سبأ ولجماعته في واقعة صفّين وفي حرب النّهروان .

وقد انتهى طه حسين إلى القول : إنّ عبد الله بن سبأ شخص ادّخره خصوم الشّيعة للشّيعة ، ولا وجود له في الخارج[1] .

نفرض أنّ عبد الله بن سبأ لم يكن رجلاً أسطوريّاً وكان يهوديّاً ، يذكر أحاديث الوصيّة الواردة من الرّسول الأعظم ﷺ ، وذلك لا يستوجب علينا أن نتبرّأ من أحاديث الرّسول الأعظم بحجّة أنّ رجلاً يهوديّاً قام بقراءتها ، وإلاّ فعلينا أن نتبرّأ من القرآن الكريم –والعياذ بالله– بحجّة أنّ من اليهود الإسرائيليين من يقرأ القرآن من إذاعة القدس .

وأحاديث الوصاية ليست من موضوعات عبد الله بن سبأ ، بل وردت من طرق أهل السّنّة .

عن ابن المغازلي الشّافعي بإسناده عن رسول الله ﷺ : إنّه قال ﷺ : **«لكلّ نبي وصيّ ووارث ، وإنّ وصيّي ووارثي علي بن أبي طالب»**[2] .

ونكتفي برد أسطورة عبد الله بن سبأ تجنّباً عن التّطويل المملّ . ويكفي في رد سائر الأساطير إثبات أصالة التّشيّع في الإسلام .

الدّعوة إلى التّشيّع لعليّ إنّما هي من محمّد رسول الله ﷺ ، تمشي منه جنباً لجنب مع الدّعوة إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله . فالمصدر الأوّل

---

[1] – راجع «الفتنة الكبرى» فصل ابن سبأ تحت عنوان : ابن السّوداء : ج١ ص١٣١ .

[2] – «المناقب» لابن المغازلي : ص٢٠٠ .

والأخير للشيعة والتّشيّع هو النّبي ﷺ دون عبد الله بـن سبأ ، فـإن كـان التّشـيّع هـو السّبب لتمزيق المسلمين وتفريـق كلمتـهم ، كمـا زعـم بعـض السّنّة ، فالمسـؤول عـن ذلك هو النّبي الأعظم وحده دون غيره. كما يؤكّد على ذلـك مـا صـرّح بـه صبحـي الصّالح في كتابه «النّظم الإسـلامية» : «من أنّ الشّـيعة نبتـت فـي زمـن النّبـي ﷺ وحياته»[١].

وقد أثبت الشّيعة من كتب السّنّة وأقوالـهم أنّ النّبي ﷺ هـو الّـذي بعـث عقيـدة التّشيّع ودعا إليها.

وأثبتوا أيضاً من طرق السّنّة أنّ النّبي ﷺ أوّل مـن أطلـق لفـظ الشّيعة علـى مـن أحبّ علياً وتابعه.

جاء في «الصّواعق المحرقة» من أنّ النّبي ﷺ قال : **«يا علي إنّك ســتقدم علــى الله وشيعتك راضين مرضين ، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحــين»** ، ثـمّ قـال بـلا خجـل : «وشيعته هم أهل السّنّة لأنّهم الّذين أحبّوه كما أمر الله ورسوله»[٢]. وليس هـذا الكلام منه ، وهو من أعداء الشّيعة ، إلاّ تغطيةً للحقائق ، فإنّه يعلـم أنّ أتبـاع معاويـة -وهم من أهل السّنّة- قد سبّوا علياً ولعنوه على خلاف ما أمر به الله ورسـوله أكثر من أربعين عاماً. وهذا الشّعار مستمر إلى يومنا هذا ، لأنّ السّبّ والشّتم بلفظ يا أبا الحسن متعارف عند أهل الشّام.

وجاء فـي «تـاريخ مدينـة دمشـق» أنّ النّبـي ﷺ قـال لعلـي : **«أنــت وشـــيعتك في الجنّة»**[٣] ، وأيضاً أنّ النّبي ﷺ نظر إلى عليّ فقال ﷺ : **«هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»**[٤].

---

[١] - «النّظم الإسلامية» : ص٩٥.

[٢] - «الصّواعق المحرقة» لابن حجر : ص١٨٣ ، طبع لبنان الجديد.

[٣] - «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر الشّافعي في ترجمة علي بن أبي طالب : ج٢ ص٣٤٥.

[٤] - «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر الشّافعي في ترجمة علي بن أبي طالب : ج٢ ص٣٤٨.

وروى الحافظ الحاكم الحسكاني «الحنفي» في ذيل قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]، عن أبي بكر المعمري بإسناده عن عيسى بن عبيد الله بن محمّد بن عمر بن علي عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب قال: حدّثني سلمان فقال: يا أبا الحسن قلّما اقبلت أنت وأنا عند رسول الله إلاّ قال: «**يا سلمان هذا وحزبه هم المفلحون يوم القيامة**»[٢].

وأيضاً قال الحافظ الحسكاني الحنفي: أخبرنا أبو عبد الرّحمن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الصّوفي بإسناده عن ابن عبّاس قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٣]؟ قال ﷺ: حدّثني جبرائيل بتفسيرها قال: «ذاك عليّ وشيعته إلى الجنّة»[٤]. فمعنى الآية أنّ عليّاً وشيعته هم السّابقون إلى الجنّة، وهم المقرّبون عند الله.

عن رسول الله ﷺ أنه قال للإمام عليّ: «**حبّك إيمانٌ وبغضك نفاق، وأوّل من يدخل الجنّة محبّك، وأوّل من يدخل النّار مبغضك**»[٥]، وهناك أحاديث كثيرة تركنا ذكرها رعايةً للاختصار، ومن يريد التّفصيل فليرجع إلى «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى» وإلى «الشّيعة في أحاديث الرّسول».

والمستفاد من الأحاديث النّبوية أنّ التّشيّع عقيدة إسلامية جاءت من عند الله، ويلّغها محمّد بن عبد الله ﷺ، تماماً كوجوب الصّوم والصّلاة والحج والزّكاة. ثم إنّ جوهر التّشيّع هو الالتزام بإمامة عليّ وولده وتقديمه على غيره لوجود النّصوص في ذلك. وينتج من ذلك الالتزام بأمرين:

---

[١] – سورة البقرة: ٥.

[٢] – «شواهد التّنزيل»: ج١ ص٦٩.

[٣] – سورة الواقعة: ١٠و١١.

[٤] – «شواهد التّنزيل»: ج٢ ص٢١٥-٢١٦.

[٥] – «أهل البيت»: ص١٨٩ تأليف الأستاذ أبو علم من أهل السّنّة.

١ : بما أنّ الإمامة وليدة النّصوص فهي امتداد للنّبوّة يترتّب عليها ما يترتّب على النّبوّة من لوازم عدا الوحي، فإنّ نزوله مختصّ بالأنبياء.

٢ : إنّ الإمامة لا تتمّ بالانتخاب والاختيار، وإنّما بالتّعيين من الله تعالى، فهو الّذي نصّ على الإمام عن طريق النّبي ﷺ، لأنّ الإمام يحكم باسم الله، فيجب أن يُختار من الله بلسان نبيّه ﷺ. وإنّما يختاره لتوفّر مؤهّلات عنده لا توجد عند غيره.

فمقتضى التّحقيق أنّ التّسنّن هو ظاهرة طارئة لأنّه مذهب الحدس والاجتهاد، وقد يكون من عوامل انتشاره في صفوف المسلمين أنّه يتفق مع ميل الإنسان، لأنّ طبيعة الإنسان تقتضي أن تكون تصرّفاته وفقاً لمصالحه الشّخصية، فلا يؤمن بالتّعبّد بالدّين وتحكيمه والتّسليم المطلق للنّصّ الدّيني في كلّ جوانب الحياة، ولهذا نرى اجتهاد الصّحابة الأجلاّء في مقابل النّصّ الدّيني حتّى في زمان حياة الرّسول الأعظم.

فمذهب السنّة هو ظاهرة طارئة نتيجة لاجتهادات الصّحابة والتّابعين لهم. ولم يرد فيه نصّ من النّبي ﷺ، كما ورد في مذهب الشّيعة. فإذا كنت تريد أيّها القارئ الكريم تفصيل الكلام في اجتهادات الصّحابة فعليك بكتاب «النّص والاجتهاد» للإمام السّيّد شرف الدّين الموسوي. وقد ذكر فيه اجتهادات الصّحابة المخالفة للنصوص النّبوية، بل لنصوص الكتاب. أكثر من ثمانين مورداً.

المقارنة الثّانية : هي المقارنة بين أئمّة الشّيعة الإمامية وصحابة السّنّة. حيث إنّ الفاصل الزّمني بيننا وبين الرّسول الأعظم ﷺ الّذي جاء بالشّرع المبين، إنّما هو أكثر من ألف عامٍ، ثم الواسطة بين الإمامية والرّسول في الأمور الدّينية هي أهل بيت الرّسالة، وبين السّنّة والنّبي ﷺ هي الصّحابة. فينتج ذلك أنّ مذهب الإمامية يستند إلى أهل البيت ﷺ ومذهب السّنّة إنّما هو مستند إلى الصّحابة فقط، ومن

الضّروري أنّ ما يؤخذ من أهل البيت أقرب إلى الواقع والحق، وما يؤخذ من غيرهم أقرب إلى الباطل والانحراف.

فتعبّد الإمامية في الأصول بغير المذهب الأشعري وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة، لم يكن إلاّ للأدلّة الشّرعية التّي فرضت عليهم الأخذ بمذهب الأئمّة من أهل بيت النّبوّة، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي والتّنزيل، فاختاروا مذهب أهل البيت ﷺ نزولاً على حكم الأدلّة والبراهين، وتعبّداً بسنّة سيّد النّبيين والمرسلين ﷺ وكتاب الله الحكيم. وقد تقدّم الاستدلال بالكتاب والسنّة على لزوم الأخذ بمذهب أهل بيت الرّسالة.

ونكتفي في هذا المقام بما ذكره الأستاذ توفيق أبو علم في كتابه «أهل البيت» وهو من أهل السّنّة، حيث قال: «آل الرّسول أعدال الكتاب، وقادة الأمّة إلى الحق والصّواب، وإنّ أتباعهم يمخرون العباب، متمسّكين بأعدال الكتاب كما قال النّبي ﷺ: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها زجّ في النّار»[1].

ثمّ قال: «ممّا لا شكّ فيه أنّ المسلمين مسؤولون أمام الله عن مودّة أهل البيت وعن حبّهم، ومن أظهر ألوان الحبّ الأخذ بأقوالهم والاقتداء بهم في جميع المجالات»[2].

وعن رسول الله ﷺ: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيّكم وحبّ أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإنّ حملة القرآن في ظلّ من أنبيائه وأصفيائه»[3].

---

[1] - «أهل البيت»: للأستاذ توفيق أبي علم: ٣٠.

[2] - «أهل البيت»: ص٦٦ تحت عنوان: أساس الإسلام حبّ أهل البيت.

[3] - «أهل البيت»: ص٦٧.

«الاقتداء بأهل البيت» : قال النّبي ﷺ : **«من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»**[1] ، إلى أن قال : «أشاد القرآن الكريم بفضل أهل البيت، فنطق كتاب الله العظيم الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بفضل أهل البيت وسموّ مكانهم عند الله، فواجب كلّ مسلم التّفاني في حبّ أهل البيت»[2] ثم ذكر هذه الأبيات :

وحبّ النّبيّ المصطفى وابن عمّه ... عليّاً و سبطيه وفاطمة الزّهرا
هم أهل بيت أذهب الرّجس عنه ... وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهرا
موالاتهم فرض على كلّ مسلم ... وحبّهم أسنى الذّخائر الأخرى

ثمّ قال : «حبّ آل البيت فرض على كلّ مؤمن. لأنّهم شجرة النّبوة ومحط الرّسالة ومنبع الرّحمة ومعدن العلم، وهم ينابيع الحكمة، فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرّحمن، إن نطقوا صدقوا، ناصرهم ومحبّهم ينتظر رحمة الله ونفحاته، وعدوّهم ومبغضهم يستقبل نقمة الله وسطواته، بهم هدايتنا من الظّلماء، وهم موضع سرّ المصطفى ﷺ، فهم أساس الدّين وعماد اليقين»[3] .

ويقول الإمام الشّافعي في حبّ أهل البيت :

يا آل بيت رسول الله حبّكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنّكم ... من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

---

(١) - «أهل البيت» : ص٦٧ .

(٢) - «أهل البيت» : ص٦٧ .

(٣) - «أهل البيت» للأستاذ توفيق أبي علم : ص٧٢و٧٣ ، طبع مصر .

ويقول البوصيري :

وهل حبّكم للنّاس إلاّ عقيدة ... على أسها في الله تبنى القواعد
وإنّ اعتقاداً خالياً من محبّة ... وردكم آل النّبي لفاسد

ثم ذكر قول الشّاعر في مدح أهل البيت ولم يذكر اسمه :

لآل بيت عزّ لا يزول ... وفضل لا تحيط به العقول
وإجلال ومجد قد تسامى ... وقدر ما لغايته وصول
وفي التّنزيل بالتّطهير خصّوا ... ومدحتهم بها شهد الرّسول
لهم عزم وسلطنة وجاه ... ودام لهم من الله القبول
بدور الدّين بهما قد تجلت ... تكاد الشّمس من خجل تزول
زكوا أصلاً بنبتهم ولكن ... يطيب الفرع ما طابت أصول
وكيف القول في قوم أبوهم ... له جبريل في الدّنيا رسول

نعم، إنّ الأستاذ توفيق أبو علم، وإن كان من أهل السّنّة، إلاّ أنّه رجل خبير يرى الحقّ حقّاً، وليس في كتابه تغطية الحقائق بالأباطيل وهناك كتّاب من أهل السّنّة كأنّهم خلقوا أعداءً لآل بيت الرّسول الأعظم، ومن هؤلاء الدكتور أحمد الشّرباصي.

وهذا الرّجل كتب كتاباً يحمل عنوان «موسوعة الفداء في الإسلام»، وهو في أربع مجلّدات ذكر فيه كلّ فاسق وفاجر ومنافق، ولم يذكر من آل بيت الرّسالة أحداً.

نعم، لم يذكر علي بن أبي طالب في صفوف المجاهدين في الإسلام، مع أنّ جهاده في سبيل الدّين وحمايته عن القرآن الكريم وخاتم المرسلين أمرٌ لا يخفى على

---

(١) - «أهل البيت»: ص٧٥و٧٦.

أحد من المسلمين، بل لا يخفى على غير المسلمين، فضلاً عن الدّكتور الشّرباصي وهو من العلماء البارزين.

ولا نتصوّر وجهاً لذلك إلاّ أنّ عليّاً من أهل بيت الرّسول الأعظم ﷺ، والشّرباصي من أعداء أهل البيت، وإلاّ فكيف يخصّ قسماً كبيراً من كتابه بخالد بن الوليد تحت عنوان «سيف الله خالد بن الوليد»، وهو ليس سيف الله قطعاً لأنّه قد قتل مالك بن نويرة (رضي الله عنه) لأجل زوجته وكانت جميلة حسناء، ثم زنى بها خالد بعد قتل مالك في نفس الليلة.

وهذه القصّة معروفة موجودة في كتب التّواريخ[1]. وقد نقل فيها أنّ السّبب الوحيد في قتل مالك هو جمال زوجته الّذي كان مطمعاً لخالد. ويؤكّد على ذلك ما في تاريخ «ابن شحنة»: «من أنّ خالداً أمر ضراراً بضرب عنق مالك، فالتفت مالك إلى زوجته، وقال لخالد: هذه الّتي قتلتني، وكانت في غاية الجمال»[2].

وقد أنشد أبو نمير السّعدي في هذا الموضوع أبياتاً:

ألا قل لحيّ أوطؤوا بالسّنابك ... تطاول هذا الليل من بعد مالك

قضى خالد بغياً عليه بعرسه ... وكان له فيها هوى قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف ... عنان الهوى عنها ولا متمالك

وأصبح ذا أهل وأصبح مالك ... إلى غير أهل هالكاً في الهوالك

نعم، علي بن أبي طالب عليه السلام هو سيف الله المسلول وهو سيف الرّسول. قال رسول الله ﷺ: «**علي بن أبي طالب سيف الله وسيفي**»، حتّى هتف جبرائيل بعظمة هذا السّيف يوم «أحد» حيث قال: لا فتى إلاّ عليّ ولا سيف إلاّ ذو الفقار، وحتّى قال النّبي ﷺ: «**ما قام الإسلام إلاّ بسيف عليّ**». ولا عجب من أعدائه بأن يسرقوا

---

[1] - «الكامل» لابن الأثير: ج٢ ص٣٥٨و٣٥٩، و«تاريخ الطّبري»: ج٣ ص٢٤١، و«تاريخ أبي الفداء»: ج١ ص١٥٨، و«وفيات الأعيان»: ج٦ ص١٥.

[2] - هامش «الكامل»: ج١١ ص١١٤.

هذا اللقب النّبوي من الإمام علي ﷺ ويلصقوه بخالد بن الوليد، الّذي كان ممّن هجم على بيت ريحانة رسول الله فاطمة الزّهراء. وليس إسقاط عليّ من المجاهدين في الإسلام وتطويل الكلام في خالد بن الوليد إلاّ تغطية الحقائق بالأباطيل، لأنّه يرى أنّ أبا بكر بدل أن يجري حدّ الزّنا على خالد قال: «إنّه تأوّل فأخطأ». وفي التّاريخ قال عمر لأبي بكر: «إنّ خالداً قد زنى فاجلده» قال أبو بكر: «لا، لأنّه تأوّل فأخطأ».

نعم، الإمامية أخذوا بمذهب أهل البيت للأدلّة والبراهين، ولا دليل لأهل السّنّة على رجحان شيء من مذاهبهم، لأنّ مذاهبهم الأربعة قد حدثت بعد ثلاثة قرون. فأهل القرون الثّلاثة لم يدينوا بشيء من تلك المذاهب أصلاً، إذ قد ولد الأشعري سنة سبعين ومائتين، ومات سنة نيّف وثلاثين وثلاث مائة، وابن حنبل ولد في سنة أربع وستين ومائة، ومات سنة إحدى وأربعين ومائتين، والشّافعي ولد سنة خمسين ومائة، وتوفّي سنة مائتين وأربع، وولد مالك سنة خمس وتسعين ومات سنة تسع وسبعين ومائة وولد أبو حنيفة سنة ثمانين، وتوفّي سنة خمسين ومائة.

وتقول الإمامية: فما الّذي أوجب على أهل السّنّة تلك المذاهب دون غيرها بعد القرون الثّلاثة؟ وما الّذي أوجب عدولهم عن مذهب أهل البيت مع أنّهم قادة الأمّة وسفينة نجاتها وأمانها بالنّصوص النّبوية المتواترة في كتب الفريقين؟! وليس السّبب إلاّ الدّنيا أو العداء. وليس هنا ما يستدلّ به على لزوم اتّباع الصّحابة إلاّ حديث: «أصحابي كالنّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم».

السّنّة وحديث: «أصحابي كالنّجوم»

وهذا الحديث مرفوض لوجهين:

الأوّل: إنّ هذا الحديث مع الغضّ عمّا في سنده، ومع الغضّ عن كونه خبر الواحد ولم يرد إلاّ من طريق أهل السّنّة، معارض للأحاديث المتواترة عند الفريقين الّتي تؤكّد على الاقتداء بأهل البيت فقط. فيجب تقديم تلك الأحاديث المجمع

عليها بين المسلمين على هذا الحديث. إذ ما رواه البعض دون الآخر لا يكون مستوفياً لشرائط الحجّية في مقام الاستدلال. هذا مع أنّ علي بن أبي طالب ﷺ من أصحاب النّبي ﷺ، فالاقتداء به اهتداءٌ جزماً.

الثّاني: إنّ هذا الحديث موضوعٌ من قبل أعداء أهل البيت ﷺ، ويؤكّد على ذلك أمور:

الأوّل: إنّ هذا الحديث يناقض بعض الأحاديث النّبوية الّذي يدلّ على أنّ بعض أصحابه أحدث بعده في الدّين ما ليس منه.

قال النّبي ﷺ: **«ليذودنّ رجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد غرائب الإبل عن الماء، فأقول: يا ربّي إنّهم أصحابي أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: بعداً لهم وسحقاً لهم»**[1]. ولا يعقل أن يكون الاقتداء على من أحدث في الدّين اهتداءً، فيجب طرد الحديث المذكور.

الثّاني: إنّ الاهتداء لم يحصل إلاّ بالاقتداء على من يعلم جميع أحكام الدّين، وأكثر الصّحابة كانوا من الجاهلين. ومن البديهي أنّه لا يحصل الاهتداء بالاقتداء بالجاهل. هذا أبو بكر من الصّحابة الأجلاّء ولا يعلم معنى «الكلالة»، ومعناها من لا ولد ولا والد، وهذه الآية تبيّن حكم اشتراط التّوارث بين الأخوة والأخوات أن لا يكون للموروث منهم ولد.

ومن لا يعلم معنى الكلالة لا يصلح للإمامة، ولا يحصل الاهتداء بالاقتداء به. ويذكر في أحوال أبي بكر، بأنّه سُئِل عن «الكلالة» في أحكام الميراث، فقال: «أقول فيها برأي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمنّي ومن

---

(1) - «صحيح البخاري»: ج٨ ص٨٧، و«ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٣٣.

الشّيطان»[1]. وقول أبي بكر: «أقيلوني فإنّ عليّاً أحقّ منّي بهذا الأمر» معروف بين الفريقين. وفي رواية كان أبو بكر يقول ثلاث مرّات: «أقيلوني فإنّي لست بخير منكم وعليّ فيكم» وهذا عمر بن الخطّاب يقول: «كلّ النّساء أفقه من عمر»[2]. قيل إنّ عمر بن الخطّاب أمر على المنبر أن لا يزاد في مهور النّساء على مقدار حدّده، فقامت إليه امرأة فقالت له: يا أمير المؤمنين لمَ تمنعنا حقّاً جعله الله لنا والله يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً﴾[3]، فقال عمر: «ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت؟!».

فكيف يقبل العقل السّليم الاقتداء بمن يعترف بجهله وخطئه؟ وحديث عمر بن الخطّاب: «لولا علي لهلك عمر» في أكثر من سبعين مورداً معروف بين الفريقين وموجود في كتبهما. فكيف يفرض النّبي الأعظم على أمّته الاقتداء بأصحابه على وجه العام؟! وفيهم من يعترف بجهله ومن أحدث أحكاماً ليست من الإسلام؟!

الثّالث: إنّ الحديث المزبور مخالفٌ للعقل ولإجماع الصّحابة، لأنّه يستحيل في العقل أن يكون المقتدي بكلّ منهم مهتدياً. كيف يمكن أن يكون المقتدي بكل منهم مهتدياً مع أنّهم تقاتلوا فيما بينهم؟! إذ يلزم على ذلك أنّ من اقتدى بمعاوية وابن العاص وطلحة والزّبير، فقاتل عليّاً والحسن والحسين ثقل رسول الله ﷺ ومئات من الصّحابة الكرام، بل قتلهم، فقد اهتدى!!!

ومن قتل عثمان اقتداءً بطلحة والزّبير وبعض من حرّض على قتله من الصّحابة وبعض أمّهات المؤمنين فهو مهتد!!!

ومن اقتدى بهم في الطّلب بثأره وقتل الأبرياء فهو مهتد!!!

---

[1] - «شرح النّهج» لابن أبي الحديد: ج١٧ ص٢١و٢٢.

[2] - «شرح النّهج» لابن أبي الحديد: ج١٢ ص٢٠٨.

[3] - سورة النّساء: ٢٠.

ومن اقتدى ببسر بن أرطأة فقتل ألوف المسلمين، وذبح طفلي عبيد الله بن العباس فهو مهتد!!!

ومن اقتدى بمروان بن الحكم في قتله لطلحة فقد اهتدى!!!

فلا يمكن ترتيب الأثر على مثل هذه الرّواية. فيجب على المسلمين كافّة أن يأخذوا بمذهب أهل البيت، لأنّ رأيهم من رأي جدّهم رسول الله ﷺ، وقوله ﷺ وحي يوحى فلا يجوز أن يترك رأيهم ويؤخذ رأي غيرهم.

كما يؤكّد على ذلك حديث الثّقلين: «**إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي، إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً**» وقال ﷺ فيما رواه الطّبراني في حديث الثّقلين: «**فلا تقدموهما**»، أي القرآن والعترة، «**فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم**».

ولا شكّ أنّ المقصود من حثّه ﷺ على التّمسّك بالقرآن والعترة، إنّما هو الاهتداء بهما والاسترشاد بحكمهما وأقوالهما، كي لا يضلّوا.

وواضح أنّ من ترك التّمسّك بهما ضلّ الطّريق بعد الرّسول الأعظم ﷺ وسلك طريقاً قد خالف القرآن والسّنّة، وهذا أمر معلوم من منطوق الحديث ومفهومه، فالشّيعة هم أتباع النّبي ﷺ، لأنّهم يدينون بمذهب أهل البيت حسب أمر نبيّهم ﷺ.

الشّيعة وعصمة أهل البيت ﷺ.

المقارنة الثّالثة: هي المقارنة بين قول الإمامية بعصمة الأئمّة من أهل البيت ﷺ وبين قول السّنّة بعدالة الصّحابة: فكما على الإمامية إثبات عصمة الأئمّة بالأدلّة القطعية، كذلك على السّنّة إثبات عدالة الصّحابة بالأدلّة القطعية، لأنّ قادة المسلمين بعد النّبي ﷺ وأئمّتهم هم من الصّحابة عند السّنّة، ومن أهل

البيت عند الإمامية . ثم أهل السنّة لم يشترطوا في الإمام أزيد من العدالة ، ولكن الإمامية يعتبرون فيه العصمة . وقد اتّفقت الشّيعة والسّنّة بعدم جواز كون الإمام فاسقاً ، فإن الإمام هو الهادي للنّاس ، والفاسق لا يكون مهتدياً في نفسه ، فكيف يكون هادياً لغيره؟!

ويؤكّد على ذلك قوله تعالى : ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبيَّنُوا . . . ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿لَنْ يَتَقَبَّلَ مِنكُمْ إنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ﴾[٤] .

وقد تقدّم تفصيل الكلام في أدلّة العصمة عند الإمامية ، فنكتفي هنا بما ذكره الأستاذ توفيق أبو علم ، وهو من أهل السّنّة ، حيث قال في كتاب «أهل البيت» : (ص٣٣) ما نصّه : «وأمّا عصمة أهل البيت» من الخطأ ، فحسبنا الحديث النّبوي المجمع على صحّته وتواتره : «**إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**» . وفي الحديث أمران ، كلّ منهما يكفي للدلالة على العصمة من الخطأ :

١ : جزم النّبي ﷺ بصورة قاطعة على أنّ التّمسّك بالكتاب وبأهل بيته ﷺ يستدعي أن لا يضلّ المسلم عن طريق الحقّ والصّواب .

---

[١] - سورة الحجرات : ٦ .

[٢] - سورة النّور : ٤ .

[٣] - سورة التّوبة : ٥٣ .

[٤] - سورة المائدة : ١٠٨ ، وسورة التّوبة : ٢٤ ، وسورة الصّف : ٥ .

٢ : حكم النّبي ﷺ حكماً لا يقبل الشّكّ بأنهما لن يفترقا ، ولو جاز الخطأ لافترقا . ولا شكّ أنّ الّذي يكون مع القرآن لا يتصوّر في حقّه الخطأ» . فالشّيعة يشترطون العصمة في الإمام لضمان وصول أحكام وعقائد صحيحة ، ولضمان اجتناب المفارقات الّتي قد تنشأ من كون الإمام غير معصوم ، ولهم عليها الأدلّة القطعية من الكتاب والسّنّة ، ومع ذلك طعنت السّنّة عليهم من جهة قولهم بالعصمة . فإذا كان الله هو الّذي أذهب الرّجس عن أهل البيت ، والنّبيّ هو الّذي وصف أهل بيته بالعصمة ، فلا ذنب للإمامية إذا أطاعوا ربّهم ، وعملوا بسنّة نبيّهم .

ثم إنّ قول الشّيعة بعصمة الأئمّة الأطهار من آل الرّسول لو كان مورداً للطعن ، لكان قول السّنّة بعدالة الصّحابة كلّهم أولى بالطّعن ، لأنّ القول بعصمة آل الرّسول ﷺ ليس باعظم من القول بأنّ الصّحابة كلّهم عدول ، مع أنّهم بين مرتدّ ومنافق وفاسق وعادل ، فانتظر الأدلّة على ذلك الانقسام .

ولابدّ من بسط الكلام في مسالة الصّحابة ودرجة عدالتهم ، لأنّها من أكبر المسائل الخلافية بين أهل السّنّة والشّيعة وأكثرها حسّاسيّة . فأهل السّنّة يرون أنّ الصّحابة جميعهم عدول لا يتطرّق إليهم الجرح ، ولا يجوز نقدهم أو الشّك فيما يروونه من حديث رسول الله ﷺ ، وهم بذلك يلتزمون بكلّ ما رواه الصّحابة ، لأنّهم عماد كلّ شيء عندهم ، وعنهم أخذوا دينهم .

والصّحابي عند أهل السّنّة -كما ذكر النّووي في مقدّمة شرحه على صحيح مسلم- هو «كلّ مسلم رأى رسول الله ﷺ ولو لحظة ، وهذا هو الصّحيح في

حدّه، وهو مذهب ابن حنبل والبخاري في صحيحه والمحدثين كافّة»[1].

فالصّحابة هم الّذين رأوا رسول الله ولو لحظة.

ثم قول أهل السّنّة بعدالتهم جميعاً من دون استثناء مرفوض بما ثبت خلافه بالضّرورة والوجدان. فإنّ النّبي ﷺ قد جلّد وعزّر ونفى وطرد ولعن وعاقب كثيراً من الصّحابة.

وقد أمر عليّاً بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين كما ورد عن النّبي ﷺ متواتراً. وقادة النّاكثين من الصّحابةن وهم طلحة والزّبير ومن معهما من أصحاب الجمل. وقادة القاسطين، وهم معاوية وعمرو بن العاص ومن معهما أيضاً من الصّحابة، وكذا الخوارج. فكيف يتّفق أمر النّبي ﷺ عليّاً بقتال هؤلاء مع عدالتهم؟! وكذلك الخلفاء الرّاشدون فقد أقاموا الحدود والتّعزيرات وغير ذلك على بعض الصّحابة، ولم ينطق أحدٌ ممّن أقيم عليه الحدّ بأنّي محكوم عليّ بالعدالة لأنّي صحابي. فلو بني على مثل هذه الآراء التّي خلقتها السّياسة القائمة بعد عصر الصّحابة لتعطّلت الحدود ولم يسجّل التاريخ ذلك فالقول بأنّ الصحابة كلّهم عدول ليس إلاّ تغطيةً للحقائق بالأباطيل لأنّ العلماء الأوائل كانوا غالباً يكتبون ويؤرّخون بالنّحو الّذي يوافق آراء الحكّام من الأمويين والعبّاسيين الّذين عرفوا بعدائهم لأهل البيت النّبوي، بل ولكلّ من شايعهم ويتبع نهجهم، لأنّهم كانوا مصدراً للثورات ضد السّلطات الغاشمة والمنحرفة.

وكان الهدف الأساسي لذلك نشر الأحاديث الموضوعة عن طريق الصّحابة.

---

[1] - «صحيح مسلم» بشرح النّووي: ج١ ص٢٨، ط: دار الشّعب.

فالاختلاف بين المسلمين من الصّحابة وفيهم، لأنّ الصّحابة هم الّذين اختلفوا بعد الرّسول ﷺ وتفرّقوا وتسابّوا وتلاعنوا، وتقاتلوا حتى قتل بعضهم بعضاً.

فكيف يمكن القول بعدالتهم جميعاً وهذه حالهم؟! وقد وقع الاختلاف فيهم بأنّهم كلّهم عدول، أو أنّهم منقسمون إلى مرتدّ ومنافق وفاسق وعادل؟! كما تعتقد به الإمامية، فإنّهم يرون أنّ الصّحابة لم يكونوا على درجة واحدة من العدالة، بل هم معرّضون للجرح والنّقد، مستندين في ذلك إلى أدلّة قاطعة من الكتاب الكريم والسّنّة المطهّرة. وأمّا ما يفترى به على الشّيعة بأنّهم يكفّرون جميع الصّحابة، بالإضافة إلى سبّهم ولعنهم، ليس إلاّ كذباً صارخاً، لأنّ نقد الصّحابي لا يعني تكفيراً له، كما يشيع بعض السّخفاء، وإذا كان ذلك النّقد مبنيّاً على الأدلّة المقنعة، فلما هذا الغضب وكلّ هذه الضّجّة؟! بالافتراء.

والحقّ ما تقول به الإمامية من أنّ الصّحابة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

فالقسم الأوّل: وهم الصّحابة الأخيار الّذين عرفوا الله ورسوله حقّ المعرفة وبايعوه على الموت وصاحبوه بصدق في القول وبإخلاص في العمل، ولم ينقلبوا بعده، بل ثبتوا على العهد، وقد امتدحهم الله جلّ جلاله في كتابه العزيز في العديد من المواقع، وقد اثنى عليهم رسول الله في العديد من المواقع أيضاً، والشّيعة يذكرونهم باحترام وتقديس.

والقسم الثّاني: هم الصّحابة الّذين اعتنقوا الإسلام واتّبعوا رسول الله ﷺ إمّا رغبة أو رهبة، وهؤلاء كانوا يمنّون إسلامهم على رسول الله، وكانوا يؤذونه في بعض الأوقات، ولا يمتثلون لأوامره ونواهيه، بل يجعلون لآرائهم

مجالاً في مقابل النّصوص الصّريحة، حتى ينزل القرآن بتوبيخهم مرّة وتهديدهم مرّة أخرى. وقد فضحهم الله في العديد من الآيات وحذّرهم رسول الله أيضاً في العديد من الأحاديث النّبوية، والشّيعة لا يذكرونهم إلاّ بأفعالهم بدون احترام ولا تقديس.

أمّا القسم الثّالث من الصّحابة: فهم المنافقون الّذين صحبوا رسول الله للكيد له، وقد أظهروا الإسلام وانطوت سرائرهم على الكفر، وقد تقرّبوا ليكيدوا للإسلام والمسلمين عامّة وقد أنزل الله فيهم سورة كاملة وذكرهم في العديد من المواقع وتوعّدهم بالدّرك الأسفل من النّار. وقد ذكرهم رسول الله ﷺ وحذّر منهم وعلّم بعضاً من أصحابه أسماءهم وعلاماتهم وهؤلاء يتّفق الشّيعة والسّنّة على لعنهم والبراءة منهم.

وهناك قسم خاص، وإن كانوا من الصّحابة بالمعنى المعروف عند أهل السّنّة، إلاّ أنّهم يتميّزون على الصّحابة بالقرابة وبفضائل خلقية ونفسيّة وخصوصيات اختصّهم الله ورسوله بها، ولا يلحقهم فيها لاحق. وهؤلاء هم أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، وأوجب مودّتهم على كلّ مسلم كأجر للرّسالة المحمدية. فهم أولوا الأمر الّذين أمر بطاعتهم، وهم الرّاسخون في العلم الّذين يعلمون تأويل القرآن ويعلمون المتشابه منه والمحكم، وهم أهل الذّكر الّذين قرنهم رسول الله بالقرآن في حديث الثّقلين، وأوجب التّمسّك بهما، وجعلهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق.

والصّحابة يعرفون قدر أهل البيت ويعظّمونهم ويحترمونهم. والشّيعة يقتدون بهم فقط، لأنّهم أدرى ما في بيت الرّسالة من العلم بما جاء به سيّد

المرسلين وأصدق الأمّة باعتراف جميع المسلمين فيقدّمونهم على كلّ الصّحابة، ولهم على ذلك الأدلّة القطعيّة من الكتاب الكريم والسّنّة المطهّرة، كما عرفت أيّها القارئ الكريم.

ويؤكّد على وجود المرتدّين والمنافقين في الصّحابة الكتاب والسّنّة، ومن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ﴾[1].

إنّ الله قد أخبر في هذه الآية عن ارتداد بعض الصّحابة وانقلابهم بعد موت النّبي ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخادِعُونَ اللهَ وَالّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ﴾[2]. فهذه الآية صريحة في وجود المنافقين في الصّحابة، فلو لم يكن وجود المنافقين في الصّحابة، لما كانت هناك فائدة لآيات المنافقين. وقد نزلت فيهم أكثر من مائة وخمسين آية في سورتي التّوبة والمنافقين.

ومن السّنّة أنّه كان رسول الله قد علّم أسماء المنافقين إلى حذيفة بن اليمان كما يقولون، وأمره بكتمان أمرهم، حتّى أنّ عمر بن الخطّاب أيام خلافته كان يسأل حذيفة عن نفسه، هل هو من أهل النّفاق؟ وهل أخبر النّبي باسمه؟[3].

وقول رسول الله ﷺ لأصحابه: «**سيؤخذ بكم يوم القيامة إلى ذات الشّمال، فأقول إلى أين؟ فيقال: إلى النّار والله، فأقول: يا ربّ هؤلاء**

---

[1] - سورة آل عمران: ١٤٤.

[2] - سورة البقرة: ١٠.

[3] - راجع «كنز العمّال»: ج٧ ص٢٤، و«تاريخ ابن عساكر»: ج٤ ص٩٧.

أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا من بعدك، إنّهم لا يزالوا مرتدّين منذ فارقتهم، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي، ولا أرى يخلص منهم إلاّ مثل همل النّعم»[١]. فهذا الحديث الشّريف صريح في ارتداد بعض الصّحابة وإحداثهم في الدّين ما ليس منه.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الأوّل في باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، من كتاب الإيمان.

قال إبراهيم التّيمي: ما عرضت قولي على عملي إلاّ خشيت أن أكون مكذّباً، وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النّبي ﷺ، كلّهم يخاف النّفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول إنّه على إيمان جبرائيل وميكائيل»[٢]، فلو لم يكن وجود المنافقين في اصحاب النّبي ﷺ لم يكن معنى لخوفهم النّفاق على أنفسهم.

وأخرج البخاري في صحيحه: «إنّ حاطب بن أبي بلتعة وهو من صحابة النّبي ﷺ بعث إلى المشركين من أهل مكّة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وقد جيء بكتابه إلى النّبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا ياحاطب؟ فاعتذر للنبي بأنّه يريد حماية قرابته في مكّة وصدّقه رسول الله ﷺ، فقال عمر (رضي الله عنه): يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق»[٣]. وإذا كان حاطب هو من الرّعيل الأوّل من الصّحابة الّذين شهدوا بدراً يبعث بأسرار النّبي ﷺ إلى أعدائه من مشركي مكّة، ويخون الله ورسوله ﷺ بعذر حماية قرابته، ويشهد عمر بن الخطّاب نفسه على نفاقه، فكيف بالصّحابة الّذين

---

[١] - «صحيح البخاري»: ج٧ ص٢٠٨، وج٤ ص٩٤، وص١٥٦، و«صحيح مسلم»: ج٧ ص٦٦.

[٢] - «صحيح البخاري»: ج١ ص١٧.

[٣] - «صحيح البخاري»: ج٤ ص١٩.

أسلموا بعد الفتح، أو بعد خيبر، أو بعد حنين؟ وكيف بالطّلقاء الّذين استسلموا ولم يسلموا.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثّالث في باب حديث الإفك من كتاب الشّهادات.

«إنّ رسول الله ﷺ قال: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحميّة، فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن الحضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنّه فإنّك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس، والخزرج حتّى همّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت...»[1].

وإذا كان سعد بن عبادة سيّد الأنصار يتّهم بالنّفاق بعدما كان رجلاً صالحاً، كما تشهد بذلك الرّواية، ويقال عنه منافق بحضرة النّبي ﷺ فلا يدافع عنه، وإذا كان الأنصار الّذين امتدحهم الله في كتابه يثورون جميعاً بأوسهم وخزرجهم ويهمّون بالاقتتال من أجل منافق آذى النّبي ﷺ في أهله، فيدافعون عنه ويرفعون أصواتهم بحضرة النّبي ﷺ، فكيف يستغرب النّفاق من غيرهم الّذين كرّسوا حياتهم في محاربة النّبي ودعوته، أو من الّذين همّوا بحرق دار ابنته بعد وفاته من أجل الخلافة؟!

---

[1] - «صحيح البخاري»: ج٣ ص١٥٦، وج٦ ص٨.

وفي البخاري أحاديث كثيرة تؤكّد على وجود المنافقين في الصّحابة، رغم أنّ البخاري كتم الكثير من هذه الأحاديث حفاظاً على كرامة الصّحابة. فالقول بعدالة جميع الصّحابة ليس إلاّ تغطيةً للحقائق. وقال العلاّمة الكبير السيّد هاشم معروف الحسيني في المقام تحت عنوان عدالة الصّحابة:

-وإلى جانب التّصوّف، والإرجاء والجبر «برز في مطلع العهد الأموي سلاح آخر، لعلّ أثره على العقول، والقلوب، والأفكار، ومساندة الحكم الأموي لا يقلّ عن آثار الأسلحة الثّلاثة، ذلك السّلاح هو عدالة الصّحابة.

فكرة عدالة الصّحابة والغاية منها

لقد برزت هذه الفكرة في مطلع العهد الأموي بعد أن أكلت الحروب الكثير منهم ومات أكثر الباقين بآجالهم».

وكان من الطّبيعي بعد ذلك التّاريخ -الّذي تركه الأمويّون- الملوّث بالشّرك والجرائم، والّذي كان ماثلاً لدى الجميع، أن يحاولوا استبدال تلك الصّورة الكريهة العالقة في الأذهان عنهم، نتيجةً لمواقعهم المعادية للإسلام، حتى بعد أن دخلوا فيه مكرهين، كان من الطّبيعي أن يحاولوا استبدال تلك الصّورة بصورة تتناسب مع مراكزهم التّي تسنّموها باسم الإسلام، فوضعوا فكرة العدالة لجميع من عاصر الرّسول من المسلمين، ليفتحوا الطّريق للوضّاعين كأبي هريرة وزملائه، كي يحصلوا على عشرات الأحاديث التّي تدعم مصالح الحكّام الأمويين ومبادئهم التّي اعتمدوها في سيرة الخلافة ومواقفهم المعادية لأهل البيت عليهم السلام.

وظلّت فكرة العدالة لجميع الصّحابة التّي تتّسع للأمويين، وعلى رأسهم أبو سفيان والحكم، طريد رسول الله ﷺ، تسير وتتفاعل حتى أصبحت وكأنّها من الضّرورات عند السنّة.

فتعني عدالة الصّحابة فيما تعنيه، أنّ كلّ من عاصر الرّسول، أو ولد في عصره لا يجوز عليه الكذب والتّزوير، ولا يجوز تجريحه، ولو قتل آلاف الأبرياء وفعل جميع المنكرات، وعلى أساس ذلك فجميع الطّبقة الأولى من الأمويين، كأبي سفيان وأولاده، وعثمان بن عفّان وحاشيته، وجميع المروانيّين بما فيهم طريد رسول الله الوزغ وأولاده الأوزاغ، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وزياد بن سميّة، وعمرو بن العاص، وولده عبد الله الّذي كان في حدود العاشرة من عمره حين وفاة النّبي ﷺ فجميع هؤلاء الّذين هم أشدّ النّاس عداوة للإسلام ولله ورسوله من العدول.

وتكون مرويّاتهم من نوع الصّحاح، حتى ولو كانت في تجريح علي وأهل البيت عليهم السلام.

وقد بذل معاوية للصحابي سمرة بن جندب أربعمائة ألف درهم ليروي له عن النّبي ﷺ أنّ الآية: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَياةِ الدّنْيا، وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَدّ الخِصامِ﴾ ﴿وَإِذا تَوَلّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ﴾[1] نزلت في علي بن أبي طالب. وأنّ الآية:

---

[1] - سورة البقرة: ٢٠٤و٢٠٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ اللهِ﴾[١] نزلت في عبد الرّحمن بن ملجم[٢]، لأنّه قتل علياً عليه السلام، مع أنّ علي من أهل بيت الرّسول الأعظم الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

نعم، بقيت منتجات مصانع الوضّاعين الّذين كانوا يتمرّغون على أعتاب قصر الحمراء وغيره من قصور الحاكمين، الّتي كانت تعجّ بالفساد والظّلم والمنكرات، إلى جانب غيرها من مرويات الثّقاة عن الرّسول صلى الله عليه وآله، ومن صحّاحها، لأنّها من صنع الصّحابة والصّحابة كلّهم من العدول. ولقد بقيت الأحاديث الموضوعة، التّي كان يبذل لصانعيها بسخاء لاحدود له، إلى جانب غيرها من مرويات عدول الصّحابة مرجعاً للجمهور في التّشريع وغيره على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم الفقهية. وعلى هذا الأساس غلب عليهم اسم السّنّة في مقابل الشّيعة الّذين رجعوا إلى الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام.

فمرويات الصّحابة يجب قبولها ولا يجوز ردّها، لأنّ رواتها الّذين استعملهم معاوية للدسّ والكذب وتشويه الإسلام من العدول، ومن سبّهم أو انتقصهم فعليه لعنة الله، ولم يستثن منهم سوى علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن وقف إلى جانبه من صحابة الرّسول الأوفياء لرسالة الإسلام وتعاليمه. فهؤلاء بنظر معاوية وأتباعه، كانوا يسعون في الأرض ليفسدوا فيها ويهلكوا الحرث والنّسل، والله لا يحبّ الفساد، إلاّ فساد معاوية وأتباعه، والعياذ بالله. فمعاوية وأتباعه على الحقّ والهدى، وإن فعلوا ما فعلوا من الجرائم حتى سمّموا الحسن بن علي، وقتلوا الحسين وأصحابه.

---

[١] - سورة البقرة: ٢٠٧.

[٢] - «النّصائح الكافية لمن يتولّى معاوية» تأليف السّيد محمد العلوي: ص٧٦، و«البرهان على عدم تحريف القرآن» تأليف السّيّد مرتضى رضوي: ص٧٨.

وفي مقدّمة «الصّواعق المحرقة» ما ملخصه : «إنّ القول بفسق الصّحابة أو تفضيل بعضهم على بعضٍ ، ممّا يستلزم القول بعدم عدالة الصّحابة وعدم قبول الرّواية عنهم والاقتداء بهم، مع أنّهم الطريق المتعيّن لنقل الوحي الظّاهر والباطن ، ولذا وجب البحثُ عن صحة هذا الطّريق حتى تستند الشّريعة الإسلامية في ثبوت أحكامها إلى دليل صحيح معتمد يقوم به الاحتجاج ، وتثبت به الحجّة» .

وهذا يستدعي أن يكون الطّريق المتعيّن لنقل الوحي بعد النّبي ﷺ هو الصّحابة .

وردّنا عليه أنّ هذا التّعيين ليس إلاّ من أعداء أهل البيت وإلاّ فالطّريق المتعيّن لنقل الوحي بعد النّبي ﷺ هو أهل بيت النّبي ﷺ حيث قال : «**إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي فإن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً**» فالصّحابة ليسوا من الطّريق المتعيّن لنقل الوحي فالقول بفسق بعض الصّحابة وتفضيل بعضهم على بعض لا يستلزم شيئاً ، ولا يستوجب أن يكون القائل بانتقاص بعض الصّحابة من الزّنادقة ، كما يظهر من أبي ذرعة العراقي .

قال أبو ذرعة العراقي شيخ مسلم : «إذا رأيت الرّجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنّه زنديق ، وذلك أنّ القرآن حقّ ، والرّسول حقّ ، وما جاء به حقّ ، وما أدّى إلينا كلّه إلاّ الصّحابة ، فمن جرحهم إنّما أراد إبطال الكتاب والسنّة ، فيكون الجرح به أليق ، والحكم عليه بالزّندقة والضّلال أقوم وأحقّ» .

فنقول في إبطال القول المذكور : إنّ من أدّى إلينا كلّ ما جاء به الرّسول ﷺ ليس من الصّحابة ، بل هو من أهل بيت الرّسالة ، فمن أسقطهم عن حديث

الثّقلين وقال مكان عترتي: «وسنتي»، إنّما أراد إبطال الكتاب والسّنّة فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزّندقة والضّلال أقوم وأحقّ.

فينتج هذا البحث أنّ فكرة عدالة جميع الصّحابة فكرة طارئة قد برزت في مطلع العهد الأموي.

ولكن فكرة عصمة الأئمّة من أهل البيت فكرة أصيلة نابعة من الكتاب والسّنّة.

ويؤكّد على ذلك أنّه كان الصّحابة يفسّق بعضهم بعضاً، ويشتم بعضهم بعضاً. واتّفق أكثرهم على ضلال عثمان وحاشيته وأنصاره واستحلال دمه.

وفي رأي الدّكتور طه حسين: أنّ عثمان كان يقاد كالثّور[1].

وكان طلحة والزّبير وعائشة، من أكثر النّاس تحريضاً على عثمان وبلغ الحال بعائشة أن كفّرته، واستعارت له اسماً ليهودي كان من أقذر أهل المدينة، يسمّونه نعثلاً، وقالت أكثر من مرّة: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[2].

وأخذت بيدها قميصاً كان لرسول الله ﷺ وقالت: «هذا قميص رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنّته».

ثم إنّ الفريق الّذي اشترك في قتل عثمان، وكان من أشدّ النّاس تحريضاً عليه من الصّحابة، اتّجه إلى حرب علي بن أبي طالب، الخليفة الشّرعي الّذي تمّت خلافته بالإجماع والاختيار، وبكلّ الشّروط التّي وضعوها للخلافة في عصر الصّراع العقائدي، الّذي وضعوا فيه الشّروط للخلافة الإسلامية لتصحيح خلافة الّذين تقمّصوها بعد وفاة الرّسول ﷺ، وبعد أن بذل لهم

---

(١) - راجع «مع رجال الفكر» الحلقة الأولى ص١٩٨ طبع القاهرة.

(٢) - «تاريخ الطّبري»: ج٤ ص٤٠٧، «تاريخ ابن الأثير»: ج٣ ص٢٠٦، و«العقد الفريد»: ج٤ ص٢٩٠.

الإمام الهدى جميع الوسائل ليرجعوا عن غيّهم وضلالهم، فلم يسمعوا له قولاً ولا راعوا له وللأبرياء حرمة.

قال القاضي عبد الجبّار إمام المعتزلة من أهل السّنّة: لا شكّ في فسق معاوية «وإن الشّكّ إنّما هو في كفره»، ثم حكم بكون معاوية باغياً. قال: وما روي عن النّبي ﷺ من قوله لعلي عليه السلام: «إنّك ستقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين» يدلّ على ذلك، لأنّ معاوية لو لم يكن باغياً لم يكن قاسطاً جائراً. وقد روي عنه ﷺ أنّه قال ذلك اليوم: «أمّا النّاكثون فطلحة والزّبير وأصحابهما، وأمّا القاسطون فمعاوية وأصحابه». إلى أن قال إمام المعتزلة: وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[1]، يدلّ على وجوب مقاتلتهم[2].

ومن البديهي أنّ الّذين تجب مقاتلتهم هم كفّار أو فسّاق. فأصحاب الجمل وصفّين، وإن كانوا من الصّحابة، إلاّ أنّهم من الفاسقين، لو لم يكونوا من الكافرين، كما يظهر من تشكيك الإمام المعتزلي. فالقول بعدالة جميع الصّحابة غير معقول، وما روي عن أنس بن مالك من أنّ النّبي ﷺ قال: «من سبّ أحداً من أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين!!»، مجعول أو محمول على أصحابه الأوفياء لرسالته. وعلى فرض صحّته يكون المراد منه لعن معاوية وأتباعه لعليّ عليه السلام حيث سبّوا علي بن أبي طالب أكثر من خمسين عاماً. ففكرة عدالة جميع الصّحابة فكرة غير إسلامية، وفكرة عصمة أهل البيت فكرة إسلامية.

---

(١) ـ سورة الحجرات: ٩.

(٢) ـ «المغني في أبواب التّوحيد والعدل» تأليف عبد الجبّار: ج٢٠ ص٩٣.

إذ لا يمكن أن يكون من يقتل المسلمين صبراً ويسب علياً جهراً، ويعيث في الأرض فساداً، ويحارب الله ورسوله عناداً، من العدول، بل لا شكّ في كون معاوية فاسقاً، لو لم يكن كافراً.

المقارنة الرّابعة: هي المقارنة بين مغالاة الإمامية في الأئمّة ومغالاة أهل السّنّة في الصّحابة وليس من مغالاة الإمامية المزعومة إلاّ القول بعصمة الأئمّة من أهل البيت ﷺ، وكونهم أفضل من جميع من عداهم سوى النّبي ﷺ في صفات الكمال كلّها، من الفهم والعلم والرّأي والحزم والكرم والشّجاعة والعفّة وحسن الخلق والزّهد والعدل والسّياسة الشّرعية ونحوها.

ويكلمة أخرى إنّهم أطوع خلق الله لله، وأكثرهم علماً وعملاً بالبر والخير. ولهم على ذلك أدلّة قطعيّة من الكتاب والسّنّة، وقد تقدّم تفصيل الاستدلال بهما على العصمة. وأمّا كونهم أكثر الأمّة الإسلامية علماً، فيكفي من الكتاب قوله تعالى: **﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[1]، حيث فُسّر **﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾** بعلي بن أبي طالب.

وروي في تفسير الثّعلبي وابن المغازلي بسندهما عن عبد الله بن عطا قال: كنت مع محمد الباقر (رضي الله عنه) في المسجد، فرأيت ابن عبد الله بن سلام فقلت: هذا ابن الّذي عنده علم الكتاب، قال: إنّما ذلك علي بن أبي طالب[2].

ومن السّنّة ما هو المعروف حيث قال النّبي ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعليّ بابها. قال الله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فمن أراد العلم فليأته من الباب»**.

---

[1] - سورة الرّعد: ٤٣.

[2] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٠٢ طبع مؤسّسة الأعلمي بيروت.

«لمّا خلق الله الخلق قامت الرَّحم فأخذت بحِقْوِ الرحمن فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة»[174].

قلت: وهذه أمثال كلها ترجع إلى ما بيَّنا، ومعنى تعلّقها بحقو الرحمن: الاستجارة والاعتصام.

وفي (صحيح مسلم)[175] من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «الرحم مُعَلَّقةٌ بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله».

قال أبوبكر البيهقي: الحِقْو الإزار، والمعنى: يتعلق بعزه.

قال ابن حامد (المجسّم): يجب التصديق بأن لله تعالى حقواً، فتأخذ الرحم بحقوه.

قال: وكذلك نؤمن بأن لله جنباً لقوله تعالى: ﴿على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ﴾ الزمر: ٥٦.

قلت: وهذا لا فَهْمَ له أصلاً، كيف يقع التفريط في جنب الذات..؟!!

وأتمّه، كما في الفتح (٨/ ٥٨٠).

قال الحافظ البيهقي: «فأخذت بحقو الرحمن» معناه عند أهل النظر: أنها استجارت واعتصمت بالله عز وجل، كما تقول العرب: تعلّقتُ بظلّ جناحه أي: اعتصمت به»اهـ

وانظر إلى تعليق الإمام المحدّث الكوثري رحمة الله تعالى عليه.

(١٧٤) رواه البخاري في صحيحه (فتح ١٣/ ٤٦٥) بلفظ:
«خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرُّحم فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة...» وهذا اللفظ هو الذي عليه التعويل، ومنه يتبين تصرّف الرواة في المتون.

(١٧٥) انظر صحيح الإمام مسلم (٤/ ١٩٨١ برقم ٢٥٥٥).

السنّة والغلوّ

الغلو في فضائل أبي بكر

ومن غلوّ أهل السنّة في أبي بكر ما ذكره الفيروز آبادي في خاتمة كتابه «سفر السّعادة» المطبوع، باب فضائل أبي بكر الصدّيق (رضي الله عنه): «إنّ الله يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصّة».

ولازم معنى هذا الحديث أنّ أبا بكر هو بمنزلة الجبل الّذي دكّ بعد أن تجلّى له ربّ موسى، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾[1].

وحديث: «ما صبّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصبّه في صدر أبي بكر». فهذا الحديث يستدعي أن يكون أبو بكر أعلم الأمّة، لأنّ الله صبّ في صدره من العلم كلّ ما صبّ في صدر نبيّه محمد ﷺ.

فلم لا يعلم معنى الكلالة ومعنى الأبّ في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[2]؟ ولماذا يرجع إلى علي بن أبي طالب في المشكلات العلميّة؟ ولماذا عجز عن الجواب حينما سأله يهوديّ؟

وقد ورد عن أنس بن مالك قال: أقبل يهوديّ بعد وفاة رسول الله ﷺ، فأشار القوم إلى أبي بكر، فوقف عليه فقال: أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ، قال أبو بكر، سل عمّا بدا لك، قال اليهودي:

---

[1] - سورة الأعراف: ١٤٣.

[2] - سورة عبس: ٢٣.

أخبرني عمّا ليس لله، وعمّا ليس عند الله، وعمّا لا يعلمه الله. فقال أبو بكر هذه مسائل الزنادقة يا يهوديّ! وهمّ أبو بكر والمسلمون (رضي الله عنهم) باليهودي، فقال ابن عباس: إن كان عندكم جوابه وإلاّ فاذهبوا به إلى عليّ (رضي الله عنه) يجيبه فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم اهد قلبه، وثبّت لسانه. قال: فقام أبو بكر ومن حضره حتّى أتوا علي بن أبي طالب، فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إنّ هذا اليهودي سألني مسائل الزّنادقة، فقال علي: ما تقول يا يهودي؟ قال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ، فقال له: قل فردّ اليهودي المسائل، فقال علي (رضي الله عنه): أمّا ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود: إنّ عزير ابن الله، والله لا يعلم أنّ له ولداً وأمّا قولك: أخبرني بما ليس عند الله. فليس عنده ظلم للعباد، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لله، فليس له شريك. فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، وأنّك وصيّ رسول الله ﷺ[1]. ومن غلوّهم في أبي بكر أنّ مَلَكاً يردّ على شاتم أبي بكر.

أخرج يوسف بن أبي يوسف عن أبيه يعقوب بن إبراهيم القاضي عن أبي حنيفة قال: «بلغني أنّ رجلاً شتم أبا بكر، فحلم أبو بكر (رضي الله عنه) والنّبي ﷺ قاعد، ثم إنّ أبا بكر ردّ عليه فقام النّبي ﷺ، فقال أبو بكر: شتمني فلم تقم وقمت حين رددت عليه؟ فقال النّبي ﷺ: إنّ ملكاً كان يردّ عنك، فلمّا رددت أنت ذهب فقمت»[2].

---

[1] ـ «المجتنى» لابن دريد: ص٣٥.

[2] ـ «مسند أحمد»: ج٢ ص٤٣٦، أخرجه يوسف بن أبي يوسف في «الآثار»: ص٢٠٨.

ولازم الجمع بين هذا الحديث وبين قول أبي بكر: «وإنّ لي شيطاناً يعتريني»[١] إنّ لأبي بكر ملكاً يردّ شاتمه، وله شيطان يعتريه ويأمره على ما يشاءه من المنكر.

تدبّر أيّها القارئ الكريم ثم احكم بما هو المعقول والمقبول، هل يمكن أن يكون الملك صديقاً للشيطان في حماية أبي بكر؟!!

ومن مغالاة أهل السنّة بأبي بكر حديث توسّل الشّمس من أبي بكر. قال النّبي ﷺ: عُرض عليّ كل شيء ليلة المعراج حتّى الشّمس، فإنّي سلّمت عليها وسألتها عن كسوفها، فأنطقها الله تعالى وقالت: لقد جعلني الله تعالى على عجلة تجري حيث يريد، فأنظر إلى نفسي بعين العجب، فنزل بي العجلة، فأوقع في البحر، فأرى شخصين أحدهما يقول: أحد أحد، والآخر يقول: صدق صدق. فأتوسّل بهما إلى الله تعالى، فينقذني من الكسوف، فأقول: يا ربّ من هما؟ فيقول الّذي يقول: أحد أحد هو حبيبي محمد ﷺ، والّذي يقول: صدق صدق هو أبو بكر الصّدّيق (رضي الله عنه).

قال العلاّمي: لمّا مات أبو بكر (رضي الله عنه) قال: احملوني إلى قبر النّبي ﷺ وقولوا: السّلام عليك يا رسول الله، هذا أبو بكر: أتأذن له في الدّخول، فلمّا فعلوا ذلك سمعوا هتافاً يقول: أدخلوا الحبيب على الحبيب[٢].

ويؤكّد على وضع هذا الحديث أمران:

---

[١] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة: ج١ ص١٦، و«طبقات ابن سعد»: ج٣ ص١٥١، و«تاريخ الطّبري»: ج٣ ص٢١٠.

[٢] - مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة للإمام أبي هريرة عبد الرّحمن بن عبد السّلام بن عبد الرّحمن بن عثمان الصّفوري: ص١٠٣.

الأوّل: إنّ النّبي ﷺ قد دفن في حجرة الزّهراء (عليها السلام)، وأنّ عائشة لا يحقّ لها دفن أيّ شخص فيها، وإنّ كلّ ما حصل إنّما هو على خلاف كتاب الله وسنّة رسوله.

الثاني: إنّ أبا بكر قد أسخط ريحانة رسول الله فاطمة الزّهراء ومن أسخطها فقد أسخط رسول الله فكيف يكون حبيب رسول الله ﷺ؟!!

جاء في «الإمامة والسّياسة»: قال عمر لأبي بكر (رضي الله عنهما): انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد عليهما السّلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله أغضبناك في ميراثك منه وفي زوجك، فقالت: ما بالك يرثك أهلك ولا نرث محمّداً؟ فقال: والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله، إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورّث، ما تركنا فهو صدقة،

فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم،

سمعناه من رسول الله ﷺ، قالت: **فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النّبي لأشكونّكما إليه»**[1].

وهذا الحديث يستدعي أنّ أبا بكر ليس حبيب رسول الله ﷺ لأنّه أسخط فاطمة الزّهراء ، فالهتاف ليس من رسول الله قطعاً، على تقدير صحّة حديث وصيّة أبي بكر، بل هو إمّا من الشّيطان لأنّه حبيب لكلّ من انحرف عن طريق الحق وإمّا من بعض المشيّعين له.

ومن مغالاة أهل السّنّة في أبي بكر أنّ الملائكة سجدت لآدم حين قال الله تعالى: ﴿اُسْجُدُوا﴾ مهابة من أبي بكر. قال جبرائيل: حين قال الله تعالى: اسجدوا، رأيت قبّة عظيمة عليها مكتوبٌ أبو بكر أبو بكر مراراً. وهو يقول: اسجد، فسجدت من هيبة أبي بكر[2].

كيف يعقل التّرديد من جبرائيل، ثم يسجد من هيبة أبي بكر لا امتثالاً لأمر الله؟!!

الغلوّ في فضائل عمر

الغلوّ في علمه: وورد في علمه عن ابن مسعود: لو وضع علم أحياء العرب في كفّة ميزان ووضع علم عمر في كفّة لرجح علم عمر.

وفي لفظ المحبّ الطّبري: لو وُضع علم عمر في كفّة وعلم أهل الأرض في كفّة لرجح علم عمر[3]، وقول عمر: «النّساء أفقه من عمر»، وقوله في أكثر

---

[1] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة: ج١ ص١٣.

[2] - ذكره العبيدي المالكي في «عمدة التّحقيق» هامش «روض الرّياحين»: ص١١١.

[3] - «مستدرك الحاكم»: ج٣ ص٨٦، و«الاستيعاب»: ج٢ ص٤٣٠، و«الرّياض النّضرة»: ج٢ ص٨، على ما في «الغدير»: ج٨ ص٦١.

من سبعين مورداً: «لولا عليّ لهلك عمر»، أو «لولا عليّ لافتضحنا» يكذّب الغلوّ في علم عمر.

الغلوّ في مقام عمر: إنّ الملائكة تكلّم عمر بن الخطّاب.

أخرج البخاري في كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطّاب، عن أبي هريرة قال: قال النّبي ﷺ: لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلّمون الملائكة من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمّتي منهم أحد فهو عمر، ولازم هذا الحديث، لولا نبيّنا محمد خاتم الأنبياء لكان عمر بن الخطّاب نبيّاً من الأنبياء.

قرطاس في كفن عمر وفيه مكتوب: «عمر نور الإسلام في الدّنيا وسراج أهل الجنّة في الجنّة». هذا ما روي عن علي، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمر نور الإسلام في الدّنيا وسراج أهل الجنّة في الجنّة، فأوصى عمر أن يجعل في كفنه، ففعل ذلك. قال الأميني بعد ذكر هذه القصّة: بلغت هذه القصّة الخيالية من الخرافة حدّاً ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات[1].

الشّيطان يخاف ويفرّ من عمر

عن بريدة: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلمّا انصرف جاءت جارية سوداء فقالتّ: يا رسول الله إنّي كنت نذرت إن ردّك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدّفّ وأتغنّى، فقال رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي وإلاّ فلا. فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدّفّ تحت استها ثم قعدت عليها، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الشّيطان ليخاف منك يا

---

(١) - «تحذير الخواصّ للسيوطي»: ص٥٣.

عمر! إنّي كنت جالساً وهي تضرب، ثم دخل عليّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلمّا دخلت أنت يا عمر ألقت الدّفّ.

وعن جابر قال: دخل أبو بكر (رضي الله عنه) على رسول الله ﷺ وكان يُضرب بالدفّ عنده، فقعد ولم يزجر لما رأى من رسول الله ﷺ، فجاء عمر (رضي الله عنه) فلمّا سمع رسول الله صوته كفّ عن ذلك، فلمّا خرجا قالت عائشة (رضي الله عنها): يا رسول الله كان حلالاً فلمّا دخل عمر صار حراماً؟ فقال ﷺ: يا عائشة ليس كلّ النّاس مرخاً عليه[1]. والمستفاد من الحديث أنّ عمر في زمان النّبي ﷺ يحرّم ما كان حلالاً في الدّين، فله الحق أن يحرّم متعة النّساء ومتعة الحج بعد النّبي ﷺ، وأن يسقط «حيّ على خير العمل» من الأذان. وهو المشرّع الوحيد، كما يؤكّد على ذلك ما أحدثه بعد وفاة النّبي ﷺ.

الغلوّ في فضائل عثمان بن عفّان

ويكفي في غلوّهم في عثمان بن عفان أنّ عثمان من استحى الله منه. وفي رواية أنّ عثمان رجلٌ تستحي منه الملائكة[2]. وكان عثمان يصوم الدّهر ويقوم الليل[3].

نعم، عثمان يصوم الدّهر ويقوم الليل، وهو يغيّر ما جاء به الرّسول الاعظم فيتمّ الصّلاة في السّفر.

---

[1] - «مسند أحمد»: ج٥ ص٣٥٣، و«جامع التّرمذي»: ج٢ ص٢٩٣، و«مشكاة المصابيح» للخطيب التّبريزي: ص٥٥٠، نقلاً عن «الغدير»: ج٨ ص٦٥.

[2] - راجع «صحيح مسلم» باب فضائل عثمان بن عفان.

[3] - «مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة»: ص١٤٩.

أخرج الشّيخان وغيرهما بالإسناد عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدراً من خلافته (رضي الله عنهم)، ثم إنّ عثمان صلّى بعدُ أربعاً، فكان ابن عمر إذا صلّى مع الإمام صلّى أربعاً، وإذا صلّى وحده صلّى ركعتين[1].

عثمان يبطل الحدود

أخرج البلاذري من طريق محمد بن سعد بالإسناد عن أبي إسحاق الهمداني: إنّ الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلّى بالنّاس الغداة ركعتين، ثم التفت فقال: أزيدكم؟ فقالوا: لا، قد قضينا صلاتنا. ثم دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران، فانتزعا خاتمه من يده وهو لا يشعر سكراً، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب، وجندب بن زهير، وأبو جيبة الغفّاري، والصّعب بن جثامة، فاخبروا عثمان خبره، فاوعدهم عثمان وتهدّدهم. قال أبو إسحاق: فأتى الشّهود عائشة فاخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان فنادت عائشة: إنّ عثمان أبطل الحدود وتوعّد الشّهود.

وقال الواقدي: وقد يقال: إنّ عثمان ضرب بعض الشّهود أسواطاً فأتوا علياً فشكوا ذلك إليه، فاتى عثمان فقال: عطلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك فقبلت الحكم.

---

[1] - «صحيح البخاري»: ج٢ ص١٧٣، و«صحيح مسلم»: ج٢ ص٢٦٠.

كان الوليد أخاه لأمّه، وأمّهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس[١].

وكان عثمان يبذل كلّ جهده في تأسيس حكومة أموية قاهرة في الحواضر الإسلامية، فولّى بني أميّة على الأمر في المراكز الحسّاسة وسلّطهم على رقاب النّاس، وأولئك هم المعنيون بقوله ﷺ: اسمعوا هل سمعتم أنّه سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منّي ولست منه، وليس بوارد عليّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدّقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو منّي وأنا منه، وسيرد عليّ الحوض[٢].

وهم المعنيون بقوله ﷺ: «سيكون أمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون»[٣]. نعم، كثير من الصّحابة ما كان يحجزهم الدين عن مخالفة التّعاليم المقرّرة وكانوا يقدّمون عليها سياسة الوقت.

ويؤكّد على ذلك أنّه في زمان خلافة عثمان، اقتنى جماعة من رجال سياسة الوقت، وأصحاب الفتن والثّورات، من جرّاء الفوضى في الأموال، ضياعاً عامرة، ودوراً فخمة، وقصوراً شاهقة، وثروة طائلة ببركة تلك السّيرة الأموية في الأموال الشّاذّة عن الكتاب والسّنّة الشّريفة وسيرة السّلف، فجمعوا من مال المسلمين مالاً جمّاً وأكلوه أكلاً لمّاً، كالزّبير بن العوام، وطلحة بن عبد الله التّيمي، وعبد الرّحمن بن عوف الزّهري، وسعد بن وقّاص،

---

[١] - «الأنساب»: ج٥ ص٣٣، و«الغدير»: ج٨ ص١٢٠.

[٢] - «تاريخ الخطيب البغدادي»: ج٢ ص١٠٧، وج٥ ص٣٦٢، نقلاً عن «الغدير»: ج٨ ص٢٩١.

[٣] - «مسند أحمد»: ج١ ص٤٥٦.

ويعلى بن أميّة وغيرهم. فعلى من خدمه عثمان من رجال سياسة الوقت أن يتّفق مع معاوية في فكرة وضع الأحاديث في فضائل عثمان ومناقبه.

فدعا معاوية فيما دعا إليه بعد استقلاله بالسّلطة وتفرّده بالحكم إلى وضع الأحاديث واختلاقها وبثّها في أوساط الأمّة، معتمداً في ذلك على ضعاف النّفوس من الرّواة وقوّالة الكذب، الّذين لم يتورّعوا عن الافتراء والدّسّ على لسان النّبي الأعظم ﷺ، متوسّلين بذلك إلى كسب رضا معاوية، وودّه، ليغدق عليهم من عطاياه ومنحه، ما يشبعون به نهمهم، ويسدّون به جوع مطامعهم. ولقد طلب معاوية من عمّاله أن يدعوا النّاس للرّواية في فضائل عثمان فلمّا أكثروا طلب منهم الكف عن ذلك والاكتفاء بما قيل، داعياً إيّاهم للرّواية في فضل أبي بكر وعمر، فلمّا أكثروا طلب منهم الكفّ وجمع ما قيل، وجعله في كتاب وزّعه على الكتاتيب، ليعلّمونه الصّبيان ويحفظونهم إيّاه. وتزلف بعض الرّواة للحاكم، يعني معاوية، فرووا في فضله وفضل أبيه أبي سفيان روايات أثبتها بعد ذلك رعيل من الحفّاظ وكتبة الحديث في كتبهم الملتزمين بمضامينها. وإليك بعض هذه الرّوايات:

عن جابر: «إنّ رسول الله ﷺ استشار جبرائيل في استكتاب معاوية فقال: استكتبه فإنّه أمين.

عن أنس مرفوعاً: «الأمناء سبعة: اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل، ومحمّد، ومعاوية».

عن أبي هريرة مرفوعاً: «الأمناء عند الله ثلاثة: أنا، وجبرائيل، ومعاوية». وعن واثلة مرفوعاً: «إنّ الله ائتمن على وحيه جبرائيل، وأنا ومعاوية». وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربّي.

وغير ذلك من المهازل التّي لم يخجل رواتها من إذاعتها وطرحها بين أوساط الأمّة ، ومن شاء المزيد من الاطّلاع على هذه الأكاذيب فعليه بكتاب «الغدير» : ج١١ ص٧١ .

ويكفي في غلوّ بعض أهل السّنّة في معاوية ما في «مسألة الإمامة» لمحسن عبد النّاظر : «فمبايعة معاوية للخلافة ليست ناتجة عن تنازل الحسن أو عن الحروب التّي مزّقت المسلمين ، فتلك أسباب ظاهرية ، أمّا أصل خلافته فأوامر إلهية كتلك التّي نزلت على الرّسول ﷺ ، وطلبت من معاوية أن يكتب آية الكرسي بقلم نزل به جبرائيل من الجنّة ، وقال للنّبيّ ﷺ : إنّ الأعلى يقرئك السّلام ويقول : حبيبي قد أهديت لك هذا القلم من فوق عرشي إلى معاوية بن أبي سفيان ، فأوصله إليه ومره أن يكتب آية الكرسي بخطّه بهذا القلم ، ويشكّله ويعجمه ويعرضه عليك»[١] ثمّ أكّد المؤلّف على خلافة معاوية بالنّصّ وقال : فالرّسول ﷺ كان يعطي معاوية كثيراً من الأشياء ترمز إلى الخلافة ، وإلى المكانة المرموقة ، لأنّه كان يعلم أنّه من معاوية ومعاوية منه ، ولذلك قال له مرّة : «أنت منّي يا معاوية وأنا منك»[٢] .

ويكفي في عداء بعض أهل السّنّة لأهل بيت الرّسالة أنّهم ينكرون النّصّ على خلافة علي بن أبي طالب مع وجود النّصوص المتواترة في كتبهم ، ويقولون بخلافة معاوية بالنّص من النّبي ﷺ . ثم الفرق بين النّصّين أنّ النّصّ في خلافة عليّ صريح كقول النّبي لعليّ : «أنت الخليفة من بعدي»[٣] . وقوله ﷺ له :

---

[١] - «تطهير الجنان» لابن حجر : ص٢٤ ، و«مسألة الإمامة» لمحسن عبد النّاظر : ص٣٥٤ .

[٢] - تطهير الجنان لابن حجر : الباب ٢ ص١٦-٢٣ ، ومسالة الإمامة لمحسن عبد النّاظر : ص٣٢١ .

[٣] - «شرح المقاصد» للتفتازاني : ج٢ ص٢١٣ .

«أنت إمام أمّتي وخليفتي عليها بعدي، سعد من أطاعك، وشقي من عصاك، وربح من تولاّك، وخسر من عاداك، وفاز من لزمك وهلك من فارقك»[(١)].

هذه جملة من المقارنات بين غلوّ الشيعة في الأئمّة وغلوّ أهل السنّة في الصّحابة. وقد ظهر لك أيّها القارئ الكريم أنّ غلوّ أهل السنّة في الصّحابة أشنع من غلوّ الشّيعة في الأئمّة، لأنّ غلو أهل السنّة إنّما ينشأ من الأحاديث الموضوعة باعتراف أنفسهم، وأمّا غلوّ الشّيعة المزعوم، فإنّما هو للأحاديث الصّحيحة المتواترة بين الفريقين الواردة في فضائل أهل البيت ﷺ.

وإليك بعض ما ورد عن النّبي ﷺ في فضائل أهل البيت ﷺ في كتب أهل السنّة.

في المناقب عن الحسن بن علي بن محمّد بن جعفر الصّادق بن محمّد الباقر عن آبائه عن أمير المؤمنين علي (رضي الله عنهم) قال: إنّ رسول الله ﷺ نظر إليّ وأنا مقبل وأصحابه حوله، وقال: **أما إنّ فيك شبهاً من عيسى ابن مريم، ولولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النّصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من النّاس إلاّ أخذوا من التّراب من تحت قدميك يبغون فيه البركة، ويستشفون به.** فقال المنافقون: لم يرض محمّد إلاّ أن يجعل ابن عمّه مثلاً لعيسى بن مريم فأنزل الله تعالى: **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ ۞ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ** » أي علي **﴿إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[(٢)].

---

(١) - «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: ج١ ص٥٦و١٥١.

(٢) - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٣١، طبع مؤسسة الأعلمي بيروت، سورة الزخرف: ٥٨.

أخرج أحمد في «المناقب» عن علي (كرم الله وجهه) قال: قال رسول الله ﷺ: «النّجوم أمان لأهل السّماء فإذا ذهبت النّجوم ذهب أهل السّماء، وإنّ أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[١].

وفي كتاب الإصابة أبو ليلى الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنّه أوّل من آمن بي وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصّدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمّة، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين»[٢].

وهذا الحديث يستدعي أنّ تلقيب أبي بكر بالصّدّيق وعمر بن الخطّاب بالفاروق ليس إلاّ تغطيةٌ للحقّ.

وعن يحيى بن عبد الرّحمن الأنصاري قال: سمعت النّبي ﷺ يقول: «من أحبّ عليّاً في حياته ومماته كتب الله له الأمن والأمان يوم القيامة»[٣].

وفي «المناقب» عن أبي سعيد بن عقيص عن سيّد الشّهداء الحسين بن علي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي أنت أخي وأنا أخوك، أنا المصطفى للنبوّة وأنت المجتبى للإمامة، أنا وأنت أبوا هذه الأمّة، وأنت وصيّي ووارثي وأبو ولدي، أتباعك أتباعي، وأولياؤك أوليائي، وأعداؤك أعدائي، وأنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في المقام المحمود، وصاحب لوائي في الآخرة، كما أنت صاحب لوائي في الدّنيا. لقد سعد من تولاّك وشقي من عاداك، وإنّ الملائكة لتتقرّب إلى الله بمحبّتك وولايتك، وإنّ أهل مودّتك في السّماء أكثر من أهل

---

[١] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٩.

[٢] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٨٠

[٣] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٨٠.

الأرض يا علي أنت حجّة الله على النّاس بعدي، قولك قولي، أمرك أمري، نهيك نهيي، وطاعتك طاعتي، ومعصيتك معصيتي، وحزبك حزبي، وحزبي حزب الله ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[1].

وهذا الحديث يستدعي أنّ معاوية وأتباعه من أعداء النّبي ﷺ، وأنّ أبا بكر وعمر وعثمان قد خالفوا وعصوا عليّاً، فقد عصوا اللـه ونبيّه ﷺ، وأنّ أتباع علي هم أتباع محمّد ﷺ وهم حزب الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي، هذا عليّ أخي في الدّنيا والآخرة، وحامل لوائي في الدّنيا والآخرة، وحامل لواء الحمد غداً في القيامة، وهذا علي وصيّي والذائد عن حوضي المنافقين. يا أم سلمة هذا عليّ سيّد المسلمين وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين. قلت: يا رسول الله من النّاكثون؟ قال: الّذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة، قلت: من القاسطون؟ قال: ابن أبي سفيان وأصحابه من أهل الشّام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النّهروان**»[2].

فهذا البحث ينتج أنّ أهل السّنّة هم أهل المغالاة فاتّهامهم غيرهم بالمغالاة ليس إلاّ تغطيةً لمغالاتهم في الصّحابة.

فنتيجة هذا البحث أنّ الصّحابة الّذين يتّهم الشّيعة بسبّهم أو الطّعن فيهم إنّما سبّهم التّاريخ وطعن فيهم وكشف أخطاءهم الفظيعة، فهذا المغيرة بن شعبة صحابيّ، لكنّه ودفاعاً عن مصالحه الخاصّة، فتح على أمّة الإسلام باباً

---

[1] - سورة المائدة: ٥٦، والحديث مذكور في «ينابيع المودّة»: ج١ ص١٢٣.

[2] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٧٩.

من الشر لم يغلق، فهو الذي شجع معاوية بن أبي سفيان على أخذ البيعة لابنه يزيد الفاسق، انظر ماذا قال بعدما خرج من عند معاوية وقد أوحى له ببيعة يزيد: فخرج من عنده فلقى كاتبه، فقال: ارجع بنا إلى الكوفة والله لقد وضعت رجل معاوية في غرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء[1].

وعمرو بن العاص صحابي جليل، لكنه باع دينه لمعاوية بن أبي سفيان وأخذ ثمن ولاية مصر وحاربا الأمير الشرعي وهو علي بن أبي طالب ﷺ، ومعاوية بن أبي سفيان أليس صحابيا؟! لكنه قتل عمار بن ياسر وحجر بن عدي والحسن بن علي ﷺ، وأزهق المئات من أرواح المسلمين ظلما وعدوانا، ماذا يقول فيها أهل السنة؟!

فلو قالوا: إن معاوية لم يقتل أحدا!! لكان قولهم هذا تكذيبا لجميع التواريخ ومصادر الحديث، فلعلهم سيقولون: أنه قتل الصحابة والمسلمين متأولا مجتهدا، فله أجر على ذلك فوق كل هذا القتل والظلم؟! فليس هذا إلا تبرير القتل والظلم بالدفاع عن الظلم؟! ويا للعجب أن معاوية بن أبي سفيان أمر بلعن الإمام علي على المنابر طيلة ملكه لكن أهل السنة لا يبيحون دمه وسبه ولا يكفرونه مع أن الإمام علي ليس صحابيا جليلا فقط، بل هو عندهم خليفة شرعي رابع، لكنهم يكفرون الشيعة، لأنهم ينتقدون بعض الصحابة!! هل يحق لمعاوية أن يلعن الإمام علي ﷺ، ويقتل الصحابة الأجلاء؟ ومع ذلك يبقى أميرا للمؤمنين، وعندما يذكر اسمه يقال: سيدنا معاوية (رضي الله عنه) قتل سيدنا حجر بن عدي (رضي الله عنه).

---

[1] - «منهج في الانتماء المذهبي»: ص٢٤٢ نقلا عن تاريخ ابن خلدون ج٣ ص١٣.

يقول السيّد قطب مصرّحاً بكفر معاوية وبني أميّة حيث يقول: «فمعاوية هو ابن أبي سفيان بن هند بنت عتبة. وهو وريث قومه جميعاً وأشبه شيء بهم في بُعد روحه عن حقيقة الإسلام، فهو منه ومنهم بريء»[١]، والسّيد قطب لم يكن شيعيّاً ولا رافضيّاً، بل هو من أهل السنّة.

ومن أعجب ما قرأت، وأغرب ما رأيت أن ينكر بعض الكتّاب سبّ معاوية للإمام، ويتنكّر لكلّ ما ورد من ذلك دافعاً كلّ ما روي في هذا المعنى بدون حجّة ولا دليل إلاّ ظنّه الحسن بالصّحابة، وإنّهم لا يتعاملون عند اختلافهم في أمر بمثل هذا النّوع من التّعامل ولا يسلكون مثل هذا السّبيل، وإليك نصّ ما ورد: فقد ثبت أنّ الصّحابة (رضوان الله عليهم) لم ينزلوا في خصوماتهم إلى هذا الدّرك في البغي والعدوان؛ فلم يصحّ أبداً عن معاوية (رضي الله عنه) أنّه سبّ عليّاً (كرّم الله وجهه) أو لعنه مرّة واحدة فضلاً عن التّشهير به على المنابر»[٢].

وما رأيت أسخف من هذا الدّفاع وليس هذا الدّفاع إلاّ تغطية الحقائق بالأكاذيب وإلاّ فحرب صفّين غير قابل للإنكار وقد سجّل التّاريخ بغي معاوية وعدوانه على الإمام ﷺ.

أيّها القارئ الكريم ماذا تقول لمن ينكر الحقائق بدون حجّة ولا برهان؟ إنّه يريد أن ينزّه معاوية ويبرأ ساحته من كلّ عيب، فعمد إلى إنكار حقائق التّاريخ ومسلّماته، وتجاهل عن الجرائم الّتي ارتكبها معاوية وسوّد بها تاريخ الإسلام.

---

[١] - مجلة «منار الهدى»: العدد ٣٥ ص٤٩.

[٢] - «تحذير العبقري من محاضرات الخضري»: ج٢ ص١٩٨.

المقارنة الخامسة: هي المقارنة بين أئمّة الشّيعة الاثني عشر: وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والإمام الحسن، والإمام الحسين، والإمام زين العابدين، والإمام محمّد الباقر، والإمام جعفر الصّادق، والإمام موسى الكاظم، والإمام علي الرّضا، والإمام محمّد الجواد، والإمام علي الهادي، والإمام حسن العسكري، والإمام الحجة (عجّل الله فرجه الشّريف).

وبين أئمّة السّنّة الأربعة، وهم: أبو حنيفة، ومالك، ومحمّد بن إدريس الشّافعي، وابن حنبل.

فأئمّة الشّيعة الاثني عشر كلّهم من آل بيت رسول الله ﷺ، وهم قادة المسلمين وخلفاء الرّسول بالنّصوص المتواترة عند الفريقين.

وقد تقدّم بعض النّصوص في الاستدلال بالنّصوص على خلافة الأئمّة الاثني عشر، فراجع.

والغرض من هذه المقارنة أنّ التّدبّر في حقيقة الإسلام والتّاريخ يقتضي فرض التّديّن بمذهب الأئمّة من أهل البيت ﷺ دون المذاهب الأربعة. وذلك يتبيّن بعد بيان الأدوار الّتي مرّت بالإسلام والمسلمين بعد عهد النّبوّة، وبعدما عاش المسلمون في عهد النّبوّة بالمدينة المنوّرة أمّة واحدة وإخواناً متحابّين متعاونين يسودهم الأمن والسّلام، ولم يكن بينهم اختلاف أصلاً، لا في الأصول ولا في الفروع، بل كانوا جميعاً على شريعة واحدة ومنهج موحّد.

ولكن حدث الخلاف بعد وفاة النّبي ﷺ مباشرةً، عندما اجتمع بعض الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة، واختاروا أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ، رغم النّصوص المتواترة من النّبي ﷺ لعهد الخلافة إلى عليّ، ورغم

أنّ علياً عليه السلام كان أحقّ النّاس بهذا المنصب الخطير، ثم اتّسع الخلاف في التّشريع أيضاً بعدما كان من الأوّل محصوراً في الخلافة فقط فنقول:

الدّور الأوّل: كان التّشريع فيه عند أتباع الخلفاء الرّاشدين يتمثّل في اجتهاد الخلفاء الرّاشدين، لأنّهم على زعمهم كانوا أكثر النّاس فهماً لكتاب الله وسنّة رسوله، وكان الخلفاء إذا لم يجدوا بهما نصّاً لجؤوا إلى القياس والرّأي، ثم بعد ظهور الخطأ والفضاحة كانوا يلجؤون إلى علي بن أبي طالب، إذ قولهم لعليّ: يا علي لولاك لافتضحنا موجود في كتب الفريقين.

ولكنّ الشّيعة كانوا يرجعون إلى علي بن أبي طالب عليه السلام في أمور دينهم، لأنّه يعلم كلّ ما يرتبط بالدّين من دون الحاجة إلى اجتهاد أصلاً، إذ الاجتهاد إنّما هو سلاح مَن لا يعلم الواقع، وعلي بن أبي طالب كالنّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله يعلم الواقع. فكما لم يكن الاجتهاد ضرورياً في عهد الرّسول صلى الله عليه وآله باتّفاق جميع المسلمين، لأنّ النّاس يرجعون إليه في أمور دينهم، فكان النّبي صلى الله عليه وآله يبيّن لهم كلّ ما يحتاجون إليه من دون اجتهاد، كذلك الإمام علي يبيّن للناس أمور دينهم من دون اجتهاد أصلاً لأنّ الاجتهاد في الدّين معناه بذل الجهد في استنباط الأحكام الشّرعية من القرآن والسّنّة، وعلي بن أبي طالب كان عالماً بها من دون الحاجة إلى بذل الجهد. كيف لايكون عليّ كذلك وهو باب مدينة علم رسول الله؟ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأته من الباب»**[1].

هذا ما أكّده قول علي عليه السلام: **«سلوني قبل أن تفقدوني»**[2].

---

[1] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٦٤.

[2] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٦٥.

ويؤكّد على ذلك أيضاً ما أخرجه ابن المغازلي الشّافعي في مناقبه بسنده عن عباد بن عبد الله من أنّه قال: سمعت علياً (كرّم الله وجهه) يقول في خطبته: **«ما نزلت آية من كتاب الله إلاّ وقد علمت متى نزلت، وفيمن أنزلت، وما من قريش رجلٌ إلاّ وقد أنزلت فيه آية من كتاب الله عزّ وجلّ، تسوقه إلى جنّة أو نار.** قال رجلٌ: يا أمير المؤمنين فما نزل فيك قال: أما تقرأ: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾[1] فرسول الله ﷺ على بيّنة من ربّه وأنا التّالي الشّاهد منه»[2].

الدّور الثّاني: وهو ما يبدأ بقيام الدّولة الأمويّة وينتهي بسقوط الدّولة الأموية بأيدي العبّاسيين.

وهذا العصر كان عصر وضع الأحاديث في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، إذ لم يكن له ما يتذرّع به لطلب الخلافة من سابقة أو منقبة أو حديث، إلاّ قول الرّسول الأعظم: لا أشبع الله له بطناً. ويؤكّد على ذلك ما روي أنّ النّسائي وهو أحد أصحاب الصّحاح السّتة عند أهل السّنّة ذهب إلى دمشق فقيل له: حدّثنا عن فضائل معاوية، فقال: أما يرضى معاوية رأساً برأس حتّى يفضل؟! وقال: لا أعرف له فضيلة إلاّ: لا أشبع الله بطنه، فداسوه بالأرجل، ومات بسبب ذلك[3].

---

[1] - سورة هود: ١٧.

[2] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٩٧ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت.

[3] - «الشيعة والحاكمون» لمحمّد جواد مغنية: ص٤٣.

معاوية ووضع الأحاديث

دعا معاوية إلى وضع الأحاديث، واستخدم من الرّواة أولئك الّذين لم يتورّعوا عن الافتراء والدّسّ على لسان النّبي الأعظم ﷺ.

ولم يتركوا حديثاً روته الرّواة في فضائل أهل بيت الرّسول الأعظم ﷺ ومناقبهم إلاّ ووضعوا نظيراً له في غيرهم.

فوضعوا الأحاديث الكثيرة نظير ما روته الرّواة في فضائل أهل البيت ﷺ.

منها: حديث: «أصحابي كالنّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»، في مقابل:

«أهل بيتي كالنّجوم كلّما غاب نجمٌ طلع نجم إلى يوم القيامة»[١].

«النّجوم أمان لأهل السّماء وأهل بيتي أمان لأمّتي»[٢].

«النّجوم أمان لأهل السّماء فإذا ذهبت النّجوم ذهب أهل السّماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٣].

وهذا الحديث يشعرنا بوضوح ببقاء أهل البيت ذخراً للناس يهتدون بهديهم ويستضيؤون بأنوارهم، كما يؤكّد عليه قوله ﷺ: **«مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من تعلّق بها نجا ومن تخلّف عنها أولج بالنّار»**[٤].

---

[١] - «فرائد السمطين» للجويني الشافعي: ج٢ ص٤٠٧.

[٢] - «فرائد السمطين»: ج٢ ص٢٤١.

[٣] - «أهل البيت» للتوفيق أبو علم: ص٢٩.

[٤] - «ينابيع المودّة»: ج٢ ص٧٠ طبع مؤسسة الأعلمي بيروت.

ومنها: حديث «إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وسنّتي» في مقابل حديث «إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي»[١]، المتواتر بين الفريقين.

ومنها: قوله ﷺ لأبي بكر: «أنت خليفتي من بعدي» في مقابل قوله ﷺ لعلي: «يا علي أنت الخليفة من بعدي»[٢]، وقوله ﷺ: «يا علي أنت تبرئ ذمّتي وأنت خليفتي على أمّتي»[٣].

ومنها: حديث سدّ أبواب المسجد إلاّ باب أبي بكر، في مقابل سدّ أبواب المسجد إلاّ باب علي المعروف بين الفريقين[٤].

ومنها: حديث «أبو بكر هو الصّدّيق الأكبر» في مقابل قوله ﷺ: «عليّ هو الصّدّيق الأكبر»[٥].

وفي السّيرة الحلبية عن إسحاق بن بشر بسنده إلى أبي ليلى الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنّه أوّل من يراني وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصّدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمّة يفرّق بين الحقّ والباطل، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين».

---

(١) - «صحيح مسلم»: ج٧ ص١٢٣، و«ينابيع المودّة»: ج١ ص٣٥و٣٧.

(٢) - «شرح المقاصد» للمحقق التفتازاني: ج٢ ص٢١٣.

(٣) - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٧٣.

(٤) - راجع «ينابع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٨٤ كي تعرف شهرة الحديث.

(٥) - «السيرة الحلبية» تأليف علي بن برهان الدين الحلبي: ج٢ ص٩٤.

ومن هذا الحديث ظهر أنّ حديث عمر هو الفاروق الأعظم موضوع ومجعول في مقابل حديث «**عليّ هو الفاروق الأعظم**»، كقوله ﷺ لعلي: «**أنت الفاروق الّذي يفرّق بين الحقّ والباطل**».[١]

ومنها: حديث توسّل الشّمس بأبي بكر في مقابل ردّ الشّمس لعلي المتواتر بين الفريقين[٢]، ومقابل حديث تكلّم حديث الشّمس مع علي عليه السلام[٣].

ومنها: حديث: أبو بكر أشجع النّاس في مقابل ما هو المعروف بالبداهة والوجدان من أنّ عليّاً بعد النّبي أشجع النّاس. ولم يسجّل التّاريخ في أبي بكر إلاّ فراره من الحروب.

ومنها: حديث: أبو بكر خير أهل السّماوات والأرض، في مقابل قول النّبي ﷺ «**أهل بيتي هم خير الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً**»[٤]، وقوله ﷺ: «**عليٌّ خير البشر من شكّ فيه فقد كفر**»، وقوله ﷺ: «**عليٌّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر**»[٥].

وقوله ﷺ: «**أهل بيتي لا يقاس أحدٌ بهم**»[٦].

---

(١) ـ «فرائد السمطين» للجويني الشافعي: ج١ ص١٤٠، و«ترجمة علي بن أبي طالب» لابن عساكر: ج٣ ص١٥٧.

(٢) ـ أنظر «أسد الغابة»: ج٥ ص٣٩٥، و«الإصابة»: ج٤ ص٢٢٥، و«البداية والنهاية»: ج٦ ص٨٠.

(٣) ـ «فرائد السمطين» للجويني الشافعي: ج١ ص١٨٥.

(٤) ـ «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٨٨ طبع مؤسسة الأعلمي.

(٥) ـ «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص٤.

(٦) ـ «أهل البيت» تأليف توفيق أبو علم: ص٦٧.

والحديث المزبور يستدعي أن يكون أبو بكر أفضل من أهل البيت. وكيف يمكن أن يكون أفضل منهم وقد خصمهم؟! مع أنّ النّبي ﷺ قال: «**استوصي بأهل بيتي خيراً، فإنّي أخاصمكم عنهم غداً، ومن أخصمه دخل النّار**»[1].

ومنها: قوله ﷺ لمعاوية: «أنت منّي يا معاوية وأنا منك»[2]، في مقابل قوله ﷺ لعليّ: «**يا علي أنت منّي وأنا منك**»[3].

ومنها: حديث هديّة القلم لمعاوية من فوق عرش الله[4]، في مقابل حديث نزول ذي الفقار من السّماء إلى علي بن أبي طالب. وقد أنزل الله لمعاوية القلم لأنّه كاتب وحيه، ولعليّ ذا الفقار لأنّه بطل الحرب في سبيل الله تعالى.

ومن يريد المزيد من الاطّلاع على هذه الأكاذيب فعليه بكتاب «الغدير» للأميني (قدّس سرّه) ومن يتتبّع التّاريخ يعلم أنّ لمعاوية مآثر لا يحصى عديدها.

منها: إنّه ملعون على لسان الله ونبيّه ﷺ. فقد فسّر المفسّرون الشّجرة الملعونة في القرآن ببني أميّة، ورآه النّبي ﷺ يوماً يقود أخاه يزيد، فقال: لعن الله القائد والمقود.

---

(١) - «ينابيع المودّة»: ج٢ ص٩٨.

(٢) - «مسألة الإمامة» لمحسن عبد الناظر: ص٣٥٥.

(٣) - «صحيح البخاري»: ج٤ ص٢٠٧.

(٤) - «مسألة الإمامة» لمحسن عبد الناظر: ص٣٥٤.

ومنها: إنّه يموت على غير الإسلام برواية عبد الله بن الّذي قال: سمعت رسول الله يقول: يطّلع عليكم رجلٌ يموت على غير سنّتي، فطلع معاوية. ويؤكّد قوله ﷺ: «من قاتل عليّاً على الخلافة فاقتلوه كائناً من كان»[1].

ومنها: إنّه رأس الفئة الباغية الّتي قتلت عمّاراً.

ومنها: إنّه ابن من قاد الحروب ضد الرّسول الأعظم ﷺ، وإنّه ابن آكلة الأكباد.

ومنها: إنّه شرب الخمر وهو يحكم باسم الإسلام.

ومنها: دسّه السّم بالعسل لقتل الأولياء والصّلحاء وقوله المشهور: «إنّ لله جنوداً من عسل معروف».

ومنها: جمعه اللصوص وقطّاع الطّرق، ومدّهم بالقوّة والسّلاح، للسّلب والنّهب وقتل النّساء والأطفال، وإحراق البيوت على أهلها.

ومنها: كرهه الشّديد لأهل الحق والعدل.

ومنها: إعلانه السّبّ واللعن لأولياء الله.

ومنها: تحويله الخلافة إلى وراثة. وغيرها من المناكر والكبائر الّتي ارتكبها وجاهر بها وأصرّ عليها. فهذا العصر كان عصر وضع الأحاديث في فضائل الصّحابة وتنكيل وتقتيل شيعة علي بن أبي طالب.

قال ابن أبي الحديد: «استعمل معاوية زياد بن سميّة على العراق، فكان يتتبّع الشّيعة، وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وصلبهم على جذوع النّخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عمّاله في

---

(1) - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٦، طبع مؤسسة الأعلمي بيروت.

جميع الآفاق أن لا يجزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والّذين يردّدون فضائله، فأدنوا مجالسهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروي رجل منهم واسمه واسم أبيه، ففعلوا حتّى أكثروا في فضائل عثمان، لما كان يبعثه إليهم معاوية من المال والحباء والقطائع، ويفيضه العرب والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدّنيا، ولبثوا بذلك ثم كتب معاوية إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا النّاس إلى الرّواية في فضائل الصّحابة والخلفاء، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد في أبي تراب «علي بن أبي طالب» إلاّ وأتوني بنظير له في الصّحابة مفتعلة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني».

نعم، قتل وسجن ونهب وهدم وكذب على الله ورسوله، كلّ ذلك أحبّ إلى قلب معاوية وأقرّ لعينه من العدل والصّدق على الله ورسوله. ولا سبب لذلك إلاّ واحد من أمرين: إمّا حبّ الشّرّ للشرّ، والكذب للكذب، وإمّا البغض لنبوته، والكره لأهل البيت، لأنّهم أهل البيت. وهنا أمرٌ ثالث وهو اجتهاد معاوية، كما قال من يتولّى معاوية كابن حجر الهيثمي، حيث قال: إنّ طلحة والزّبير ومعاوية ومن معهم اجتهدوا وقلّدهم آخرون في محاربة علي، فهم متأوّلون في الحروب الدّامية، إلى أن قال: إنّ هذه الحروب الدّامية لا تضرّ بعدالتّهم[1]، ثمّ ما هو المعروف في المجتهد أنّ للمصيب أجرين وللمخطئ أجراً واحداً، يوجب أن يكون لمعاوية في كلّ قتل مؤمن وسجنه وسبّه أجر واحد، لو لم يكن له في ذلك أجران.

---

[1] - راجع «الصواعق المحرقة»: ص٨١ الطبعة الجديدة.

وحاصل البحث : إنّ الدّور الثّاني هو عصر وضع الأحاديث وعصر التّأويل والاجتهاد ، لا الاجتهاد بمعنى بذل الجهد في استنباط الأحكام الشّرعية من الكتاب والسّنّة ، بل الاجتهاد بمعنى بذل الجهد في قتل الأبرياء والصّلحاء ووضع الأكاذيب على الله ورسوله .

والأخبار الموضوعة في حقّ الخلفاء الثّلاثة بلغت من الكثرة على حدّ الشّياع ، حتّى انتقلت إلى الّذين لا يستحلّون الكذب ، فتديّنوا بها وصنّفوها في كتبهم ، وضبطوها وأفتوا بها ، واستمرّت هذه الحالة في جميع الأعصار خلفاً بعد سلف .

الدّور الثّالث : وهو عصر الاجتهاد في الدّولة العبّاسية ، وقد ظهر فيه كثير من المجتهدين الّذين كانوا على خطّ الصّحابة ، ووضعوا للاجتهاد أصولاً وقواعد يجري عليها المجتهد في استنباط الأحكام .

وقد تعدّدت المذاهب الفقهية ، وكثر الاختلاف بين أصحابها ، وظهرت في أتباع الصّحابة ومدرستهم بعد فترة الخلافة الرّاشدة على زعمهم إلى ٢٤١ هجرية مذاهب كثيرة اشتهرت ، وكان لها أتباع يعملون بها . والسّبب لنشوء المذاهب هو أنّه أصبح النّشاط العلمي واسع النّطاق فكان في كلّ بلد إمام له مذهب ينسب إليه ، إلاّ أنّه لم يكتب البقاء لأكثرها واعتراها الانقراض ، كمذهب الشّعبي ، ومذهب الحسن البصري ، ومذهب الأعمش ، ومذهب الأوزاعي ، ومذهب سفيان الثّوري ، ومذهب الليث ، ومذهب إسحاق ، ومذهب أبي ثور ، ومذهب داود الظّاهري وغيرها . فلم يبق لأهل السّنّة إلاّ المذاهب الأربعة : الحنفي والمالكي والشّافعي والحنبلي . أمّا أتباع آل البيت فكانوا على مذهب واحد ، وهو مذهب الرّسول الأعظم عن طريق أهل

البيتﷺ، حيث بقيت آراؤهم ومعتقداتهم في احكام الدّين أقوى من أن تلين للسياسة وتدخّلات الولاة والأمراء.

ومن يتتبّع التّاريخ يعلم بوضوح أنّ لسياسة الوقت وتدخّلات الولاة والأمراء دوراً كبيراً في محو أكثر المذاهب من صفحة الوجود وإثبات المذاهب الأربعة. ويؤكّد على ذلك أنّ رؤساء المذاهب البائدة أكثرهم كانوا أعلم من رؤساء المذاهب الأربعة الباقية. وهذا سفيان الثّوري لقّبوه بأمير المؤمنين في الحديث وسيّد الحفّاظ، وقال القحطان: «الثّوري أحبّ إليّ من مالك». فلماذا ترك أهل السنّة مذهبه وأخذوا بمذهب أبي حنيفة؟! مع أنّ أبا حنيفة من أهل كابل في أفغانستان. قال مؤلّف كتاب «المائة الأوائل من الرّجال»[1]: إنّ أبا حنيفة ينتمي إلى أسرة تعود أصولها إلى «كابل». فلماذا تركوا مذهب أهل البيت مع أنّهم من أشرف بيوت العرب، وأخذوا بمذهب أبي حنيفة وهو من «أفغانستان» وكذلك جعلوا البخاري من أئمّة الحديث وهو من «بخارى»، وكانت في ذلك العصر جزءاً من «أفغانستان»؟ فما هو في بعض الكتب من أنّ مذهب الشّيعة مذهب فارسي ليس إلاّ تغطيةً للحقائق بالأباطيل، بل مذهب الشّيعة هو مذهبٌ عربيٌ بحت، إذ رئيس مذهبهم هو من آل بيت الرّسول الأعظم. ولكن مذهب أهل السنّة في الفقه الّذي هو أكثر انتشاراً بينهم، ينتمي إلى رجل فارسي وهو أبو حنيفة، ومذهبهم في الحديث والأكثر وثوقاً عندهم أيضاً ينتمي إلى رجل فارسي وهو مؤلّف «صحيح البخاري». بل كان أغلب علمائهم من الفرس كالبخاري والتّرمذي والنّسائي وابن ماجة والرّازي والقاضي البيضاوي وغيرهم.

---

[1] - راجع «المائة الأوائل من الرجال»: ص٤١٩.

وليس ذلك كلّه إلاّ لأسباب سياسيّة وهي أنّ دعوة العبّاسيين كانت قائمة على أساس الانتماء إلى النّبي ﷺ وأنّهم سلالة البيت النّبوي، فهم أحقّ بالأمر من بني أميّة خصوم الإسلام وأعداء محمّد ﷺ.

وبالطّبع إنّهم يقيمون على أطلال تلك الدّولة الأمويّة المتّهمة بمخالفة الدّين، دولة ذات صبغة دينية، ويحاولون أن يظهروا الاتّصال الوثيق بين الدّين والدّولة، ليكوّنوا من أحكام الشّريعة الإسلامية دستوراً ونظاماً تسير الدّولة عليه سيراً صورياً، فقرّبوا العلماء واتّصلوا بهم اتّصالاً وثيقاً، وآثروا نشر العلم، وجعلوا القضاء بيد أهل الرّأي والاجتهاد من أهل العراق في مقابل آل بيت الرّسول ﷺ.

والسّبب في بقاء المذاهب الثّلاثة: وهي مذهب ابن حنبل والشّافعي ومالك: أنّ أصحابها كانوا متعاونين مع حكّام الجور بما هو المعروف من فتواهم من أنّه «يجب الصبّر عند جور الحاكم»[1].

يذكر مؤلّف كتاب«الأئمّة الأربعة» مواقف انحراف مالك ويقول: «فمن تلك المواقف الّتي نسبت إلى مالك ورأى فيها معاصر له أنّها انحراف عن الجادّة، ما روي من أنّ والي المدينة قد حبس أحد القرشيين لجرم اقترفه، فبعث يشكو إلى المنصور -وهو قريبه- ضيق سجنه وسوء معاملته، فارسل الخليفة رسولاً إلى المدينة، كي يجمع بعض علمائها ليزوروا القرشي في سجنه ويكتبوا إليه عن حاله، واتّجه إلى الحبس عدد من العلماء وأدخلوا على السّجين، وكان منهم مالك وابن أبي ذئب وابن أبي سبرة وآخرون، وكان

---

[1] - «المذاهب الإسلامية» للشيخ أبو زهرة: ص١٥٥، المطبعة النموذجية. ،

الوالي قبل ذهاب العلماء إلى الحبس قد حلّ وثاق السّجين وألبسه ثياباً مناسبة، وكلّف من كنس المكان ورشّه.

فلمّا دخل العلماء ورأوا من حال السّجين ما رأوا قال رسول الخليفة: اكتبوا إلى أمير المؤمنين بما رايتم، وما إن بدؤوا في الكتابة حتّى قال ابن أبي ذئب: لا تكتبوا شهادتي وإنّما سأكتبها بيدي، وبعد أن فرغ العلماء من كتابة ما رأوا ألقوا الرّسالة إلى ابن ذئب ليقرأها فوجدهم قد كتبوا: رأينا محبساً ليناً وهيئة حسنة إلى غير ذلك من الحال الّتي رأوا عليها السّجن والسّجين فالتفت ابن أبي ذئب إلى مالك وقال: يا مالك داهنت وملت مع الهوى، لكن اكتب: رأيت محبساً ضيّقاً وأمراً شديداً»[١]. وممّا يؤكّد على اتّصال مالك بالخلفاء العبّاسيين: «إنّهم يطلبون مالكاً ليعلّم أولادهم»[٢]. وأنّ المهدي زار مالكاً في بيته في المدينة، ولم تجر عادة الخلفاء بزيارة غير الرّسميين من الرّعية في بيوتهم»[٣].

ولقد بعث الخليفة المهدي إلى مالك بألفين من الدّنانير، وفي رواية ثلاثة آلاف، وطلب إليه أن يركب إلى دار السّلام، فرفض أن يقبل المال ورفض أن يركب إلى بغداد، فما هي إلاّ شهور قليلة مضت حتّى بعث إليه المهدي بستة آلاف. وهنا يقول مالك للجالسين حوله مشيراً إلى المنحة الّتي رفضها: «من ترك شيئاً لله عوّضه الله عمّا ترك»[٤].

---

(١) - «الأئمّة الأربعة»: ص٣٥٤.

(٢) - «الأئمّة الأربعة»: ص٣٣٦.

(٣) - «الأئمّة الأربعة»: ص٣٣٧.

(٤) - «الأئمّة الأربعة»: ص٣٣٣.

أمّا ابن حنبل فكان أكثر تعاوناً مع الخلفاء العبّاسيين إنّه كان يقول: «الأئمّة من قريش، ويعين على إمامة ولد العبّاس. ويقول: العبّاس أبو الخلفاء»[1].

والشّافعي يرى الإمامة في قريش دون تعيين بطن بعينها من بطونها، فيستوي في ذلك الهاشميّون والأمويّون وغير الهاشميّين وغير الأمويّين[2].

وملخّص الكلام أن لاتّصال أصحاب المذاهب الثّلاثة من قريب أو بعيد بالخلفاء العبّاسيّين وفتواهم بوجوب الصّبر عند جور الحاكم دوراً كبيراً في نشر مذاهبهم وبقائها.

وأمّا المذهب الحنفي -يقال لأصحابه أهل الرّأي- فأقوى عوامل انتشاره هو أبو سيف صاحب أبي حنيفة وسلطته التّنفيذيّة يومذاك، وبتوليته منصب القضاء استطاع نشر المذهب الحنفي. وولي أبو سيف رئاسة القضاء العامّة في عهد الرّشيد سنة ١٧٠هـ، فلم يكن يولي بلاد العراق وخراسان والشّام ومصر إلى أقصى عمّال أفريقيّة إلاّ من أشار به، وكان لا يولي إلاّ أصحابه والمنتسبين إلى مذهبه فلم يقلّد في تلك البلاد إلاّ من أشار به القاضي أبو سيف. وبمقتضى أنّ النّاس على دين ملوكهم، فاضطرّت العامّة إلى أحكامهم وفتاواهم، وانتشر المذهب الحنفي في البلاد انتشاراً عظيماً.

ولم يزل هذا المذهب غالباً على هذه البلاد حتّى تبدّلت الأحوال وزاحمته المذاهب الثّلاثة فأخذ كلٌّ نصيبه في البلاد الإسلاميّة.

وأمّا مذهب أهل البيت فبقي صامداً على حقيقته، ورغم أنّ عقيدة الشّيعة حوربت بكلّ سلاح منذ اليوم الأول لتكوينها إلى يومنا هذا. وقد تظافرت

---

[1] - «الأئمّة الأربعة»: ص٧٩٢. .

[2] - «الأئمّة الأربعة»: ص٥٣٣.

جميع قوى الشّر على الشّيعة، وصمّمت على سحقهم وإبادتهم بالقوّة والسّطوة، وبعد أن ضربوا ضربات قاسيةً ومميتة، فذبحوا وحرّقوا أحياءً بقصد القمع والاستئصال من الجذور، ومع ذلك كلّه نجدهم اليوم وقبل اليوم منتشرين في كلّ بقعة من بُقع الأرض، وليس ذلك إلاّ لشدّة ولائهم لأهل البيت وإخلاصهم لشريعة سيّد المرسلين.

فصمدوا في مقابل قوى الشّر طوال مئات السّنين، وهذا الصّمود بالرّغم من عوامل الإفناء والإبادة يرجع إلى شدّة التزامهم بمبادئ الإسلام وأحكام القرآن ومقاصد السّنّة النّبويّة وبيان الحقّ وامتيازه عن الباطل ولكن من دون اجتهاد أصلاً، لأنّ أهل البيت ﷺ يعلمون الحقائق بلا حاجة إلى الاجتهاد.

نعم، الشّيعة فتحوا باب الاجتهاد بعد غيبة إمام عصرهم ﷺ.

ولكنّ أهل السّنّة سدّوا باب الاجتهاد بعد أئمّتهم، فهم يقلّدون الأموات، ولعلّ لسياسة الوقت دورٌ لسدّ باب الاجتهاد، ولئلاّ يوجد هناك من يفتي ويحكم على القيام ضدّ حكّام الجور، كما أفتى علماء الشّيعة بذلك على طول الزّمان.

ويؤكّد على ذلك نجاح الشّعب الإيراني على الشّاه العميل للغرب بقيادة العلماء على رأسهم الإمام الخميني، ونجاح انتفاضة الشّعب الأفغاني على النّظام الشّيوعي في أفغانستان بقيادة العلماء، منهم آية الله الشّيخ محمّد آصف المحسني، وآية الله الشّيخ قربان المحقّق (دام بقاؤهما).

وينتج هذا البحث أنّ مذهب الشّيعة هو مذهب الرّسول الأعظم، لأنّ أهل البيت ﷺ كانوا ثابتين على خطّ جدّهم النّبيّ ﷺ، وهذا بخلاف المذاهب

الأربعة من أهل السنّة، فهي مذاهب طارئة أولدتها وأوجدتها الظّروف السّياسيّة.

المقارنة السّادسة: هي المقارنة بين الاثني عشر المبشّرين إلى الجنّة عند الشّيعة وبين العشرة المبشّرة بالجنّة عند أهل السنّة:

وأمّا الاثني عشر المبشّرون إلى الجنّة، فهم آل بيت النّبوّة والأئمّة الأبرار الّذين يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾**[1].

وهم الأئمّة الأبرار الّذين هم في النّعيم على الأرائك ينظرون، كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ• عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾**[2].

فالاثني عشر المبشّرون إلى الجنّة هم الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، كما قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[3]، وهم الّذين أوجب الله مودّتهم وجعلها أمراً لتبليغ الرّسالة حيث قال تعالى: **﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**[4]، أي قل يا محمّد: لا أسألكم على تبليغ الرّسالة **﴿أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** وهم الأئمّة الهدى الّذين يبشّرون النّاس إلى الجنّة بأقوالهم وأعمالهم. هذا علي بن أبي طالب الّذي لم يسجّل التّاريخ لأحد من الخلق بعد الرسولﷺ من الفضائل والمناقب والسّوابق ما سجّل لعليّ بن أبي طالب. وكيف تحصى

---

[1] - سورة الدّهر: ٥.

[2] - سورة المطفّفين: ٢٢.

[3] - سورة الأحزاب: ٣٣.

[4] - سورة الشّورى: ٢٣.

مناقب رجلٍ كانت ضربته لعمرو بن عبد وُدّ العامري يوم الخندق تعدل عبادة الثّقلين؟ وكيف تعدّ فضائل رجلٍ أسرّ أولياؤه مناقبه خوفاً، وكتمها أعداؤه حقداً، ومع ذلك شاع منها ما ملأ الخافقين؟ وهو الّذي لو اجتمع النّاس على حبّه -كما يقول الرّسول الأعظم ﷺ- لما خلق الله النّار، وهو الّذي ولد في جوف الكعبة ولم يُولد في الكعبة ولم يُولد بها أحد قبله ولا بعده، وهو الّذي قال ابن عبّاس فيه: لو أنّ الشّجر أقلامٌ والبحر مدادٌ، والإنس والجنّ كتّابٌ وحسّابٌ ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. ومن كلامه عليه السلام: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**.

ومن كلامه عليه السلام: **«بئس الزّاد إلى المعاد العدوان على العباد»**.

ومن كلامه عليه السلام: **«مرارة الدّنيا حلاوة الآخرة وحلاوة الدّنيا مرارة الآخرة»**.

ومن كلامه عليه السلام: **«اتّقوا معاصي الله في الخلوات، فإنّ الشّاهد هو الحاكم»**.

ومن دعائه عليه السلام: **«اللهمّ طهّر لساني من الكذب، وقلبي من النّفاق، وعملي من الرّياء، وبصري من الخيانة، فإنّك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور»**.

وهذا الإمام الحسن بن علي عليه السلام: الّذي قال فيه الرّسول ﷺ: **«حسن سبط من الأسباط»**. ومن وصيّة له عليه السلام: **«يابن آدم عفّ عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسّم الله تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب النّاس بمثل ما تحبّ أن يصاحبوك به تكن عدلاً، إنّه كان بين**

أيديكم أقوامٌ يجمعون كثيراً، ويبنون مشيّداً ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً.

يابن آدم إنّك لم تزل في هدم من عمرك منذ سقطت من بطن أمّك، فخذ ممّا في يديك لما بين يديك، فإنّ المؤمن يتزوّد والكافر يتمتّع».

ومن حكمه عليه السلام: «هلاك المرء في ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدّين، وبه لعن إبليس، والحرص عدوّ النّفس، وبه أخرج آدم من الجنّة، والحسد رائد السّوء، ومنه قتل قابيل هابيل».

وهذا الإمام الحسين عليه السلام الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: «حسين سبط من الأسباط من أحبّني فليحبّ حسيناً».

ومن وصيّة له عليه السلام: «إيّاك وما تعتذر منه، فإنّ المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كلّ يوم يسيء ويعتذر».

ومن وصيّة له عليه السلام لولده علي بن الحسين عليه السلام: «يا بنيّ إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله جلّ عزّه».

ومن حكمه عليه السلام: «من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو، وأسرع لمجيء ما يحذر».

ومن خطبة له عليه السلام: «ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظّالمين إلاّ برماً، إنّ النّاس عبيد الدّنيا والدّين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون».

ومن كلامه ﷺ: «**أيّها النّاس إنّ رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله**».

نعم، كيف لا يكون مبشّراً إلى الجنّة وهو سيّد شباب أهل الجنّة. قال رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة**».

ومجمل الكلام إنّ أحاديث الرّسول في الأئمّة الاثني عشر متواترةٌ بشكل عجيب وليس من المبالغة لو قيل بأنّها لا تقل عن الأحاديث الواردة في الصّلاة والصّوم مثلاً. فالمبشّرون إلى الجنّة بعد الرّسول الأعظم هم الأئمّة الاثني عشر من أهل بيت الرسول ﷺ، وتركنا طول الكلام رعايةً للاختصار.

أمّا العشرة المبشّرة بالجنّة عند أهل السّنّة فهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزّبير، وسعد بن أبي وقّاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرّحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرّاح.

وحديث بشارة العشرة بالجنّة أنّه قد جاء في «الرّياض النّضرة في المناقب العشرة» عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: دخل رسول الله ﷺ منزل عائشة (رضي الله عنها) فقال: يا عائشة ألا أبشّرك؟! فقالت: بلى يا رسول الله... قال: : أبوك في الجنّة ورفيقه إبراهيم، وعمر في الجنّة ورفيقه نوح، وعثمان في الجنّة ورفيقه أنا، وعليّ في الجنّة ورفيقه يحيى بن زكريّا، وطلحة في الجنّة ورفيقه داود، والزّبير في الجنّة ورفيقه إسماعيل، وسعد بن وقّاص في الجنّة ورفيقه سليمان، وسعيد بن زيد في الجنّة ورفيقه موسى بن عمران، وعبد

الرّحمن بن عوف في الجنّة ورفيقه عيسى بن مريم، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّة ورفيقه إدريس عليه السلام[١].

ونقلنا الحديث المذكور عن كتاب «العشرة المبشّرة بالجنّة». ومن المعلوم أنّ هذا الكتاب من أهل السّنّة إنّما هو في مقابل كتاب «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى». فحديث بشارة العشرة بالجنّة من الأحاديث الموضوعة في مقابل أحاديث بشارة شيعة عليّ بالجنّة.

فإنّ الأحاديث النّبويّة عند الفريقين صريحة في بشارة شيعة عليّ بالجنّة.

منها: ما ذكره ابن حجر في «الصّواعق المحرقة» من أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: **«يا علي إنّك ستقدّم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدّم عليه عدوّك غضباناً مقمحين»**[٢].

ومنها: ما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر الشّافعي في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام: من أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال لعليّ: **«أنت وشيعتك في الجنّة»**[٣]، وأيضاً إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله نظر إلى عليّ فقال صلى الله عليه وآله: **«هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»**[٤].

---

[١]- «العشرة المبشّرون إلى الجنّة»، تأليف عبد اللطيف عاشور: ص٥.

[٢]- «الصّواعق المحرقة»: ص١٨٣ الطّبع الجديد.

[٣]- «تاريخ دمشق»: ج٢ ص٣٤٥.

[٤]- «تاريخ دمشق»: ص٣٤٨.

ومنها: ما رواه الحافظ الحسكاني الحنفي في »شواهد التنزيل«: عن ابن عبّاس من أنّه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: **﴿السّابِقُونَ السّابِقُونَ * أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾**[1]، قال ﷺ: **«ذاك عليّ وشيعته في الجنّة»**[2].

فمعنى الآية أنّ عليّاً وشيعته هم السّابقون إلى الجنّة، وهم المقرّبون عند الله. فهذه الأحاديث المتواترة تؤكّد على بشارة شيعة عليّ بالجنّة، ولذا قال ابن حجر الهيثمي، وهو من أعداء الشّيعة: إنّ شيعة عليّ هم أهل السّنّة. وهذا الكلام منه ليس إلاّ تغطيةً للحقائق، لأنّ أهل السّنّة هم شيعة أبي بكر وعمر وعثمان، وليسوا شيعةً لعليّ بن أبي طالب ﷺ، لأنّ الشّيعة بالمعنى اللّغوي هم الأتباع والأنصار، ومعلوم بالبداهة أنّ أهل السّنّة هم أتباع وأنصار عمر بن الخطّاب إلى يومنا هذا، حيث يلتزمون بما أحدثه من البدع، كصلاة التّراويح في شهر رمضان المبارك، وإسقاط «حيّ على خير العمل» من الأذان، وغيرهما ممّا أحدثه عمر بن الخطّاب في الإسلام.

وفي «صحيح البخاري»: قال النّبيّ ﷺ: **«أنا فرطكم على الحوض ليرفعنّ إليّ رجالٌ منكم حتّى إذا هويتُ لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول أي ربّي أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[3]. ومن المعلوم بالضّرورة أنّ علي بن أبي طالب لم يحدث شيئاً بعد النّبيّ ﷺ، وكان مائة بالمائة على خطّ النّبيّ ﷺ وأنّه رفض البيعة حينما قال له عبد الرّحمن بن عوف: «يا عليّ، أمدد يدك لأبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وسيرة الشّيخين»

---

[1]- سورة الواقعة: ١٠-١١.

[2]- «شواهد التّنزيل»: ج٢ ص٢١٥.

[3]- «صحيح البخاري»: ج٨ كتاب الفتن ص٨٧.

فقال علي عليه السلام : أمّا كتاب الله وسنّة الرّسول ، فنعم ، وأمّا سيرة الشّيخين فلا .

ويؤكّد على كذب حديث بشارة العشرة أمور :

الأوّل : إنّ الحديث المزبور يستدعي أن يكون كلّ واحد من العشرة رفيقاً لنبيٍّ من الأنبياء في الجنّة ، فيكون كلّ واحد من العشرة في مرتبة نبيٍّ من الأنبياء ، وهذا ممّا تكذّبه الضرورة الدّينيّة ، لأنّ الأنبياء باعتبار كونهم معصومين بالإجماع لهم في الجنّة مراتب عاليةٌ خاصّةٌ بهم ، ولا تتصوّر تلك المراتب لغيرهم من الصّالحين فضلاً عن الظّالمين والفاسقين .

فكيف يقبل الوجدان الحيّ أن يكون أبو بكر رفيق إبراهيم في الجنّة وهو قد ظلم فاطمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله في منعه حقّها وميراثها عن أبيها ، وقد أغضبها وأسخطها وأذاها ، وهو قد سمع عن رسول الله في حقّ فاطمة الزّهراء غير مرّة أنّه صلى الله عليه وآله يقول : «**فاطمة بضعةٌ منّي ، فمن أغضبها فقد أغضبني**»[1] .

ويقول صلى الله عليه وآله : «**يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[2] ، ويقول : «**رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبّ ابنتي فاطمة فقد أحبّني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني**»[3] .

وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : «**يا سلمان من أحبّ فاطمة ابنتي فهو في الجنّة معي ومن أبغضها فهو في النّار**»[4] .

---

(١)- «مطالب السّؤول» : ص٢١ ، طبع الهند .

(٢)- «أخبار الدّول» : ص٨٧ ، طبع بغداد عام ١٩٨٢ .

(٣)- «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة : ج١ ص١٤ .

(٤)- «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي : ج٢ ص٦٧ .

«يا سلمان ويلٌ لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين عليّاً، وويلٌ لمن يظلم ذرّيتها وشيعتها»[٢]. ثمّ ما تقدّم في أبي بكر يأتي في عمر بن الخطّاب، بل ظلمه لفاطمة وعليّ أشدّ من ظلم زميله أبي بكر، فإنّ عمر بن الخطّاب قد هدّد بإحراق بيت فاطمة وقتل بعلها عليّ، فلا يمكن أن يكون في الجنّة ورفيقه نوح.

ويؤكّد على ظلمهما لفاطمة ﷺ أنّها ماتت وأوصت عليّاً ﷺ بدفنها ليلاً، كي لا يحضر أبو بكر وعمر في تشييع جنازتها والصّلاة عليها ودفنها، وفي ذلك إعلان لشدّة غضبها وسخطها عليهما.

ويؤكّد على ظلمهما لعليّ بن أبي طالب ﷺ أنّهما اتّفقا في قضيّة الخلافة على صرفها عن عليّ بن أبي طالب، فقد استحوذ على إمرة المؤمنين غصباً بعد تدبير محكم دقيق ومن وراء الظّهور والأبواب.

وهذا التّدبير يرجع إلى ما قبل موعد اجتماع السّقيفة، وقبل وفاة رسول الله ﷺ وكان معهما أبو عبيدة بن الجرّاح، فيرسم الرّجال الثّلاثة كطلاّب سيادة، ما أن تسنح لهم الفرصة الّتي ترقّبوها حتّى يلفقوا الإمرة المنتظرة، ليتداولوها من بعد تباعاً، كلّ واحد بميقات. وليس ذلك مجرّد كلمات قيلت أو تقال أو مجرّد ادّعاء، بل أقوال جسدتها أفعال، وهي صورة تهديد عمر للقائلين بالوفاة، وإحداث ما كان يوم الدّواة والصّحيفة، وطريقة اختلاس الخلافة في غفلة من آل البيت[٣].

وأمّا عثمان فلا يعقل أن يكون رفيقاً لنبيّنا محمّد ﷺ في الجنّة، وهو مطعون بالإجماع، ونبيّنا إنّما هو أشرف الأنبياء. ويكفي في طعن عثمان أنّه أسرف في

---

(١)- «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: ج٢ص٦٧.

(٢)- «فرائد السّمطين»: ج٢ص٦٧.

(٣)- من أراد التّفصيل فليراجع كتاب «السّقيفة والخلافة» لعبد الفتّاح عبد المقصود: ص٢٤٦.

الإنفاق وهدر أموال بيت المال، وأنّه قد حبس عبد الله بن مسعود وأبا ذر الغفاري ونفاهما إلى الرّبذة، وحبس عطاءهما حتّى ماتا، وأنّه سبّ عمّاراً ووطئه حتّى أغمي عليه[1]، وأنّه أعاد الحكم بن العاص وأهله إلى المدينة، وكان النّبيّ ﷺ قد طردهم وأخرجهم منها إخراجاً عنيفاً. والحكم بن العاص، وإن أسلم بعد فتح مكّة، ولكنّ إسلامه لم يكن إلاّ جُنّة يتّقى بها الموت. وآية ذلك أنّه ظلّ يؤذي رسول الله ﷺ بقوله وفعله، فكان يسعى وراءه ويغمزه ويقلّد حركاته ساخراً منه، فأخرجه النّبيّ ﷺ من المدينة، وقال ﷺ «**لا يساكنني فيها أبداً**». وقد شفع عثمان عند النّبيّ ﷺ في إعادته فلم يعده، وطلب ذلك إلى أبي بكر فأبى عليه، وطلب ذلك إلى عمر فلم يكتف بالرّفض، وإنّما زجر عثمان، وحرّج عليه ألاّ يعاوده في أمر الحكم مرّة أخرى.

فلمّا استخلف عثمان أعاد الحكم إلى المدينة، فأنكر المسلمون ذلك وأعلام الصّحابة قد لاموه فيه.

ثمّ لم يقف عثمان عند هذا الحدّ، وإنّما أعطى الحارث مالاً كثيراً، ثمّ اختصّ عثمان بمروان بن الحكم، فأعطاه وحباه واتّخذه لنفسه وزيراً ومشيراً، فدلّ هذا كلّه على أنّ عثمان لم يدع الحكم وبيته إلى المدينة رقّة لهم وعطفاً عليهم فحسب، وإنّما دعاهم أيضاً ليكونوا له عدّة وأعواناً[2].

---

[1]- «كواكب الإسلام» تأليف الدكتور علي شلق: ج٤ ص٧٦.

[2]- «الفتنة الكبرى» تأليف طه حسين: ج١ ص١٨٤.

فعثمان هو الّذي اتّخذ أعداء النّبيّ ﷺ أعواناً، وقد حبس ونفي وسبّ أولئك كانوا أعواناً للنّبيّ ﷺ. فكيف يعقل أن يكون عثمان رفيقاً للنّبيّ في الجنّة وقد اتّخذ ولد الحكم أعواناً وهم ملعونون؟[١].

فعثمان عدوٌّ للنّبيّ ﷺ، كما قال عليّ عليه السلام: «**أصدقاؤك ثلاثةٌ: صديقك وصديق صديقك وعدوّ عدوّك، وأعداؤك ثلاثةٌ: عدوّك وعدوّ صديقك، وصديق عدوّك**»[٢]، فهذه الرّواية تؤكّد على كون عثمان عدوّاً للنّبيّ ﷺ لأنّه صديق عدوّ النّبيّ ﷺ فكيف يكون رفيق النّبيّ في الجنّة.

وأمّا طلحة والزّبير فهما من النّاكثين والباغين، فلا يعقل أن يكونا من المبشّرين بالجنّة، فضلاً عن كون طلحة رفيقاً لداود، والزّبير رفيقاً لإسماعيل، وهما من الأنبياء. كيف يمكن أن يكون الفسّاق في الجنّة مع الأنبياء؟!! ثمّ كونهما من النّاكثين أظهر من الشّمس لمن له أدنى خبرة في التّاريخ[٣].

وأمّا كونهما من الباغين فقد خرجا مع أمّ المؤمنين لقتال عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد جمعا النّاس لهذا الغرض، فأشعلا نار الحرب بقيادة أمّ المؤمنين طالبين دم عثمان، مع أنّهم كانوا يحرّضون على قتل عثمان. فهؤلاء أبغض النّاس إلى الله تعالى. إذ قال النّبيّ ﷺ: «**أبغض النّاس إلى الله ثلاثةٌ: مُلحدٌ في الحرم ومبتغٍ في الإسلام سنّة الجاهلية، ومُطّلب دم امرئ بغير حقّ**»[٤].

---

[١]- «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ص٦، الطّبع الجديد بيروت.

[٢]- نفس المصدر السّابق.

[٣]- كلّ من له التّردّد في ذلك فعليه أن يرجع إلى «الفتنة الكبرى» تأليف طه حسين الكاتب المصري المعروف: ج٢ ص٣١، وكتاب «عليّ بن أبي طالب» تأليف عبد الكريم الخطيب وهو من أهل السّنّة: ص٣٤١.

[٤]- «صحيح البخاري»: ج٨ص٣٩.

وهؤلاء قد ابتغوا سنّة الجاهلية في الإسلام، إذ من سنّة الجاهلية هي إشعال نار الحرب وإلقاء العداوة والبغضاء بين النّاس. فهم أشعلوا نار الحرب وألقوا العداوة والبغضاء بين الأصحاب وأتباع الرّسول الذّين استجابوا لدعوته وجاهدوا بين يديه لإعلاء كلمة الإسلام، حتّى تفرّقت كلمة المسلمين إلى شيع وأحزاب يقتل بعضهم بعضاً، فطلحة والزّبير أبغض النّاس إلى الله، فكيف يعقل أن يكونا من المبشّرين بالجنّة"؟ وأضف إلى ما ذكرنا أنّهما من أعداء عليّ بن أبي طالب ﷺ، فهما في النّار بمقتضى قول النّبيّ ﷺ: **«يا عليّ أنت وأتباعك في الجنّة وعدوّك والغالي فيك في النّار»**[1].

نعم، أقرب النّاس إلى نبيّنا محمّد ﷺ في الجنّة هو عليّ بن أبي طالب ﷺ، كما يؤكّد على ذلك ما عن الإمام الباقر محمّد بن علي عن آبائه ﷺ، أنّه سئل رسول الله ﷺ عن خير النّاس فقال: **«خيرها وأتقاها وأفضلها وأقربها إلى الجنّة أقربها منّي، ولا أقرب ولا أتقى من عليّ بن أبي طالب»**[2]، فكيف يعقل أن يكون عثمان مع نبيّنا محمّد في الجنّة، وهو مطعونٌ عند أكثر أهل السنّة؟!

عن سالم بن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله اتّخذني خليلاً، كما اتّخذ إبراهيم خليلاً، فقصري وقصر إبراهيم في الجنّة متقابلان، وقصر عليّ بن أبي طالب ﷺ بين قصري وقصر إبراهيم، فيا له من حبيب بين خليلين»**[3].

فينتج ما ذكرنا في الأمر الأوّل أنّ حديث بشارة العشرة بالجنّة حديث موضوع، وضعه أعداء أهل البيت وشيعتهم.

---

[1]- «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج١ ص١٠٩.

[2]- «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٧١، الطّبع الجديد بيروت.

[3]- «فرائد السّمطين» للجويني الشّافعي: ج١ ص١١٢.

الثّاني: إنّه لا حاجة إلى هذا الحديث بعدما جاء في الكتاب العزيز من البشارة بالجنّة لكلّ من آمن بالله وعمل عملاً صالحاً فالبشارة تختصّ بالمؤمنين والأبرار كقوله تعالى **﴿إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الفُجّارَ لَفِي جحيم﴾**[1]. وقوله تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ﴾**[2].

وقوله عزّ وجلّ: **﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ﴾**[3].

وقوله سبحانه: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ﴾**[4].

وقوله تبارك وتعالى: **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ﴾**[5].

وقوله تعالى: **﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ﴾**[6].

فمفاد هذه الآيات أنّ كلّ من يؤمن بالله ويعمل صالحاً مبشّرٌ بالجنّة. وقد تقدّم أنّ المبشّرين بالجنّة حسب أحاديث متواترة من أهل السّنّة هم شيعة عليّ

---

[1]- سورة الانفطار: ١٣.

[2]- سورة البقرة: ٢٥.

[3]- سورة الحجّ: ١٤.

[4]- سورة الفتح: ١٧.

[5]- سورة الطّلاق: ١١.

[6]- سورة التّوبة: ٧٢.

بن أبي طالب عليه السلام. فحديث بشارة العشرة بالجنّة ليس إلاّ تغطيةً للحقائق بوضع الأكاذيب كما هو عادة الخصوم. لأنّ هؤلاء العشرة المبشّرة بالجنّة، إن كانوا مؤمنين حقّاً فهم من آحاد أهل الجنّة كبقيّة المؤمنين من دون حاجة إلى حديث أصلاً.

نعم، هناك أناس من الصّحابة غير هؤلاء العشرة خصّوا بالبشارة بالجنّة بلسان النّبيّ الأعظم ﷺ، منهم عمّار، وقال ﷺ: **«دم عمّار ولحمه حرام على النّار تأكله أو تمسّه»**.

وصحّ عنه ﷺ قوله: **«أبشروا آل ياسر موعدكم الجنّة»**.

وصحّ عنه ﷺ: **«إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعةٍ: علي بن أبي طالب، وعمّار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والمقداد»** وفي رواية: **«اشتاقت الجنّة إلى ثلاثة: إلى علي وعمّار وبلال»**[1]، وقال ﷺ لعليّ: **«أنا أوّل أربعة يدخلون الجنّة: أنا وأنت والحسن والحسين وذراريّنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذراريّنا وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا»**.

وصحّ عنه ﷺ: **«إنّ جعفر بن أبي طالب في الجنّة، له جناحان يطير بهما حيث شاء»**[2].

وبعض الأحاديث النّبوية المتواترة عند أهل السّنّة خصّ علي بن أبي طالب بالبشارة بالجنّة[3].

---

[1] - «الغدير» للأميني: ج١٠ ص١٢٠، وفي «مجمع الزّوائد»: ج٩ ص١٧٤.

[2] - «مجمع الزّاوئد»: ج٩ ص٢٧٢.

[3] - راجع «تذكرة الخواص» لابن الجوزي: ص٥٢، و«تاريخ دمشق ترجمة علي بن أبي طالب» لابن عساكر: ج٢ ص٣١٥.

الثّالث : إنّ بعض الآيات تدلّ على شدّة عذاب من يريد في الأرض فساداً، كقوله تعالى : ﴿إنّما جَزاءُ الّذينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذلكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[١] .

ومن المعلوم أنّ طلحة والزّبير أرادا في الأرض فساداً، إذ هما اللذان قادا جيوش النّكث لقتال سيّد العترة، وأخرجا حبيبة رسول الله ﷺ من عقر دارها، فأشعلوا نار الحرب .

ولقد جمعت حرب الجمل جميع الرّذائل والنّقائص، لأنّها السّبب لضعف المسلمين وإذلالهم، وقد كانت أوّل فتنة ألقت بأس المسلمين فيما بينهم يقتل بعضهم بعضاً. ثمّ الزّبير هو الّذي صحّ فيه عن رسول الله ﷺ قوله له : «تحارب عليّاً وأنت ظالم» فهل المحارب عليّاً وهو ظالمٌ إيّاه مثواه الجنّة؟! ورسول الله يقول : «أنا حربٌ لمن حاربه وسلمٌ لمن سالمه»، كما جاء في الصّحيح الثّابت عند الفريقين .

ونتيجة هذه الأمور هي أنّ حديث بشارة العشرة بالجنّة حديث موضوع، وضعه أعداء أهل البيت، وليس الغرض من وضع هذا الحديث إلاّ تغطيةً لما أحدثه أكثر هؤلاء المبشّرين بالجنّة في الإسلام . ويؤكّد على ذلك أنّه جاء في الحديث النّبوي أنّ محمّداً يرى يوم القيامة أكثر أصحابه وأمّته تدخل النّار، وحين يسأل عن السّبب يقال له : إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى[٢] .

---

[١] - سورة المائدة : ٣٣ .

[٢] - راجع كتاب «الجمع بين الصّحيحين» : ح٢٦٧ ، نقلاً عن «الشّيعة في الميزان» : ص١٦ ، تأليف محمّد جواد مغنية .

ونتيجة هذا البحث أنّ الاثني عشر المبشّرين إلى الجنّة عند الإمامية هم أئمّة المسلمين حقّاً، فلا يقاس بهم العشرة المبشّرة بالجنّة عند أهل السّنّة، لأنّ حديث بشارة العشرة بالجنّة غير ثابت، بل هو موضوع، وضعه أعداء أهل البيت ﷺ.

فحصيلة البحث عن حديث العشرة المبشّرين بالجنّة: إنّه حديث موضوع لم يصدر عن الرّسول وذلك لعدّة أمور:

١ : إنّ هذا الحديث يتصادم ويتعارض مع كوكبة من الأحاديث الصّحيحة:

أ: بالّذي رواه النّسائي بالإسناد الصّحيح في الخصائص عن علي (رضي الله عنه) أنّه قال: «**أمرت بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين**» فالطّلحة والزّبير وعائشة هم من النّاكثين وعليّ ﷺ مأمورٌ بقتالهم وهو على حقٍّ وهم على باطلٍ حسب هذا الحديث فكيف يعقل أن يكون الطّلحة والزّبير من أهل الجنّة وهما على باطل؟!

ب: حديث الرّسول ﷺ للزّبير: «**إنّك لتقاتلنّه وأنت ظالمٌ له**» فهذا ما يخرج الزّبير عن حديث العشرة المبشّرة.

ج: حديث الرّسول لفاطمة ﷺ: «**إنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها**»، وقد ماتت وهي ساخطة على أبي بكر وعمر[1]، وبهذا يخرجان عن الحديث.

د: ما نقله لنا الإمام عبد القاهر التّميمي ممّا اتّفق عليه أصحاب الحديث والجمهور الأعظم من المتكلّمين: «من أنّ عليّاً (كرّم الله وجهه) مصيب في قتاله لأهل صفّين كما هو مصيب في أهل الجمل وإنّ الّذين قاتلوه بغاة ظالمون له،

---

[1] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة: ج١ ص١٤.

لكن لا يكفرون ببغيهم» فإذاً الطّلحة والزّبير من البغاة والظّالمين فهذا ما يخرجهما عن حديث العشرة المبشرة.

هـ: حديث رسول الله ﷺ الّذي يرويه زيد بن ارقم: إنّ رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم» وممّن حارب علياً ﷺ هو الطّلحة والزّبير فيخرجان عن حديث العشرة المبشّرة.

٢: إنّ الّذي روى هذا الحديث هو سعيد بن زيد وهو أحد العشرة المدلول عليهم في الحديث وأنتم تعلمون أنّ من زكّى غيره بتزكية نفسه، لم تثبت تزكيته لمن زكّى في الشّرع الإسلامي، كما أنّ من يشهد بشهادة له كفل فيها، لن تقبل شهادته فيه، وفي القرآن يقول تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[1]، ولا شكّ في عدم قبول شهادة من خالف النّهي الإلهي وعمل بضدّه كما في راوي الحديث «سعيد».

٣: إنّه خبر الواحد وهو لا يكون حجّة.

٤: إنّ العقل يحكم حكماً قطعياً بامتناع القطع بالجنّة والأمان من النّار، لمن يجوز عليه ارتكاب المعاصي، واقتراف الآثام، ولمن ليس معصوماً من الأخطاء، ولا يمتنع عليه فعل السّيئات، لأنّه مع القطع بالجنّة له مع عدم عصمته يكون نشطاً في ارتكاب المعاصي الّتي تدعو إليها الطّبائع من الشّهوات والميول والاتّجاهات اللا شرعيّة، لأنّه حينئذ يكون في أمن من العذاب، ومطمئناً إلى ما أخبر به من حسن عاقبته وأنّه مقطوع له بالثّواب على كل حال.

[1] - سورة النّجم: ٣٢.

ومن المحال العقلي أن يصدر من النّبي ﷺ مثل هذا الحكم القطعي لأناس مجهولي الخاتمة ، ولم تثبت لهم العصمة سوى علي بن أبي طالب عليه السلام لثبوت عصمته .

ولما ثبت باليقين وقوع ما ذكرناه ممّن ليس معصوماً كالصّحابة ، ثبت عدم صدور مثل هذا الحديث من النّبي ﷺ .

٥ : لو كان هذا الحديث صحيحاً فكيف أهمل الخليفة عثمان الاحتجاج به على من حاصره يوم الدّار ، وما الّذي منعه من الاحتجاج به عليهم ، عندما استحلّوا قتله؟ ولماذا لم يقل أنا من أهل الجنان؟ وثبت بالضّرورة من الإسلام حرمة دماء أهل الجنان. ولماذا لم يذكر لهم هذا الحديث؟ بل ولم يذكره غيره من أصحاب النّبي ﷺ لمستحلّي دمه. فليس هذا الحديث إلاّ موضوعاً وضعه أعداء أهل البيت عليهم السلام تغطية لحقّهم.

المقارنة السّابعة : هي المقارنة بين الشّيعة والسّنّة في طريقة نقل السّنّة النّبوية إلى الأجيال اللاحقة لجيل النّبي ﷺ : فنقول : إنّه لا يوجد أي اختلاف بين الشّيعة والسّنّة حول مكانة السّنّة النّبوية المطهّرة ووجوب الأخذ بها إلاّ أنّهما اختلفا حول طريقة نقل هذه السّنّة من النّبي ﷺ إلينا ، فيكفي عند أهل السّنّة إيصال إسناد الحديث بنقل الثّقة عن الثّقة إلى أيّ من الصّحابة الّذين يعتقدون بعدالتهم جميعاً ، وعندهم صحيحي البخاري ومسلم ، لا يشك قطعاً بصحّة أحاديثهما ، حتّى أصبحا وكأنّهما بنفس مرتبة القرآن الكريم من حيث الصّحة ، وإلاّ فما معنى الزام الغالبيّة العظمى من أهل السّنّة لأنفسهم بقبول كلّ ما احتواه هذين الصّحيحين؟ ويؤكّد على ذلك ما قاله الشّيخ أبو عمرو بن الصّلاح في مقدّمة شرح النّووي على «صحيح مسلم» ، من أنّ «جميع ما حكم

مسلم (رحمه الله) بصحّته في هذا الكتاب -«صحيح مسلم»- فهو مقطوع بصحّته، وهكذا ما حكم البخاري بصحّته في كتابه، وذلك لأنّ الأمّة تلقّت ذلك بالقبول، سوى من لا يعتدّ بخلافه ووفاقه».

وأمّا الشّيعة الإمامية فإنّهم يشترطون أوّلاً إيصال إسناد الحديث إلى واحد من أئمّة أهل البيت ﷺ محتجّين بقول الرّسول ﷺ: «**إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[1]، وبقوله تعالى: ﴿**إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[2].

ثم أضافوا إلى الشّرط المذكور شروطاً أخرى، أهمّها عرض الرّواية على كتاب الله، ثمّ يؤخذ بها إن وافقت كتاب الله، ثمّ النّظر في متنها وسندها ومقارنتها بروايات أخرى ثبتت بالتّواتر القطعي، فيؤخذ بها على شرط عدم مخالفتها لما ثبت بالتّواتر القطعي. وأخيراً عرضها على العقل فيؤخذ بها لو لم تكن على خلاف العقل. وهذا هو الطّريق الّذي يقبله العقل السّليم ويؤيّده الشّرع المبين.

وأمّا طريقة أهل السّنّة في نقل السّنّة النّبوية فغير صحيحة من وجوه:

الأوّل: إنّه قد قال البخاري: «لم أخرج في هذا الكتاب إلاّ صحيحاً، وإنّه قد أخرج في كتابه «صحيح البخاري» ما هو صريحٌ في أنّ لله تعالى رجلاً يضعها في جهنّم، ثمّ تقول جهنّم: قط قط.

عن أبي هريرة «يقال لجهنّم: هل امتلأت، وتقول: هل من مزيد فيضع الرّبّ تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط»[3].

---

[1] - «صحيح التّرمذي»: ج١٣ ص٢٠١ باب مناقب أهل بيت النّبي ﷺ.

[2] - سورة الأحزاب: ٣٣.

[3] - «صحيح البخاري» كتاب تفسير القرآن باب قوله: وتقول: هل من مزيد: ج٦ ص٤٨.

وعن جرير بن عبد الله قال: «كنّا جلوساً ليلةً مع النّبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنّكم سترون ربّكم كما ترون هذا»[١].

ويكفي لردّ الرّوايتين المذكورتين:

أوّلاً: أنّهما يناقضان حكم العقل باستحالة كون الله تعالى جسماً.

وثانياً: أنّهما يناقضان ما عن مسروق قال: قلت لعائشة (رضي الله عنها): يا أختاه هل رأى محمّد ﷺ ربّه؟ فقالت: لقد وقف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدّثكهنّ فقد كذب، ومن حدّثك أنّ محمّداً ﷺ رأى ربّه فقد كذب، ثم قرأت: **﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾**، و **﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ...﴾**[٢].

ومن الإسرائيليات الّتي توجد في كتاب البخاري ما روي عن عبد الله قال: «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّا نجد أنّ الله يجعل السّماوات على إصبعٍ، والأرضين على إصبعٍ، والماء والثّرى على إصبعٍ، وسائر الخلائق على إصبعٍ، فيقول: أنا الملك، فضحك النّبي ﷺ حتّى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾**[٣] فهذه الرّوايات الموجودة في كتاب البخاري موضوعة قطعاً، لأنّها مرفوضة عقلاً وشرعاً.

ويؤيّد ذلك ما قاله أحمد أمين من «أنّ بعض الرّجال الّذين روى لهم غير ثقاة، وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو الثّمانين»[٤].

---

[١] - «صحيح البخاري» كتاب تفسير القرآن باب قوله: وتقول: هل من مزيد: ج٦ ص٤٨.

[٢] - «صحيح البخاري» كتاب تفسير القرآن باب قوله: وتقول: هل من مزيد: ج٦ ص٥٠.

[٣] - «صحيح البخاري» كتاب تفسير القرآن باب قوله: }وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ{: ج٦ ص٣٣.

[٤] - «ضحى الإسلام»: ج٢ ص١١٧.

الثّاني: إنّ في صحيح البخاري ما يدل على أنّ النّبي ﷺ قد يتنازل في أحكام الله حسبما يريد.

عن أبي هريرة قال: «بينما نحن جلوس عند النّبي ﷺ، إذ جاءه رجلٌ، فقال: يا رسول الله هلكتُ، قال: مالك، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستّين مسكيناً؟ قال: لا، قال: فمكث عند النّبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النّبي ﷺ بعرق «فيه تمر»، والعرق المكتل، قال: أين السّائل؟ فقال: أنا، قال: خذه وتصدّق به، فقال الرّجل: أعلى أفقر منّي يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها يريد الحرّتين أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النّبي ﷺ حتّى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك»[1].

انظر كيف تصبح أحكام الله وحدود الله الّتي رسمها لعباده من تحرير رقبة على الموسرين، وإطعام ستين مسكيناً على من تمكّن عليه، والصّوم على الّذين لا يجدون أموالاً كافية للتّحرير أو الإطعام. ولكنّ هذه الرّواية تتعدّى حدود الله الّتي رسمها لعباده ويكفي أن يقول هذا الجاني كلمة يضحك لها الرّسول حتّى تبدو أنيابه، فيتساهل في حكم الله، ويبيح له أن يأخذ الصّدقة لأهل بيته.

وتستدعي هذه الرّواية أنّ المذنب يصبح مجازاً على ذنبه الّذي تعمّده بدلاً من العقوبة. وهل هناك تشجيع أكثر من هذا لأهل المعاصي والفسقة الّذين سيتشبثون بمثل هذه الرّوايات المكذوبة على ارتكاب المعاصي؟

---

(١) - «صحيح البخاري» كتاب الصّوم باب إذا جامع في رمضان: ج٢ ص٢٣٦.

نعم، الوضّاعون أرادوا أن يتنازل رسول الله ﷺ عن كلّ شيء ليجدوا منفذاً لارتكاب الفاحشة، وليبرروا بذلك ما ارتكبه خلفاء الأمويّين والعبّاسيّين من الجرائم. ويؤيّد ذلك حديث تنافس الصّحابة على الدّنيا. قال ﷺ: «**إنّي والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها**»[١]. صدق رسول الله ﷺ، فقد تنافسوا على الدّنيا حتّى سلّت سيوفهم وتحاربوا، وكفّر بعضهم بعضاً، وقد كان بعض هؤلاء الصّحابة المشهورين يكنّز الذّهب والفضّة. ويحدّثنا المؤرّخون كالمسعودي في «مروج الذّهب» والطّبري وغيرهما أنّ ثروة الزّبير وحده بلغت خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وضياعاً كثيرة في البصرة وفي الكوفة وفي مصر وغيرها، كما بلغت غلّة طلحة من العراق وحده كل يوم ألف دينار وقيل: أكثر من ذلك. وكان لعبد الرّحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة، وبلغ ربع ثمن ماله الّذي قسّم على زوجاته بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً. وترك عثمان بن عفّان يوم مات مائة وخمسين ألف دينار، عدا المواشي والأراضي والضّياع ممّا لا يحصى[٢].

ومن البديهي أنّ من يتنافس على الدّنيا يتشبث بالأحاديث الموضوعة لجلب الدّنيا. بل هؤلاء الصّحابة يغيّرون سنّة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يخطب بالنّاس ويعظهم بعد صلاة العيدين وهذا مروان قد خطب قبل أن يصلّي صلاة العيد وقيل له: غيّرت والله سنّة رسول الله ﷺ، فقال: إنّ النّاس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصّلاة فجعلتها قبل الصّلاة[٣]. والسّرّ في عدم

---

(١) - «صحيح البخاري»: ج٨ ص٢٠٩.

(٢) - راجع «مروج الذّهب» للمسعودي: ج٢ ص٣٣٢و٣٣٣ الطّبع الجديد.

(٣) - «صحيح البخاري» كتاب العيدين باب الخروج على المصلّى بغير منبر: ج١ ص٤.

جلوس النّاس في خطبة العيدين، أنّ الخطيب يسبّ علي بن أبي طالب ﷺ، ويجبرهم على سبّ علي بن أبي طالب. وهذا معاوية بن أبي سفيان من صحابة النّبي ﷺ يحمّل النّاس على سبّ علي بن أبي طالب ولعنه من فوق منابر المساجد، وأمر عمّاله في كلّ الأمصار باتّخاذ ذلك اللعن سنّة يقولها الخطباء على المنابر، وقد استنكر بعض الصّحابة هذا الفعل فأمر معاوية بقتلهم وحرقهم، وقد قتل من مشاهير الصّحابة كحجر بن عدي الكندي وأصحابه، ودفن بعضهم أحياءً، لأنّهم امتنعوا عن لعن عليّ واستنكروه. وقد أخرج أبو الأعلى المودودي في كتابه «الخلافة والملك» نقلاً عن الحسن البصري قال: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم تكن فيه إلاّ واحدة لكانت موبقةً له:

١: أخذه الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصّحابة ونور الفضيلة.

٢: استخلافه بعده ابنه سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير ويضرب الطّنابير.

٣: ادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

٤: قتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلاً له من حجر، ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر»[1].

وكان بعض المؤمنين من الصّحابة يفرّون من المسجد بعد الفراغ من الصّلاة حتّى لا يحضروا الخطبة الّتي تختم بلعن عليّ وأهل بيته، ومن أجل ذلك غيّر بنو أميّة سنّة رسول الله وقدّموا الخطبة على الصّلاة حتّى يحضرها النّاس ويرغمون بذلك أنوفهم. والبخاري يعتقد بعدالة هؤلاء الصّحابة الّذين لا يتورّعون في تغيير سنّة الرّسول وحتّى أحكام الله للوصول إلى أغراضهم الدّنيئة وأحقادهم الدّفينة ومطامعهم الخسيسة، ويلعنون رجلاً أذهب الله عنه الرّجس

---

[1] - «الخلافة والملك» لأبي الأعلى المودودي: ص١٠٦.

وطهّره تطهيراً، وأوجب الصّلاة عليه كالصّلاة على رسوله في كلّ صلاة، وأوجب لله ورسوله مودّته وحبّه حتّى قال النّبي ﷺ: «**حبّ علي إيمانٌ وبغضه نفاقٌ**»[١].

وقوله ﷺ: «**يا علي محبّك محبّي ومبغضك مبغضي**»[٢].

وكيف يمكن أن يكون هؤلاء الصّحابة عدولاً وقد غيّروا سنّة الرّسول.

وبدلاً من أن يصلّوا على علي بن أبي طالب ويحبّوه ويطيعوه، شتموه ولعنوه طيلة خمسين عاماً، كما جاء في كتب التّاريخ؟

فإذا كان أصحاب موسى قد تآمروا على هارون وكادوا يقتلونه، فإنّ بعض أصحاب نبيّنا ﷺ قتلوا هارونه وتتبعوا أولاده وشيعته تحت كلّ حجر ومدر، ومحوا أسماءهم من الدّيوان، ومنعوا أن يسمّى أحد باسمه ولم يكتفوا بكلّ ذلك، بل لعنوه وحملوا الصّحابة المخلصين على ذلك قهراً وظلماً.

فكيف يحكم أهل السّنّة بعدالة من حكم القرآن والسّنّة بفسقه وارتداده وكفره، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أكبّه على منخريه في النّار**»[٣]؟

وليس حكمهم بعدالة الصّحابة كافةً إلاّ تغطيةً لما ارتكبوه من الجرائم.

الثّالث: إنّ من رجال البخاري أبا هريرة الّذي اشتهر بالتّدليس لو لم نقل أنّه اشتهر بالكذب والوضع وقال جماعةٌ من الفقهاء والمحدّثين منهم الشافعي بعدم قبول رواية من يدلّس مطلقاً ومعنى التّدليس في الرّواية أن يروي عن رسول الله ﷺ ولم يسمع منه. وممّن اشتهر بالتّدليس أبو هريرة الّذي اعتمد

---

[١] - «صحيح مسلم»: ج١ ص٦٠، و«ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٤.

[٢] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٧.

[٣] - «مستدرك الحاكم»: ج٣ ص١٢١، و«خصائص النّسائي»: ص٢٤، و«مسند أحمد»: ج٦ ص٣٣.

عليه البخاري أكثر من جميع الصّحابة. قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ كذا، وإنّما سمعه من غيره ونصّ الذّهبي في سيرة أعلام النّبلاء على أنّ يزيد بن إبراهيم سمع شعبة بن الحجّاج يقول: كان أبو هريرة مدلّساً. وقال شعبة بن الحجّاج إمام الجرح والتّعديل في أحوال الرّواة: لئن أزني أحبّ إليّ من أن أدلّس. وأضاف إلى ذلك: إنّ التّدليس أضرّ من الكذب، فلا تُقبل مرويّات أبي هريرة مطلقاً، وإن صرّح بالسّماع بعد ذلك، لأنّه ممّن اشتهر بالتّدليس. ويؤكّد على كونه مدلّساً ما ذكره محمود أبو رية في كتابه «شيخ المضيرة أبو هريرة»: «وقد أثبت العلماء أنّ أبا هريرة كان مدلّساً»[1].

وأمّا كونه كذّاباً ووضّاعاً للأحاديث لمناصرة معاوية، فيكفي فيه ما ذكره أبو رية وهو من أهل السنّة في كتابه الآنف الذكر: «أمّا أبو هريرة فلم يقف عند وضع أحاديث في الطّعن في عليّ، وإنّما زاد في وضع أحاديث ترفع شأن آل أبي العاص عامّة ومعاوية خاصة، فكثر النّاقلون بالأكاذيب وقلّ الصّادقون في دولة الأمويّين»[2].

وقال أبو رية تحت عنوان «تشيّع أبي هريرة لمعاوية» ما ملخّصه: لمّا انبعث الصّراع بين الأمويّة والهاشميّة، وافترق المسلمون فرقاً كثيرة منذ أواخر عهد عثمان، مال أبو هريرة إلى النّاحية الّتي يسكن إليها طبعه وتتّفق مع هوى نفسه، وهي لا ريب ناحية معاوية، إذ كانت تملك من أسباب السّلطان والمال ومظاهر التّرف والنّعيم ما لا تملك بعضه ولا قليلاً منه ناحية عليّ الّتي ليس فيها

---

[1] - «شيخ المضيرة أبو هريرة»: ص١١٣.

[2] - «شيخ المضيرة أبو هريرة»: ص٢٠٠.

إلاّ الزّهد، فاتّخذ سبيله إلى رحاب معاوية، ليشبع نهمه من ألوان موائده الشّهيّة. ويقضي وطره من رفده وصلاته وعطاياه السّنيّة[١].

فاتّصل أبو هريرة بالدّولة الأمويّة، ويمدّهم بالأحاديث الّتي تؤيّدهم، وتصرف وجوه النّاس عن عدوّهم- وعدوّهم حينئذ كان عليّاً (رضي الله عنه)- قال أبو هريرة: «سمعت رسول الله يقول: إنّ الله ائتمن على وحيه ثلاثةٌ: أنا وجبرائيل ومعاوية! ورواية أخرى عنه مرفوعاً: «الأمناء ثلاثةٌ: جبرائيل وأنا ومعاوية». ثم وضع أبو هريرة أحاديث على عليّ (رضي الله عنه)، منها ما رواه الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة «سنة ٤١» -وهو في الحقيقة عام الفرقة- جاء إلى مسجد الكوفة، فلمّا رأى كثرة من استقبله من النّاس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق! أتزعمون أنّي أكذب على رسول الله وأحرق نفسي بالنّار! والله لقد سمعت رسول الله يقول: إنّ لكلّ نبي حرماً، وإنّ حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيهما حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين وأشهد بالله أنّ عليّاً أحدث فيها!! فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاّه إمارة المدينة[٢].

نعم، أبو هريرة يناصر من يبدّل دين الله بجعل الأحاديث المكذوبة طلباً للجاه والمقام، قال النّبي ﷺ: **«أوّل من يبدّل ديني رجلٌ من بني أميّة»**[٣]، ويعادي من هو خير البشر ومن شكّ فيه فقد كفر. وقد قال النّبي ﷺ: «عادى

---

[١] - «شيخ المضيرة» أبو هريرة: ص٢٠٧ تأليف محمود أبو رية.

[٢] - «شيخ المضيرة» أبو هريرة: ص٢٣٦ تأليف أبو رية.

[٣] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي: ج٢ ص٣.

الله من عادى عليّاً»[١] ، وقوله ﷺ : **«من قاتل عليّاً على الخلافة فاقتلوه كائناً من كان»**[٢] ، وقوله ﷺ : **«ويلٌ لبني أميّة ثلاثاً»**[٣] .

ونكتفي بهذا المقدار من الطّعن في أبي هريرة، وهو من رجال «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم» . وأجمع أهل الحديث على أنّ أبا هريرة أكثر الصّحابة حديثاً، وله في البخاري فقط أربعمائة وستّة وأربعين حديثاً»[٤] .

وهذه الكثرة البالغة قد استفاضت في كتب الحديث المشهورة وأخذت مكان الاعتبار والتّصديق من قلوب الجمهور من المسلمين، وسيطرت على عقولهم وأفكارهم، ونفذت إلى أصول الدّين وفروعه، وأصبحت مصدراً للفقهاء في أحكام الدّين وشرائعه وأدلّة للمتكلّمين في عقائدهم. مع أنّ فيها أساطير تحار فيها عقول المفكّرين، وشبهات وخرافات تُتّخذ مطاعن على الدّين. فكيف يقال بصحة ما في صحيحي البخاري ومسلم وفيهما ما يُتّكأ عليه في إثبات الإسرائيليات .

وينتج هذا البحث أنّ طريقة الشّيعة في نقل السّنّة النّبويّة إلى الأجيال اللاحقة لجيل النّبي ﷺ أولى من طريقة السّنّة، لأنّهم يأخذون الأحاديث النّبوية من طريق أهل البيت، لأنّهم أدرى ما في البيت .

وكتب الحديث الرّئيسية عند الشّيعة، وإن كانت أربعة، وهي الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والاستبصار، التّهذيب، إلاّ أنّ جميع الرّوايات في هذه الكتب خاضعة للتّحقيق، ففيها الغثّ والسّمين، ولا يرون صحّة جميع

---

[١] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي : ج٢ ص٤ الطّبع الجديد

[٢] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي : ج٢ ص٦ .

[٣] - «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي : ج٢ ص٦ .

[٤] - «أبو هريرة» للسيد شرف الدّين : ص٥٠ .

الروايات المخرجة من هذه الكتب، حيث أنّه لا يوجد عند الشّيعة كتاب يوضع قبال كتاب الله في الصّحة، كما هو الحال عند الشّيخين البخاري ومسلم في صحيحيهما، ففي الكافي حديث حسن وحديث موثّق وحديث صحيح وحديث ضعيف. وقد ضعّف علماء الشّيعة بعض الأحاديث في الكافي، فأين هذه الحقيقة من تشدّق بعض الأفّاكين مثل ظهير والخطيب، القائلين بأنّ كتاب الكافي عند الشّيعة هو كصحيح البخاري عند أهل السّنّة ثمّ يدعون أنّ اسمه صحيح الكافي وهذا كذبٌ صارخٌ يكرّرونه في كتبهم المسمومة بهدف تضليل القارئ بإضفاء صفة الصّحّة على روايات ضعيفة اقتبسوها من الكافي أو غيره من كتب الحديث عند الشّيعة لإقامة الحجّة عليهمّ وإدانتهم بها.

ونتيجة البحث أنّه يجب أخذ السّنّة النّبويّة من أهل البيت، لأنّهم سفينة نجاة الأمّة عن الاختلاف، وأنّهم أحد الثّقلين في قول الرّسول الأعظم ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، وأنّهما لن يفترقا، حتّى يردا عليّ الحوض»[1].

ولا شكّ أنّ المقصود من حثّه ﷺ على التّمسّك بالقرآن والعترة إنّما هو الاهتداء بهما، والاسترشاد بحكمهما وأقوالهما كي لا يضلّوا. وواضحٌ أنّ من ترك التّمسّك بهما ضلّ الطّريق بعد الرّسول الأعظم ﷺ وسلك طريقاً قد خالف القرآن والسّنّة، كالأمويّين والعبّاسيّين.

---

[1] - «صحيح مسلم» باب فضائل عليّ: ج٧ ص١٢٣.



الفصل الخامس

في حياة فاطمة الزّهراء ﷺ

لأنّها امرأة عظيمة، ويكفي في عظمتها ﷺ:

١: أنّها خير نساء العالمين، بل أفضل من الأنبياء كافّةً باستثناء الرّسول ﷺ.

٢: أنّها حجّة على النّاس لأنّها حجّة على أولادها الأئمّة الطّاهرين ﷺ.

٣: أنّ مكانتها وعظمتها ﷺ لا يمكن أن يستوعبها أحدٌ إلاّ النّبي ﷺ والوصي ﷺ.

نعم، إن كانت مريم قدّيسة النّصارى فإنّ فاطمة هي قدّيسة الإسلام. وقد كتبوا كثيراً عن الزّهراء ﷺ لكن الغاية القصوى لبعضهم أن يفوز في المباراة ويحصّل على جوائزها، ولكنّهم لم يعرّفوا كيفية حياتها كي تكون درساً للأجيال فإنّ كلّ لحظة من لحظات حياتها تعتبر درساً في الحياة لنا وللأجيال القادمة. فنحاول الكتابة عن دراسة حياتها فإنّ دراستها على الرّغم من قصر عمرها تنطوي على تعاليم تربويّة وعوامل لإصلاح وضع المجتمع، لأنّ المرأة إذا صلحت في المجتمع صلح أفراده وسارت الأمور فيه على خير وجه وقبل البدء في دراسة حياة فاطمة الزّهراء ﷺ نقول: إنّ قصدي من هذا البحث هو الدّفاع عنها، لأنّ الدّفاع عنها دفاعٌ عن الرّسالة والإمامة والحقّ والعدل.

فهناك أبواب من البحث:

١: في فضائلها ﷺ.

٢ : في حياتها مع أبيها الرّسول الأعظم ﷺ.

٣ : في حياتها بعد أبيها.

وأمّا خلاصة الكلام في فضائلها فإنّ فاطمة شخصية إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإنّ الله تعالى خلق محمّداً ﷺ ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثم خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزّهراء لتكون علامةً وآيةً على قدرة الله في إبداع مخلوق أنثى تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزّهراء أوفر حظ من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة بحيث لا يمكن لأيّة أنثى أن تبلغ تلك المنزلة فهي أمّ الرّسالة وأمّ الأئمّة الّذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض ونزلت في حقّهم آيات محكمات في الذّكر الحكيم تتلى آناء الليل وأطراف النّهار منذ نزولها إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم السّاعة.

فاطمة الزّهراء ﷺ في القرآن

١ : أنّها مصداق للكوثر والخير الكثير وبشأنها نزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[1].

٢ : إنّها مصداق ﴿نِسَاءَنَا﴾ في آية المباهلة أي قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ...﴾[2].

نعم، إنّ الزّهراء ﷺ امرأة إلاّ أنّها جامعة لكلّ الخصائص والسّجايا لجميع النّساء القدوات في العالم وحاملة لجميع الأدوار والصّفات الّتي تحملها نساء العالم إلى قيام السّاعة.

٣ : أنّها هي المعنيّة بآية القربى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

---

[1] - سورة الكوثر: ١.

[2] - سورة آل عمران: ٦٠.

٤ : أنّها مشمولة لآية التّطهير : ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢]، فهي من الّذين أُبعد الرّجسُ عنهم.

٥ : أنّها مصداق للآية ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[٣].

فاطمة الزّهراء ﷺ في ظلال الأحاديث النّبوية

وقد جاء في السّنّة النّبوية عدد ضخم من الأحاديث الّتي لا تخضع للحصر نطق بها الرّسول الأعظم ﷺ ليبرز قيمة الزّهراء وقد أجمع أهل السّير والتّاريخ على أكثرها إلاّ أنّا نكتفي بذكر جملة منها رعايةً للاختصار المطلوب في هذا الكتاب.

وقبل ذكر بعض الأحاديث نقول: إنّ النّبي ﷺ حينما يتحدّث عن فاطمة الزّهراء فإنّه لا ينطق من عاطفة الأبوّة وكيف يعقل أن يكون ما قاله في فضائل الزّهراء عن عاطفة الأبوّة؟! وقد قال البارىء تعالى فيه: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى﴾[٤]، فإنّ النّبي ﷺ في عموم حديثه عن الأشخاص لا يعطي أحداً أكثر ممّا يستحقّه تبعاً لعاطفته وحتّى لو كان ذلك الإنسان ابنته. إلاّ أنّا لو قلنا بذلك لطعنّا في عصمته لأنّ العاطفة ممّا يتسرّب الوهن والخطأ إلى أحكامه وهذا ينافي ما في كتاب الله العزيز حيث أمرنا بالالتزام بكلّ تعليم يصدر عن الرّسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿قُلْ

---

(١) – سورة الشّورى: ٢٣.

(٢) – سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) – سورة القيامة: ٩.

(٤) – سورة النّجم: ٢و٣.

(٥) – سورة الحشر: ٧.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[1]، فلو لم يكن الرّسول ﷺ بعيداً عن العاطفة في أقواله الشّريفة لما الزمنا الله تعالى باتّباعه.

ومن هنا يظهر بطلان ما لدى بعض المرجفين وأعداء الحق من أنّ الرّسول كان مدحه لفاطمة ﷺ بدافع عاطفي فهو ﷺ يبرز قيمة الزّهراء ﷺ وأبعاد فضلها على نساء العالمين لأنّها ابنة خديجة الّتي كان يحبّها حبّاً مطلقاً، لأنّ خديجة هي الّتي وقفت معه أيّام عُسرته، وبذلت كلّ ثروتها في سبيل دعوته وهذا ما جعله يعطف على فاطمة ﷺ لأنّها وديعة زوجته المخلصة خديجة فضلاً عن أنّها ابنته ممّا جعل عاطفة الأبوّة -هي الآخرى تلعب دورها في أحاديثه- على ما زعمه المرجفون فهؤلاء يفسّرون الأحاديث النّبويّة في فضل الزّهراء ﷺ على أنّها تمثّل موجاً عاطفياً دفع الرّسول لمدح فاطمة ﷺ وكذلك يفسّرون الأحاديث الّتي أطلقها الرّسول ﷺ في إبراز شخصيّة علي بن أبي طالب ﷺ وكثرة الثّناء عليه بأنّها أحاديث أملتها العاطفة على محمّد ﷺ وقالوا إنّ الانتصارات المستمرّة الّتي أحرزها علي ﷺ والبطولات الّتي حقّقها في جهاد الرّسول ﷺ وحروبه مع أعداء الإسلام هي الّتي دعت الرّسول ﷺ أن يذكر عليّاً ﷺ في مناسبات كثيرة يضمّنها مدحه وثناءه المنقطع النّظير لعليّ ﷺ ولكن هذا التّفسير الجائر لهذه الأحاديث النّبويّة يمثّل حملة عنيفة على شخصية الرّسول ﷺ بصفته حامل رسالة سماويّة لأنّ ادّعاء كون الرّسول ﷺ يتأثر تأثّراً عاطفياً في أحاديثه يجعل القائلين به يخرجون الرّسول ﷺ عن حدود العصمة مع أنّ الأدلّة العقلية والنّقلية مستفيضة في إثبات عصمة الرّسول ﷺ في كافّة ألوان نشاطه، وفيما يصدر من أحكام وآراء فكيف يتأثّر بالعاطفة هذا أوّلاً وثانياً إنّ أحاديث الرّسول ﷺ الّتي أطلقها في مواقفه الكثيرة في التّحدّث عن أهل بيته وفي طليعتهم عليّ وفاطمة -مهما بلغت من مستوى عاطفي

---

[1] - سورة آل عمران: ٣١.

-كما يدّعي المرجفون- فإنّها لم ترتفع في مستواها عن مستوى الآيات الكريمة الّتي نزلت لتبيان سموّ منزلتهما العظيمة، بل إنّ أحاديث الرّسول ﷺ الّتي وصفت عليّاً وفاطمة، أو أثنت عليهما- كانت شرحاً لتلك الآيات فهل يمكن أن يقال إنّ الله سبحانه عاطفة!! كلاّ.

فنرجع إلى أصل المطلوب ونعيش في ظلال بعض الأحاديث النّبويّة الّتي نطق بها الرّسول ﷺ لبيان فضائل الزّهراء ﷺ.

١ : قول النّبي ﷺ **«أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران»**[١].

٢ : قول رسول الله ﷺ : **«خير نساء العالمين أربعٌ: مريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد»**[٢].

٣ : قول رسول الله ﷺ : **«حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون»**[٣].

فهذه الأحاديث الثّلاثة ونحوها نصوص جليّة في تفضيل الأربع على سائر نساء البريّة، ولا تعرّض لها لبيان الأفضل من تلك الأربع.

ولكن هناك الأحاديث المتواترة تدلّ بالصّراحة على تفضيل الزّهراء ﷺ.

وحسبك في تفضيل الزّهراء أنّها بضعة من سيّد الأنبياء، ولا تعدل به ولا ببضعته أحداً من العالمين كما يؤكّد على ذلك ما عن مجاهد قال: خرج النّبي ﷺ وأخذ بيد

---

[١] - أخرجه جماعة من المحدثين كالإمام أحمد عن ابن عبّاس في مسنده: ج١ ص٢٩٣.

[٢] - أخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من «الاستيعاب» بالإسناد إلى أنس، ورواه عبد الوارث بن سفيان كما في ترجمتي الزّهراء وخديجة من «الاستيعاب» بالإسناد إلى أبي هريرة.

[٣] - أخرجه التّرمذي كما في «الأربعين النّبهاني» عن أنس ورواه عنه أيضاً السّراج كما في ترجمة الزّهراء من «الاستيعاب» ونقله الشّعبي، كما في ترجمة الزّهراء ﷺ من «الإصابة» عن جابر.

فاطمة فقال: «**من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي، وهي روحي الّتي بين جنبيّ، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»[1].

وقد وافقنا في تفضيلها جمهور من المسلمين وصرّح به كثير من المحقّقين، نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين كالنّبهاني، حيث قال في أحوال الزّهراء في كتابه «الشّرف المؤبّد» ما نصّه: «وصرّح بأفضليتها على سائر النّساء حتّى على السّيدّة مريم كثير من العلماء المحقّقين، منهم التّقي السّبكي، والجلال السّيوطي، والبدر الزّركشي، والتّقي المقريزي قال: وعبارة السّبكي حين سُئل عن ذلك «الّذي نختاره، وندين به أنّ فاطمة بنت محمّد أفضل» قال: وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال «**فاطمة بضعة منّي**» ولا أعدل ببضعة رسول الله أحداً»،

ونقل المناوي هذا عن الخلف والسّلف.

ثمّ الأحاديث الدّالّة على تفضيلها بالخصوص من طريق العامّة كثيرة ومنها أي:

٤: ما أخرجه ابن حيّان وغيره -كما في أحوال الزّهراء من كتاب «الشّرف المؤبّد» وغيره- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ ملكاً من السّماء لم يكن زارني فاستأذن ربّي في زيارتي فبشّرني أنّ فاطمة سيّدة نساء أمّتي**».

٥: ما أخرجه حفظة الأخبار وحملة الآثار كعبد الرّحمن بن أبي نعيم -كما في ترجمة الزّهراء من «الاستيعاب» و «الإصابة» وغيرهما- عليها السلام عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة**».

---

[1] - «فاطمة الزّهراء» تأليف: محمّد عطيّة خميس: ص٥.

٦ : ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما -كما في ترجمة الزّهراء من «الإصابة» وغيرها عن المسور قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : **«فاطمة بضعةٌ منّي ، يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها»** .

٧ : ما نقله النّبهاني في أحوال الزّهراء من «الشّرف المؤبّد» عن البخاري بسنده إلى رسول الله ﷺ قال : **«فاطمة بضعةٌ منّي ، يغضبني ما يغضبها»** قال : وفي رواية **«فمن أغضبها أغضبني»** قال : وفي الجامع الصّغير للسيوطي **«فاطمة بضعةٌ منّي يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما يبسطها»** .

وفي «الإمامة والسّياسة» : قالت فاطمة لأبي بكر وعمر نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : **« رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟»** قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله ﷺ قالت : **«فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني ، وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النّبي لأشكونّكما إليه»**[1] .

٨ : ما أخرجه ابن أبي عاصم -كما في ترجمتها من «الإصابة»- بسنده إلى عليّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة : **«إنّ الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك»** والتّدبّر في هذه الأحاديث يستدعي عصمة فاطمة الزّهراء ﷺ ، لدلالتها على امتناع وقوع كلّ من أذيّتها وريبتها وغضبها وسخطها في غير محلّه ، كما هو الشّأن في أذيّة النّبي ﷺ وريبته .

٩ : ما أخرجه جماعة من المحدّثين كالإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال : **«نظر النّبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حربٌ لمن حاربكم ، وسلمٌ لمن سالمكم»**[2] فهذا الحديث يدل على كفر محاربيهم كمعاوية ويزيد

---

(١) - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة : ص١٤ .

(٢) - «مسند أحمد» : ج٢ ص٤٤٢ .

وغيرهما، لأنّ حرب عليّ والحسين حربٌ مع النّبي ﷺ ومحارب النّبي ﷺ كافرٌ قطعاً.

ورووا أيضاً بإسنادهم إلى زيد بن أرقم قال: مرّ النّبي ﷺ على بيت فيه فاطمة وعلي وحسين (رضي الله عنهم) فقال: «**أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم**»[1].

١٠: ما أخرجه ابن عبد البرّ في ترجمة الزّهراء من استيعابه بالإسناد إلى ابن عمرقال: «دخلت على عائشة فسألتها: أيّ النّاس كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة قلت: فمن الرّجال؟ قالت زوجها».

وهناك عدد ضخم من الأحاديث النّبويّة في فضائل الزّهراء من الأحاديث النّبويّة في فضائل الزّهراء تركنا ذكرها رعايةً للاختصار.

ونذكر بعض ما رواه الصّحابة في فضائل الزّهراء ؏:

١: ما رواه سلمان المحمّدي (رضوان الله عليه). قال رسول الله ﷺ: **يا سلمان من أحبّ فاطمة ابنتي فهو في الجنّة ومن أبغضها فهو في النّار، يا سلمان حبّ فاطمة ينفع في مائةٍ من المواطن، أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والصّراط والمحاسبة، فمن رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيت عنه ومن رضيت عنه رضي الله عنه، ومن غضبت عليه ابنتي فاطمة غضبت عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه، يا سلمان ويلٌ لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين عليّاً وويلٌ لمن يظلم ذريّتها وشيعتها**»[2].

---

[1] - «المعجم الكبير الطّبراني»: ج٣ ص٤٠، وفي «الجامع الصّحيح»: ج٥ ص٣٦٠، وفي «كفاية الطّالب الكنجي والشّافعي»: ص٣٣٠، وفي «المستدرك على الصّحيحين» للحاكم النّيسابوري: ج٣ ص١٦١.

[2] - «قدّيسة الإسلام» تأليف السّيد محمّد الميلاني: ص١٠٧.

٢ : روى أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : **«الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وفاطمة سيّدة نساءهم إلاّ ما كان لمريم بنت عمران»**[1] .

٣ : روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : **«إنّ فاطمة شعرةٌ منّي ، فمن آذى شعرةً منّي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله لعنه ملائكة السّماوات والأرض»**[2] .

وبعض ما جاء عن بعض المعصومين في فضلها ﷺ :

١ : قال أمير المؤمنين : قال رسول الله ﷺ لفاطمة : **«إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»** .

٢ : وروى أمير المؤمنين ﷺ عن فاطمة ﷺ قالت : قال لي رسول الله ﷺ : **«يا فاطمة من صلّى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنّة»** .

٣ : روى الإمام الرّضا ﷺ قال : قال النّبي ﷺ : **«الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما وأمّهما أفضل نساء أهل الأرض»** . وما ذكرناه وإن كان قطرة من فضائل ريحانة رسول الله فاطمة الزّهراء ﷺ . ولكن يكفي حجّةً لتفضيل فاطمة الزّهراء على من سواها من نساء العالمين إذ لم يعدل مسلمٌ أحداً من النّاس ببضعة نبيّه ﷺ وبقيته في أمته .

هذا فضائل فاطمة الزّهراء من طريق الأحاديث النّبويّة والرّوايات الّتي نقلها بعض الصّحابة والمعصومين .

وأمّا أبعاد البحث بخصوص شخصيّة فاطمة فليس بمقدور أحدٍ ، لأنّ القلم يجفّ واللسان يكلّ .

---

(١) - «مجمع الفوائد» : ج٩ ص٢٠١ .

(٢) - «كشف الغمّة» : ج١ ص٤٦٧ .

الباب الثّاني: في حياة فاطمة ﷺ في زمان أبيها

ولدت فاطمة الزّهراء ﷺ في بيت الوحي في السّنة الخامسة للبعثة النّبويّة الشّريفة. حيث كان الإسلام قد نشأ حديثاً وكان يمرّ بأصعب المراحل.

كانت اليد الّتي ترعاها هي يد الرّسول ﷺ المباركة وكانت تتلقّى العطف والحنان من تلك الأم الكريمة الصّالحة ولهذا فلم يخالطها ذنبٌ، ولم تخالطّ أهل المعاصي وكان عمرها سبع سنوات حين توفّيت أمّها، وتركتها وحيدةً. وقد أمضت نصف عمرها في مكّة إلى جانب أبيها، ونصفه الآخر في المدينة في دار علي ﷺ كانت نشأتها في أجواء الوحي بمعنى أنّها عاشت أجواء الرّسالة، وأمضت حياتها في بيت زوج تحمّل أعباء مواصلة الرّسالة أي أمر الإمامة، وكانت من سعادة فاطمة أنّها ترعرعت وكبرت في هذين البيتين. فظلّت فاطمة الزّهراء ﷺ قدوة النّساء.

وفي مذهبنا شخصياتٌ كمحمّد ﷺ وعلي ﷺ وفاطمة وزينب والحسن والحسين وسائر الأئمّة ﷺ وحتّى أطفالهم قدواتٌ لأطفالنا، وبناتهم قدواتٌ لبناتنا وأبناءهم وشبابهم قدواتٌ لأبنائنا وشبابنا.

فإنّ وجود هذه القدوات يجعل من أعباء التّكليف أثقل ويعرّضنا للمساءلة والاستجواب، فيسأل ويقال: لو أنّ امرأة في الغرب ضلّت سواء السّبيل، وانحرفت عن جادّة الصّواب فعذرها مسموع وحجّتها مقبولة إلى حدٍّ ما، ولكن ما هو عذر المرأة المسلمة الشّيعيّة إذا ضلّت أو انحرفت، وماذا تقول أمام الله؟ إنّها تسأل بالتّأكيد لماذا لم تقتد بفاطمة؟! ولماذا لم تأخذ العزّة عن زينب بنت علي ﷺ؟ ولماذا لم تتعلّم درس الحياة من خديجة وفضّة؟ ولماذا تأخذين درس الخلاعة والسّفور من دعاة الحرّيّة، وأنت لا تعلمين ماذا يقصد دعاة السّفور باسم الحرّيّة والفنّ، وهم أعداء الإسلام.

نعم، لقد أعدّ أعداء الإسلام -بعد دراسات طويلة- عدّة خطط لضرب الإسلام والمسلمين بصورة تدريجية، ومن أهم الخطط الشّيطانيّة الّتي استخدموها لذلك هي الدّعوة إلى السّفور والفساد تحت غطاء كثيف من الشّعارات البرّاقة كالحرّية والتّمدّن والتّقدّم والانفتاح.

فباسم الفنّ دعوا إلى الفساد، وباسم التّقدّم دعوا إلى الفجور، وباسم التّمدّن دعوا إلى الفحشاء، وباسم التّحرّر دعوا إلى الخلاعة والابتذال.

وقد انخدع بهذه الشّعارات كثيرٌ من المسلمين رجالاً ونساءً. فانساقوا خلف هذه الشّعارات المسمومة الّتي تجرّ الفساد والشّقاء عليهم. فبدأت نساء المسلمين وفتياتهم يتمرّدن على اللباس الإسلامي الشّريف -الحجاب. ويخرجن من عش الإيمان والشّرف، ويرتدين ملابس اليهود والنّصارى المستوردة من بلاد الغرب والشّرق. فقد تحقّق هدف الاستعمار وأعداء الإسلام وقد سقطت المجتمعات الإسلامية في بؤرة الرّذيلة والانحطاط، وتحوّلت إلى مجتمعات فاسدة متفسّخة بعد أن كانت طاهرةً نزيهةً، وتفشّت الجرائم وحوادث الاغتصاب والاختطاف والاعتداء على الأعراض ولا أظنّ أنّ كلامي هذا يؤثّر على من يعتقد بأنّ الخلاعة والسّفور من علامات التّمدّن، والحجاب والتّستّر من علامات الارتجاع والتّخلّف ولكن أقول: ما أقول: من باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لأنّ الخلاعة والسّفور من أشدّ المنكرات في الشّريعة الإسلامية .

نعم، إنّ ذكر فرض الحجاب وحرمة السّفور في الإسلام لا يكفي ولا يجدي، بل يجب على كلّ مسلمٍ غيور استئصال جذور الفساد بتطبيق الشّريعة الإسلامية حتّى تختفي الجرائم أو تنعدم. إنّ الإسلام قرّر قانون الحجاب لضمان سعادة المرأة، والحفاظ على عزّتها وكرامتها فإنّ الحجاب يصون المرأة من التّفسّخ والانحلال، ويمنع من الميوعة والانحراف إذ من المستحيل طهارة المجتمع ونزاهته في حالة سفور

المرأة وتبرّجها. ومن المناسب أن يذكر حديث المعراج في النّساء المعذّبات في حديث طويل عند رؤية النّبي ﷺ أنواع العذاب لنساء أمّته ليلة الإسراء.

فقالت فاطمة الزّهراء ﷺ: **حبيبي وقرّة عيني أخبرني ما كان عملهنّ وسيرهنّ حتّى وضع الله عليهنّ هذا العذاب؟ فقال: يا بنيّتي «أمّا المعلّقة بشعرها فإنّها كانت لا تغطّي شعرها من الرّجال، وأمّا المعلّقة بلسانها فإنّها كانت تؤذي زوجها، وأمّا المعلّقة بثدييها فإنّها كانت تمتنع من فراش زوجها، وأمّا المعلّقة برجليها فإنّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها؛ وأمّا الّتي كانت تأكل لحم جسدها فإنّها كانت تزيّن بدنها للنّاس، وأمّا الّتي شدّت يداها إلى رجليها وسلّط عليها الحيّات والعقارب فإنّها كانت قذرة الوضوء وقذرة الثّياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض، ولا تتنظّف وكانت تستهين بالصّلاة، وأمّا العمياء الصّمّاء الخرساء، فإنّها كانت تلد من الزّنا فتعلّقه في عنق زوجها، وأمّا الّتي تقرض لحمها بالمقاريض فإنّها تعرض نفسها على الرّجال، وأمّا الّتي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فإنّها كانت قوّادةً، وأمّا الّتي كان رأسها خنزيرٌ، وبدنها بدن الحمار فإنّها كانت نمّامةً كذّابةً، وأمّا الّتي كانت على صورة الكلب والنّار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فإنّها كانت قنيّةً نوّاحةً حاسدةً ثمّ قال ﷺ: ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»**[1]، فالجدير بالمرأة المسلمة أن تلتزم بالحجاب وتتمسّك به، وأن تقوم بدور كبير في سبيل نشر هذا القانون بين الطّالبات والفتيات والسّيّدات ودعوتهنّ إلى الالتزام به لأنّ الحجاب سعادةٌ للمرأة.

ولهذا كانت فاطمة الزّهراء ﷺ تهتمّ به غاية الاهتمام فهي كانت محافظةً على شرف المرأة وسعادتها عن طريق الحجاب والتّستّر فإنّ الزهراء كأنّها تعلم أنّ ملايين الفضائح والجرائم والمآسي تأتي عن طريق السّفور والتّبذّل والخلاعة والاختلاط

---

[1] - «بحار الأنوار»: ج٨ ص٣٠٩و٣١٠.

المسمّى في زماننا هذا بالحرّية والتّقدّم! ومن يقرأ الجرائد والمجلاّت يعرف عدد الضّحايا الّتي تقدّمها الحضارة والتّقدّم!

ومن يقرأ التّاريخ يعلم أنّ عشر معشار هذه الفجائع والمآسي ما كانت تحدث للمرأة المسلمة يوم كانت تؤمن بالحجاب والعفاف والحياء، يوم كانت تؤمن بالحلال والحرام، ويوم كانت تأبى وتستنكف أن ينظر إليها رجلٌ أجنبي واحدٌ، فكيف أن تجعل جسمها ورأسها ووجهها محلاً لأنظار المئات، بل الألوف من الرّجال الأجانب على اختلاف أديانهم وأهوائهم. فعليك أيّتها المرأة المسلمة أن تأخذي درس الحجاب من مدرسة فاطمة الزّهراء ﷺ، فإنّها كانت فتاةً عفيفةً وطاهرةً وملتزمةً بجميع ما عليها من واجبات، ونختم موضوع فرض الحجاب -في الإسلام- بذكر الحديثين اللّذين تضمّنا إعجاب الرّسول ﷺ بكلام ابنته الطّاهرة العفيفة فاطمة الزّهراء ﷺ حول المرأة وتصديقه لها وتقديره لرأيها.

١ : روى أبو نعيم عن أنس بن مالك قال: عن عليّ ﷺ أنّه قال لفاطمة «ما خير النّساء» قالت: «**لا يرين الرّجال ولا يرونهنّ**» فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**إنّما فاطمة بضعةٌ منّي**»[1].

٢ : ذكر ابن المغازلي في مناقبه عن علي بن الحسين بن علي ﷺ أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ استأذن عليها أعمى فحجبته فقال لها النّبي ﷺ: **لِمَ حجبتيه وهو لا يراك، فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشمّ الرّيح، فقال النّبي** ﷺ: «**أشهد أنّكِ بضعةٌ منّي**».

---

[1] - «حلية الأولياء»: ج٢ ص٤٠.

نظرتها إلى الدّنيا

ترى فاطمة أنّ الدّنيا دارٌ فانيةٌ ومزرعة للآخرة، فاطمة ترى الدّنيا جديرةً بالمحبّة إلاّ أنّها من نوع المحبّة العابرة والدّنيا عندها هي ميدان عملٍ وساحةٌ للجهاد والسّعي لتهيئة مستلزمات الحياة الأخروية.

نظرتها إلى المال والثّروة

ترى فاطمة ﷺ أنّ للمال والثّروة أهميّةً كبيرةً ولكن لا بالشّكل الّذي يكتسب من خلالها القيمة الاجتماعية والاعتبار بين النّاس، بل من أجل إمرار المعاش ولغرض صيانة الكرامة، ثم إنّ أولئك الّذين جعلوا المال هدفاً يركضون وراء جمعه ليلاً ونهاراً -هم في الحقيقة مصابون بنقصٍ في الشّخصية ولا يفرقون بين الوسيلة والهدف ولا يرون سبيلاً لإنفاق ما يحصلون عليه من مال إلاّ في المأكل والمشرب والملبس بينما يجب عليهم اتّباع السّبيل الصّحيح في كسبه وإنفاقه والأسلوب الأمثل في هذا الصّدد هو بذل اقصى ما يمكن من الجهود لاستحصال المال والثّروة والاكتفاء بما يسدّ الحاجات الضّرورية وصرف المتبقّى منه في سبيل الأهداف السّامية كتأسيس المؤسسات الخيريّة وبناء المساجد والمدارس الدّينيّة.

نعم، إنّ فاطمة الزّهراء ﷺ لم تجعل من الثّروة والمال هدفاً، لأنّها كانت تؤمن بأنّ أفضل ثروة يمكن أن يمتلكها الإنسان هي رضى الله وإنّ الغني الأدوم والأبقى هو غنى النّفس والجود والكرم والإنفاق في سبيل الله تعالى.

ولقد امتازت فاطمة بهذه السّجايا وسارت على هذا المنوال.

نظرتها إلى السّعادة

فهي لم تعتقد أنّ السّعادة كامنةٌ في ظلّ الكماليات والزّخارف والمظاهر الخدّاعة، وكثرة الإمكانات المادّية، لأنّ هذه الأمور التّافهة لا تغني الإنسان من جوع، ولا توفّر له أسس السّعادة والاستقرار والسّكينة إذ كلّ هذه المظاهر زائلة بزوال داعيها

وأسباب إثارتها ولا تخلف وراءها سوى الحسرة والنّدم، بل السّعادة عندها هي التّحرّر من كلّ الأغلال الّتي تكبّل الإنسان وتبعّده عن الله تعالى.

عبادة فاطمة ﷺ

لقد كانت تعبد ربّها، ولكن لا بمعنى الانزواء في أحد الأركان وممارسة الرّياضة الرّوحية، ولا بهدف الابتعاد عن الواجبات الأخرى، ولا التّهرّب عن أداء رسالتها الاجتماعية، ولكن كانت عبادتها بالشّكل الّذي يزدهر فيه الوجود الإنساني، وتكبّت النّفس الأمّارة، وتتفرّع عنه شخصيةٌ جديدةٌ وخلاّقةٌ كانت فاطمة ﷺ تمدّ يدها بالتّضرّع إلى ربّها كلّما سنحت لها الفرصة لا من أجل أن تطلب لنفسها الكمال فقط، بل كان دعاؤها أيضاً من أجل خير وسلامة المجتمع وأبناء المجتمع يتحدّث الإمام الحسن ﷺ عن أمّه قائلاً: **«رأيت أمّي فاطمة ﷺ قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصّبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات فقلت لها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك فقالت: يا بنيّ الجار ثم الدّار»**[1].

كانت جميع أعمالها في سبيل الله وعلى طريق المبدأ والمعتقد إذن فقد كانت كلّ أعمالها عبادة ابتداءً من أعمالها اليوميّة وانتهاءً بواجباتها المنزليّة ومروراً بتربية الأبناء والالتزامات الزّوجيّة ولهذا كانت حبيبة إله العالمين فهي أمة الله الصّالحة ذات العبادة المتواصلة والارتباط الدائم بالله وذلك ما جعلها تنال مقاماً في العبوديّة يفوق مقام غيرها، فلم يشغلها شاغل، ولم يمنعها مانع عن أداء ذلك الواجب فلم يكن النّبي ﷺ يثني عليها ويكثر من الإشارة بها لأنّها ابنته، بل لأنّها كانت امرأةً عابدةً وزاهدةً ودائمة الوقوف بين يدي الله فكان الله يحبّها لذلك فأصبحت فاطمة حبيبة الله، لأنّه ما من امرأة تبذل مثل ما بذلت فاطمة في سبيل الله فإنّها بذلت كلّ ما تملك

---

[1] - «بحار الأنوار»: ج٤٣ ص٨٢.

لأجل رضا ربّها حتّى أنّها قدّمت ثياب عرسها وسوارها الفضّي، وخادمة دارها وغير ذلك في سبيل الله أفلا تستحق بعد كل هذا أن تكون حبيبة الله؟

مكانة فاطمة الزّهراء عند أبيها الرّسول ﷺ

كانت فاطمة عزيزة النّبي ﷺ، كان النّبي ﷺ يحبّها حبّاً لا شبه محبّة الآباء لبناتهم إذ كان حبّه مزيجاً بالاحترام والتّعظيم، فلم يعهد من أيّ أب في العالم ما شوهد من الرّسول ﷺ تجاه السّيّدة فاطمة الزّهراء فقد وصفها النّبي ﷺ بـ«بضعة منه وروحه الّتي بين جنبيه» ولم يكن ذلك الحبّ منبعثاً من العاطفة الأبويّة إذ كان الرّسول ينظر إلى ابنته بنظر الإكبار والإجلال وذلك لما كانت تتمتّع به فاطمة الزّهراء من المواهب والمزايا والفضائل، ولعلّه ﷺ كان مأموراً باحترامها وتجليلها باعتبار كونها أمّ الأئمّة الّذين هم القاعدة الإسلاميّة بالنّصّ. وكان الرّسول ﷺ إذا أراد السّفر كان آخر النّاس عهداً بفاطمة، وإذا قدم من السّفر كان أوّل النّاس عهداً بفاطمة الزّهراء ﷺ، هذا مضمون الرّوايات المتواترة روى ما مضمونه أنّ النّبي ﷺ إذا أراد السّفر كان آخر عهده بفاطمة، وإذا رجع كان أوّل عهده بها[1].

كانت فاطمة الزّهراء أشبه النّاس بأبيها في قيامها وقعودها ومشيها.

وكانت إذا دخلت على النّبي ﷺ قام إليها، فقبّلها وأجلسها في مجلسه. وكان النّبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأجلسته في مجلسها[2].

ولقد بلغت فاطمة من الشّأن والعمل درجةً رفيعةً تتّسم بالصّفاء والخلوص حتّى قال النّبي ﷺ بشأنها: «**أبوها فداها**»، ذهب النّبي ﷺ لزيارتها يوماً فوجدها مع

---

[1] ـ جمع غفير من الأعلام منهم البيهقي في «السّنن الكبرى»: ج١ ص٢٦، ومحبّ الدّين الطّبري في «ذخائر العقبى»: ص٣٧ والصّبّان في «إسعاف الرّاغبين»: ص١٩٠ والحاكم في «المستدرك على الصّحيحين»: ج٣ ص١٥٦.

[2] ـ «صحيح التّرمذي»: ج١٣ ص٢٤٩ طبع الصّاوي بمصر، و«المستدرك» للنيسابوري: ج٣ ص١٥٩ طبع حيدر آباد.

علي ﷺ يطحنان في الجاروش فقال ﷺ: **أيّكما أعيى؟ فقال علي ﷺ فاطمة يا رسول الله! فقال ﷺ لها: قومي يا بنيّة فقامت وجلس النّبي ﷺ موضعها مع علي ﷺ فواساه في طحن الحبّ.**

وكانت هي عزيزة الرّسول ﷺ حتّى في لحظة الموت همس النّبي ﷺ في أذنها أن يا فاطمة اجلسي إلى جانبي واتلي القرآن.

نعم، إنّ صوت فاطمة يُنعش روح النّبي ﷺ ولحن القرآن يملأه سروراً وغبطةً.

فاطمة وعلاقتها مع علي ﷺ

فاطمة زوجة أعظم رجلٍ في التّاريخ ولها قوةٌ روحيّةٌ هائلةٌ استطاعت الانسجام معه فكانت له خير معين وأنصح مشير، وكانت له خير أنيس وخير جليس، وهي المدافع الأوّل عن مقامه وفضله حينما كان يستعدّ للقتال كانت تحضر له لوازم حربه، وبعد عودته من ساحة الجهاد تغسل سيفه وتزيل عنه آثار الدّماء.

وفي المواقف الّتي يحتجّ فيها الإمام على أحقّيته بالخلافة كان يشهد فاطمة على ذلك فكانت فاطمة تذهب إلى أبواب الصّحابة وتشهد عندهم لمن الحقّ ثم تعود إلى دارها.

كانت تساعد عليّاً في كلّ مواقفه في همومه وأحزانه وفي فقره، وفي حرمانه وفي تحمّله للمصاعب بحيث يمكن القول أنّها كانت مجاهدة أيضاً إذ قد بذلت كلّ ما في وسعها لتلفت الأنظار وتكشف للنّاس عمّا يجري من أحداث ضاع فيها الحقّ، وعلى هذا الأساس لم تكن العلاقة بين فاطمة وعلي محصورة في نطاق العلاقة الزّوجية، بل كانت أسمى وأمتن وأعمق ممّا هو سائد في المجتمع، فقد كانت علاقتهما صميميّة ومثاليّة في الإخلاص والمودّة والتّحرّك.

وهنا تجدر الإشارة إلى بعض آفاق حياتها مع عليّ ﷺ فنقول: أنّه كانت حياتها طبيعيّة وعاديّة مليئة بالنّشاط والحيويّة. وسرّ ذلك النّشاط هو بساطة الحياة وصفاء

القلوب فلم يكن همّها الكماليات والعطور والطّيب كما هو حال سائر النّساء فقد كانت تستلهم البساطة والإخلاص من جوهر الدّين وتسعى لإشاعته بين النّساء كان اهتمامها بشؤون الحياة لا تتجاوز قضاء المتطلّبات العاديّة والعمل بأيسر السّبل.

كانت دارها صغيرةً ومبنيّةً من الطّين ولكن كانت مليئةً بنور الله وتحظى برعايته وكانت داراً عامرةً بذكر الله كانت داراً يتخرّج منها رجالٌ يحمون شجرة الإسلام ويسقونها بفيض دماءهم.

نعم، كانت دارها خاليةً من كلّ أدوات الزّينة ولا تحتوي على شيء من المستلزمات الكمالية، ولم يكن فيها سوى حصير وفراش وأواني الفخار والصّحون والوسائد. ولم تشتمل تلك الدّار على شيء من الأدوات الكمالية الزّائدة أو الثّمينة ولم يكن فيها ما هو فاضل عن الحاجة لكنّها كانت داراً تسودها مشاعر الإيمان والإخلاص والمحبّة والشّرف والحرّية وفيها يتمّ انجاز الواجب وأداء المسؤولية، وتسودها روح العدالة وفيها تُبذل الجهود لإحقاق الحقّ والسّعي لإحياء الإسلام.

هذا خلاصة عن حياة فاطمة الزّهراء عليها السلام في زمان أبيها فيكون كلّ جانب من جوانب حياتها درساً للمسلمين نساءً ورجالاً. يجب علينا أن نستقي من فاطمة درس الحياة والعظمة.

الباب الثّالث في حياة فاطمة الزّهراء بعد أبيها

لا أدري من أين أبدأ في هذا الباب، بل لا أعرف كيف أبدأ، في بحث يثير حسّاسيّة بعض القرّاء لا سيّما وأنّ البحث حسّاسٌ جداً، حسّاسٌ تاريخياً ودينياً وعقائدياً فإنّ هذا البحث يدخل في صلب العقيدة، ويعمل على تمزيق وحدة المسلمين في الوقت الّذي نحتاج فيه إلى توحيد الكلمة، لكن السّكوت عنه سكوت عن الحقّ، فمن الحقّ أن نبيّن الحقّ، ومن الظّلم أن نسكت عن ظلم بضعة رسول الله فإنّ الوحدة بين المسلمين يجب أن تفهم على أنّها قضيّةٌ رساليّةٌ أساسيّةٌ لا

سياسيّةٌ وقتيّةٌ، ولا قيمة للوحدة مع تجاهل الحقّ إذ ليست الوحدة هي كون الباطل حقّاً والحقّ باطلاً.

فنقول: إنّ فاطمة الزّهراء مظلومة وتاريخها مليءٌ بالظّلم. والدّليل على ذلك هي القضايا التّاريخية والأخبار الصّحيحة من مصادر سنّية وشيعيّة:

وأمّا ما ذكره المؤرّخون فنكتفي بذكر بعض أقوالهم حول الموضوع تجنّباً عن التّطويل.

ففي «العقد الفريد» و«أعلام النّساء»: «ويعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب وقال له: فإن أبوا فقاتلهم، وأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدّار فلقيته فاطمة فقالت: **يا بن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا**؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة»[1].

وفي حديث آخر: «دعا بالحطب وقال: والله لأحرقنّ عليكم، أو لتخرجنّ إلى البيعة»[2].

وفي «أنساب الأشراف»: «إنّ أبا بكر أرسل إلى علي يريد بيعته، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: **يا بن الخطّاب! أراك محرقاً عليّ بابي**، قال: نعم، وذلك أقوى ممّا جاء به أبوك»[3].

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار، ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ إلى البيعة، أو لأحرقنّ البيت عليكم»[4].

---

(١) - «العقد الفريد»: ج٥ ص١٢ طبع مكتبة الرّياض الحديثة، و«أعلام النّساء»: ج٤ ص١١٤.

(٢) - «تاريخ الطّبري»: ج٣ ص١٩٨.

(٣) - «أنساب الأشراف» للبلاذري: ج١ ص٥٨٦ طبع دار المعارف.

(٤) - «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: ج١ ص١٣٤.

وفي «الإمامة والسّياسة»: إنّ أبا بكر (رضي الله عنه) تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ (كرّم الله وجهه) فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليّ فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة قال: وإن!...[1]

وفي «المجموعة الكاملة»: سبقت الشّائعات خطوات ابن الخطّاب ذلك النّهار وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلى دار فاطمة، وفي باله أن يحمل ابن عم رسول الله طوعاً وإن كرهاً- على إقرار ما أباه حتّى الآن.

وتحدّث أناس بأنّ السّيف سيكون وحده متن الطّاعة... وتحدّث آخرون بأنّ السّيف سوف يلقى السّيف!... ثم تحدّث غير هؤلاء بأنّ «النّار» هي الوسيلة المثلى إلى حفظ الوحدة وإلى «الرّضا» والإقرار!...

وهل على ألسنة النّاس عقال يمنعها أن تروي قصّة «حطب» أمر به ابن الخطّاب فأحاط بدار «فاطمة» وفيها عليّ وصحبه، ليكون عدّة الإقناع أو عدّة الإيقاع؟.. إلى أن قال: أقبل الرّجل محنقاً مندلع الثّورة على دار عليّ، وقد ظاهره معاونوه ومن جاء بهم فاقتحموها، أو أوشكوا على اقتحام.

فإذا وجه كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً، من حزن على قسماته خطوط آلام، وفي عينه لمعات دمع، وفوق جبينه عبسة غضب فائر، وحنق ثائر..، وتوقّف عمر من خشية، وراحت دفعته شعاعاً وتوقّف خلفه -أمام الباب- صحبه الّذين جاء بهم، إذ رأوا حيالهم صورة الرّسول تطالعهم من خلال وجه حبيبته «الزّهراء» وغضّوا الأبصار، من خزي أو من استحياء... ثمّ ولّت عنهم عزمات القلوب، وهم يشهدون «فاطمة» تتحرّك كالخيال، وئيداً وئيداً بخطوات المحزونة الثّكلى، فتقترب من ناحية قبر أبيها.. وشخّصت منهم الأنظار، وأرهفت الأسماع إليها، وهي ترفع صوتها الرّقيق الحزين النّبرات، تهتف بمحمّد الثّاوي بقربها تناديه

---

[1] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة: ج١ ص١٢.

باكيةً مرير البكاء: «**يا أبت رسول الله!... يا أبت يـــا رســـول الله!...**» فكأنّما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغي من رهبة النّداء وراحت الزّهراء وهي تستقبل المثوى الطّاهر تستنجد بهذا الغائب الحاضر..

يا أبت رسول الله!! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة!؟

فما تركت كلماتها إلاّ قلوباً صدّعها الحزن، وعيوناً جرت دمعاً، ورجالاً ودّوا لو استطاعوا أن يشقّوا مواطئ أقدامهم، ليذهبوا في طوايا الثّرى مغيّبين»[1].

انتهى بعض المقتطفات من كتاب للكاتب المصري المعاصر.

وهذه بعض المصادر المذكورة في كتب أهل السنّة والجماعة.

ومن هذه المصادر انكشف لنا موقف بعض الصّحابة تجاه أهل بيت رسول الله ﷺ واتّضح لنا أنّ بعض الأفراد لـم يراعوا حرمة فاطمة الزّهراء، ولا حرمة بيتها ولا كرامة زوجها أمير المؤمنين علي ﷺ، ولا كرامة ولديها الحسن والحسين ولـم يحفظوا فيهم حرمة الرّسول ﷺ.

وقد عرفنا من هذه النّصوص أنّ العصابة جاءت لإخراج الإمام علي من بيته ليبايع أبا بكر، وقد سمعنا منهم التّهديد بإحراق البيت وكلّ من فيه من آل الرّسول ﷺ وهذا أشدّ ظلم على آل الرّسول ﷺ فإنّ معنى الظّلم هو وضع الشّيء في غير موضعه ومجاوزة الحدّ، أليس الهجوم على دار فاطمة الزّهراء والتّهديد بإحراقها من الظّلم ومجاوزة الحدّ؟ وقال النّبي ﷺ في شأنها أنّها: «**بضعة منّي من آذاها فقد آذاني**».

نعم، ما كانت السّيّدة فاطمة الزّهراء تنتظر أن ترى في حياتها يوماً كذلك اليوم، ومأساة كتلك المأساة وإن كان أبوها الرّسول قد أخبرها بذلك إجمالاً أو تفصيلاً، ولكن السّماع شيءٌ والرّؤية شيءٌ آخر وتأثير المصيبة يختلف سماعاً ورؤيةً.

---

[1] - «المجموعة الكاملة الإمام علي بن أبي طالب» ج ١٠ ص ١٩٠.

هذا على أنّ هناك نصوصٌ من مصادر الشّيعة نطقت بإحراق الباب وسقط الجنين ونكتفي بذكر ما يستفاد منها دون ذكرها تفصيلاً رعايةً للاختصار.

والمستفاد منها أنّه كانت السّيّدة فاطمة «قبل هجوم القوم» خلف الباب وقد عصبت رأسها بعصابة ولم يكن عليها خمارٌ، فلمّا هجم القوم لاذت فاطمة خلف الباب لتستر نفسها عنّ أولئك الرّجال فعصروها عصرة شديدة وكانت هي حاملاً في الشّهر السّادس من حملها وصرخت السّيّدة صرخة من شدّة الألم لأنّ جنينها قتل من صدمة الباب وفي تلك اللحظات كان القوم قد ألقوا القبض على الإمام علي وهم يريدون إخراجه من البيت ويستفاد من الأخبار أنّ أكثر من واحد ضرب بنت رسول الله ﷺ ممّا يسبّب إجهاض الجنين والمعروف أنّ آلام الإجهاض أشدّ من آلام الولادة.

فكانت حبيبة رسول الله فاطمة تئنّ أنيناً يوجع كلّ قلب ويبكي كلّ عين، فالطّفل فارق الحياة وأمّه تنظر إليه.

وترى الشّعراء يتألّمون من هذه المأساة المروّعة ويتحدّثون عنها قال أحدهم:

فأسقطت بنت الهدى واحزنا ... جنينها ذاك المسمّى محسناً

وقال آخر:

ولست أدري خبر المسمار ... سل صدرها خزانة الأسرار

نعم، علينا أن نبكي على علي، وهو يسمع صرخات زوجته فاطمة!! ويسمع أصوات ولديه وبنتيه الصّغار وهم يولولون، وينظرون إلى أمّهم تارةً وإلى أبيهم أخرى لا يدرون ما يصنعون؟ هل يلتفّون حول أمّهم ويسمعون أنينها من صدمة الباب وسقط الجنين أو يرافقون أباهم وقد ازدحم حوله الرّجال يقودونه من بيته إلى المسجد بكلّ عنف وقسوة ليبايع لا أدري كيف طاوعتهم أنفسهم لهتك ستر هذه الدّار الّتي كان الرّسول يقبض حلقتها عند كلّ صلاة صائحاً: الصّلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ومن أين

أتتهم الجرأة لكشف ذلك البيت الّذي كان يخرج رسول الله في أسفاره منه ثم يكون أوّل محطّة له عند عودته هذا البيت الّذي كان يقدّسه الرّسول ﷺ ويأمر النّاس بتقديسه فكيف يكون هذا البيت هدف الهجوم من الرّجال؟ وليس ذلك إلاّ لأجل تسلّم الخلافة . . . الرّئاسة . . . الملك بالقوّة ويعلم ممّا ذكرناه أنّ الهجوم على دار فاطمة قد وقع .

فالسّياسة الّتي أعقبت وفاة الرّسول ﷺ كانت سياسة غير منطقية وغير مدروسة وقائمة على مبدأ القوّة كانت سياسة تستهدف بلوغ الغاية بأيّة وسيلةٍ كانت ولم تكن تشذّ عن مبدأ «الغاية تبرّر الوسيلة» .

اتّسمت السّياسة الّتي تلت وفاة النّبي ﷺ بالعنف وإضرام النّار في دار فاطمة بضعته وعصرها بين الباب والجدار من أجل أن يضطرّ علي للخضوع ولقد واجهت فاطمة الزّهراء مثل هذه السّياسة الّتي جلبت عليها الأذى والإضرار إلاّ أنّ فاطمة ؏ لم تكن لتتراجع أمام هذه الأساليب فقد انتهجت سبيل المواجهة وواصلت السّير عليه حتّى وإن أدّى إلى وفاتها .

أيّها القارئ العزيز إنّ فاطمة ؏ هي المرأة الّتي سمّاها أبوها سيّدة النّساء أو سيّدة نساء أهل الجنّة وسيّدة نساء العالمين كما ذكرنا في الباب الأوّل . وهي تجد نفسها بعد وفاة أبيها مظلومة ومهانة إلى درجة أن يطوّق البعض بيتها بالحطب ويهدّدها بالإحراق .

ويا للأسف الشّديد إنّ العقل يتحيّر وإنّ القلم يهتزّ حينما يريد أن يسطّر للتاريخ استنصار الصّدّيقة المظلومة فاطمة الزّهراء بضعة رسول الله ﷺ وفلذة كبده ، إذ أنّها الخليفة الوحيدة من بعده ولم يخلّف خلفاً من صلبه سواها فهي روحه الّتي بين جنبيه ويجب نصرتها في كتاب الله ووصيّة رسوله ﷺ وفي عرف الإنسانيّة والعواطف البشريّة وفي القوانين العقليّة والمنطقيّة فالواجب العقلي والشّرعي والإنساني يحتّم على المسلمين نصرتها والدّفاع عن حقّها وظلامتها حينما تقوم

الزّهراء ﷺ باستنصار المسلمين من الأنصار والمهاجرين، ولكن ما أدّى أحدٌ منهم هذا الواجب.

فإنّ التّاريخ الصّحيح يذكر لنا أنّ عليّاً أمير المؤمنين ﷺ كان يحمل فاطمة المظلومة على ناقته ويأتي بها إلى أبواب المهاجرين والأنصار طيلة أربعين يوماً بعد الفراغ من عزاء رسول الله ﷺ فيطرق أبوابهم وعندما يفتحون الأبواب كانت تذكّرهم الصّدّيقة بوصايا رسول الله ﷺ في عترته وكانت تتظلّم إليهم وتستنصرهم بصراحة فتقول: «**جئتكم مستنصرة**» فتطلب منهم النّصرة، وتتمّ عليهم الحجّة لكنّهم كانوا يعتذرون بأنّهم قد سبقت منهم البيعة!!!

فوا عجبا تطرّق بضعة النّبي وفلذة كبده أبوابهم وتطلب منهم النّصرة فلا ينصرونها بل يخذلونها!

فيا قبحاً للخاذلين، فهؤلاء هم الّذين سلبت منهم الغيرة والحميّة والعاطفة والإنسانية!!

ولا يحكم عليهم إلاّ ما حكم به رسول الله ﷺ قال: «**من سمع مسلماً ينادي يا للمسلمين ولم يجبه أنّه ليس بمسلم**» فهؤلاء بعدما سمعوا الزّهراء ﷺ تنادي يا للمسلمين وتستنصرهم ولم يجيبوها ولم ينصروها خرجوا عن الإسلام ولقد اجاد الشّاعر حينما قال:

ما المسلمون بأمة لمحمّد ... كلاّ ولكن أمّة لعتيق

جاءتهم الزّهراء تطلب حقّها ... فتقاعدوا عنها بكل طريق

وتواثبوا لقتال آل محمّد ... لمّا دعتهم ابنة الصّدّيق

فقعودهم عن هذه وقيا ... مهم مع هذه يغني عن التّحقيق

وأضف إليه للإكمال ما قاله شاعر آخر:

ويحرق باب الدّار عمداً أنّهم ... هم سبّبوا يوم الطّفوف حريق

وكانت فاطمة الزّهراء تذهب إلى قبر أبيها وتقول: يا أبت...

صبّت عليّ مصائبٌ لـو أنّهـا صبّـت علـى الأيّـام صـرن لياليـا

ولقد واجهت الصدّيقة الزّهراء حوادث كثيرة: حادثة التّهديد بحرق الباب أو حرق الباب على ما عرفت وحادثة غصب الخلافة، وإقصاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ عن مركزه القيادي في الأمّة الإسلامية.

وحادثة مصادرة «فدك» وإخراج عمّال فاطمة منها وبالقوة، وأهم هذه الحوادث في نظرها هي حادثة إقصاء علي بن أبي طالب ﷺ عن قيادة الأمّة الإسلاميّة، إذ كانت فاطمة الزّهراء ﷺ ترى في هذه الحادثة مأساة كبرى تعيشها الرّسالة الإسلامية، لأنّ إقصاء علي ﷺ عن مركزه القيادي لم يكن تغيير إنسان، إنّما كان بمثابة خروج عن خطّ الرّسالة أي الخط الّذي رسمته السّماء لأهل الأرض، لأنّ عليّ أفضل شخصيّة عرفتها الأمّة بعد رسول الله ﷺ وهو أقدر من سواه على تطبيق الرّسالة وحفظها ونشرها في بقاع الأرض.

وقد يستدلّ على ذلك بقول الرّسول الأكرم ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»** وقوله ﷺ: **«من أراد أن يحيى حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنّة الخلد الّتي وعدني ربّي، فليوالي علي بن أبي طالب ﷺ فإنّه لن يخرجكم من هدىً، ولن يدخلكم في ضلالة»**[1].

وقوله ﷺ مخاطباً عليّاً: **«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»**.

---

[1] - «المراجعات»: نقلاً عن الحاكم والطّبراني في الكبير وغيرهما.

وفاطمة الزّهراء ترى أنّ هذه الأقوال حجّة فما لـم تلتزم الأمّة بزوجها خرجت عن طاعة الله ورسوله وكتاب الله يهتف: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1].

فإن لم تلتزم الأمّة بهذه الأقوال خرجت عن حصن الطّاعة لله ورسوله، بل خرجت عن حكومة الله تعالى في الأرض، وهذا ما جعل الصّدّيقة الزّهراء عليها السلام تعيش المأساة بكلّ أبعادها البعيدة والقريبة يوم رأت عليّاً عليه السلام يقصى عن مكانه الّذي بوّأه الله فيه.

وأمّا حادثة مصادرة «فدك» فملخّص الكلام فيها أنّه لّما توفّى رسول الله صلى الله عليه وآله أعلنت الحكومة الجديدة على لسان زعيمها «أبي بكر» نبأ تأميم فدك وإعادتها ملكيّةً للحكومة بعد أن كانت لفاطمة في وقت قد صدر فيها حكم إلهي على لسان محمّد الّذي وهبها للزّهراء، ولكن هذا القرار الّذي اتّخذته الحكومة الجديدة حمل الزّهراء عليها السلام على عدم الاعتراف به وقالت إنّ فدك نحلة أبي، وأعطانيها حال حياته، وأنكر عليها أبو بكر وقال: أريد بذلك شهوداً فبعثت إلى علي والحسن والحسين وأمّ أيمن وأسماء بنت عميس وشهدوا لها بجميع ما قالت، فقالوا: أمّا عليّ فزوجها، وامّا الحسن والحسين فابناها، وأمّا أمّ أيمن فمولاتها، وأمّا أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر ابن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة وكلّ هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم.

فقال علي: «**أمّا فاطمة فبضعة من رسول الله ومن آذاها فقد آذى رسول الله، ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله، وأمّا الحسن والحسين فابنا رسول الله وسيّدا شباب أهل الجنّة، ومن كذّبهما فقد كذّب رسول الله، إذ كان أهل الجنّة صادقين، وأمّا أنا فقد قال رسول الله: «أنت منّي وأنا منك» و«أنت أخي في الدّنيا والآخرة، والمراد**

---

[1] - سورة الحشر: ٧.

عليك هو الرّادّ عليّ ومن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني»، وأمّا أمّ أيمن فقد شهد لها رسول الله بالجنّة ودعا لأسماء بنت عميس وذرّيتها».

فقال عمر: أنتم كما وصفتم به أنفسكم، ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تقبل! فقال علي: إذا كنّا نحن كما تعرفون ولا تنكرون وشهادتنا لا تقبل وشهادة رسول الله لا تقبل فإنّا لله وإنّا إليه راجعون -إلى أن قال- وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره ومن غير بيّنة ولا حجّة، ثم قال لفاطمة: انصرفي حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

واعجبا أنّ فاطمة الّتي نزلت آيات القرآن تطهّرها وتعصمها تُكذب وتُسأل البيّنة مع العلم بأنّها سيّدة نساء العالمين، وأنّها الصّدّيقة الطّاهرة الّتي بلغت درجةً من العصمة والطّهارة حتّى صار غضبها غضب الرّب ورضاها رضاه، لقد قبل المسلمون شهادة أبي بكر في حديث الرّسول ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث» ولا يقبلون إدّعاء الزّهراء بأنّ فدكاً ملكها وهم يعلمون أنّها الصّدّيقة بالأدلّة القطعية من الآيات والأحاديث المتقدّمة خاصّةً ما جاء على لسان عائشة بنت أبي بكر لقد قالت: «ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً منها» أي فاطمة ﷺ وليس لهم دليل على صدق أبي بكر في حديث الرّسول ﷺ.

نعم، كل قوم تحكم فيهم الدّكتاتوريّة، وسياسة مبدأ القوّة و«الغاية تبرّر الوسيلة» فإنّ المنطق فاشل ولا يجدي فائدة فإن السّلطة حينما صادرت أموال السّيّدة فاطمة الزّهراء وجعلتها في ميزانيّة الدّولة كان هدفهم تحكيم أركان الحكومة الجديدة وتضعيف جانب أهل البيت أرادوا أن يحاربوا عليّاً محاربةً اقتصاديّةً كي يكون عليّ فقيراً حتّى لا يلتفّ النّاس حوله، ولا يكون له شأن على الصّعيد الاقتصادي،

وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها في حق رسول الله ﷺ حين قالوا: ﴿لا تُنْفِقُوا عَلى مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ حَتّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ﴾[1].

وكانت فاطمة الزّهراء ﷺ تطالب من وراء المطالبة بفدك الخلافة والسّلطة لزوجها علي بن أبي طالب تلك السّلطة العامّة والولاية الكبرى الّتي كانت لأبيها رسول الله ﷺ ويؤكّد على ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته قال: «لو أعطاها اليوم فدك، بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن ما يمكنه الاعتذار والمدافعة بشيء، لأنّه يكون قد سجّل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعي، كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود»[2].

ونستنتج من جميع ما ذكرنا أنّ فاطمة الزّهراء مظلّومة عاشت بعد أبيها تبكي حزينةً منكسرةً في بيتها وتشكو همّها إلى الله تعالى وتنتظر يومها الموعود فقد أخبرها المصطفى بأنّها أوّل أهل بيته لحوقاً به نكرّر بعض كلمات رسول الله ﷺ في شأنها:

١: **فاطمة بضعةٌ منّي فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله.**

٢: **يغضب الله لغضب فاطمة ويرضى لرضاها.**

٣: **سلم فاطمة سلم النّبي ﷺ وحربها حرب النّبي ﷺ.**

فقد روى جمهور القوم بإسنادهم عن أبي هريرة أنّه قال: نظر النّبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: «**أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم**» فهناك صغرى، وكبرى، ونتيجةٌ.

---

[1] - سورة (المنافقون): ٧.

[2] - «شرح نهج البلاغة»: ج١٦ ص٢٨٤.

الصّغرى: هي أنّ بعض الصّحابة قد أغضب فاطمة، والكبرى: كلّ من أغضب فاطمة فقد أغضب الله ورسوله، والنّتيجة أنّ بعض الصّحابة فقد أغضب الله ورسوله.

والكبرى ثابتة بالأحاديث المتقدّمة الموجودة في كتب الفريقين. والشّاهد على الصّغرى هو التّاريخ، ونكتفي بذكر ما جاء في «الإمامة والسّياسة»: قالت فاطمة لأبي بكر وعمر: «**أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضى فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟** قالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ، قالت: **فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النّبي ﷺ لأشكونّكما إليه**»[1].

والنّتيجة بديهيّة، ولهذا كان أبو بكر يبكي بعد هذا الكلام من فاطمة يقول ابن قتيبة أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، ثمّ خرج باكياً، فاجتمع النّاس إليه فقال لهم: يبيت كلّ رجلٍ منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، ولا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي.

ويؤكّد على ذلك ما جاء في وصيّة فاطمة الزّهراء ﷺ -وهي بنت النّبوّة ربيبة الوحي- إنّها أمرت أن لا يصلّي عليها أحدٌ ممّن ظلمها وأن تدفن ليلاً سرّاً حتّى لا يعلم قبرها فبقي التّساؤل عن سرّ ذلك قائماً ولهذا يتساءل الشّاعر قائلاً:

ولأيّ الأمور تدفن ليلاً ... بضعة المصطفى ويُعفى ثراها

وقال الآخر:

بنت من أمّ من حليلة من ... ويلٌ لمن سنّ ظلمها وأذاها

---

[1] - «الإمامة والسّياسة» لابن قتيبة: ج١ ص١٤.

ووصيّتها بأن تدفن ليلاً تكشف عن حقيقة موقفها تجاه الّذين ظلموها.

ولعلّ أيّها القارئ لا ترضى بهذه الحقائق لمسّها بكرامة بعض الصّحابة وتظنّها كذباً وافتراءً، فلابدّ من ذكر بعض ما جاء في مصادر أهل السّنّة ممّا يدلّ على تلك الوصيّة بعد ذكر بعض مقاطع الوصيّة وهي قولها ﷺ: «**يا بن العم! إذا قضيت نحبي فغسّلني ولا تكشف عنّي، فإنّي طاهرة مطهّرة، وحنّطني بفاضل حنوط أبي رسول الله ﷺ. وصلّ عليّ، ليصلّ معك الأدنى فالأدنى من أهل بيتي وادفني ليلاً لا نهاراً، وسرّاً لا جهاراً، وعفّ موضع قبري، ولا تُشهد جنازتي أحداً ممّن ظلمني**».

وأمّا ما جاء في مصادر أهل السّنّة فإليك بعض هذه المصادر:

١: في تهذيب الأسماء واللغات للحافظ النّووي قال: «أوصت بأن تدفن ليلاً ففعل ذلك، ولذلك كان موضع قبرها مكتوماً مجهولاً لم يعرف بالبتّ واليقين، فقال قومٌ: إنّها دفنت في بيتها، وقيل: إنّها دفنت بالبقيع، وقيل: دفنت في المسجد»[١].

٢: في صحيح البخاري: عن عائشة «إنّ فاطمة بنت النّبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليها بالمدينة وفدك وممّا بقي من خمس خيبر... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت[٢] فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النّبي ﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر»[٣].

٣: في حلية الأولياء: عن الزّهري عن عروة عن عائشة قالت: «توفّيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستّة أشهر، ودفنها عليّ ليلاً»[٤].

---

[١] - «تهذيب الأسماء واللغات» للحافظ النّوني: ج٢ ص٣٥٣ طبع مصر.

[٢] - أي غضبت.

[٣] - «صحيح البخاري»: ج٥ ص١٧٧ طبع دار إحياء التّراث العربي بيروت.

[٤] - «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني: ج٣ ص٤٢ طبع السّعادة بمصر.

٤ : في السّنن الكبرى للبيهقي : قال : والصّحيح عن ابن شهاب الزّهري عن عروة عن عائشة في قصّة الميراث «إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ عاشت بعد رسول الله ﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها علي بن أبي طالب ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها عليّ»[١].

وفي نفس المصدر: عن عائشة : «فغضبت فاطمة (رضي الله عنها) -على أبي بكر- وهجرته، فلم تكلّمه حتّى ماتت، فدفنها عليّ (رضي الله عنه) ليلاً»[٢].

٥ : في «أهل البيت» لتوفيق أبي علم المصري : «فقد دُفنت ليلاً، ولم يحضر مع الإمام سوى الصّفوة المختارة من أصحابه، ولمّا علم المسلمون وفاتها جاؤوا إلى البقيع فوجدوا أربعين قبراً، فأشكل عليهم موضع قبرها من سائر القبور، فضجّ النّاس، ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: لم يخلّف نبيكم إلاّ بنتاً واحدة تموت وتُدفن، ولم تحضروا وفاتها والصّلاة عليها، ولا تعرفوا قبرها؟ ثمّ قال ولاة الأمر منهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتّى نجدها فنصلّي عليها، ونزور قبرها، فبلغ ذلك الإمام علي فخرج مغضباً، قد احمرّت عيناه ودرّت أوداجه، عليه قباؤه الأصفر الّذي كان يلبسه في كلّ كريهة، وهو متّكئٌ على سيفه ذي الفقار، حتّى ورد البقيع، فبادر إلى النّاس النّذير، وقالوا: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه يقسم بالله لئن حوّل من هذه القبور حجر ليضعنّ السّيف على غابر الآخر! فتلقّاه بعضهم، فقال له: ما لك يا أبا الحسن؟ والله لننبشنّ قبرها، ولنصلّينّ عليها!! فضرب الإمام بيده إلى جوامع ثوبه، فهزّه ثمّ ضرب به الأرض، وقال: **«أمّا حقّي فقد تركته مخافة أن يرتدّ النّاس، وأمّا قبر فاطمة، فوالله الّذي نفس عليّ بيده لئن رمت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقينّ الأرض من دمائكم، فإن شئت فاعرض»**[٣].

---

[١] - «السّنن الكبرى» للبيهقي : ج٤ ص٢٩ طبع حيدر آباد.

[٢] - «السّنن الكبرى» للبيهقي : ج٦ ص٣٠٠ طبع دار صادر بيروت.

[٣] - «أهل البيت» لتوفيق أبي علم : ص١٨٥.

فتلقّاه آخر فقال: يا أبا الحسن! بحقّ رسول الله، وبحق من فوق العرش، إلاّ خلّيت عنه، فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه، فخلّى عنه، وتفرّق النّاس ولم يعودوا إلى ذلك وهناك مئات من المصادر تشهد على أنّ فاطمة أوصت أن لا يصلّي عليها الرّجلان وأنّها كانت ساخطة على بعض الصّحابة وكرهت حضورهم جنازتها ولكن تركنا ذكرها رعايةً للاختصار، فحصيلة البحث أنّ فاطمة الزّهراء فارقت الدّنيا وانتقلت إلى بارئها وهي مظلومةٌ فيا للأسف أنّ محبّ آل البيت ﷺ لا يملك حرّيّة القلم والبيان ليسجّل الأحداث المؤلمة الّتي مرّت بآل الرّسول وعترته الطّيّبة في أقلّ من أسبوعٍ بعد وفاة الرّسول ﷺ.

نعم، الحرّيّة ممنوحة لكلّ أحد ولكلّ فئة حتّى الشّيوعية إلاّ لأتباع أهل بيت الرّسول ﷺ وحرّيّة الصّحافة المتعارفة في هذا العصر وحرّيّة الدّفاع المسموح بها في جميع المحاكم في العالم، وحرّيّة الرّأي والفكر المعترف بها دوليّاً، وهذه الحرّيات بكافّة أنواعها موجودة، ولكن الدّفاع عن مظلوميّة الزّهراء والتّحدّث عن مصائب آل الرّسول وتسجيل آلامهم ومآسيهم يعتبر ذنباً لا يغتفر!

يقول البعض: إنّ التّحدّث عن مصائب آل الرّسول تمزيقٌ للوحدة الإسلامية ويجب على كلّ مسلم الحفاظ عليها فأهمل أو أنكر تحت هذا الشّعار بعض المسائل الاعتقادية، بل يلتزم الضّلالة والباطل متذرّعاً بهذا الشّعار مع العلم بأنّ الوحدة لا تعني أن نرفع اليد عن معتقداتنا أو لا نستعدّ للدفاع عنها.

ونختم الكلام ونقول باكياً: فلأيّ الأمور تدفن بضعة المختار ليلاً؟! اللهم اجعل حياتي مقرونة بما ترضيه واجعلني بعد مماتي قريناً لمن ترضى عنه، ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيّئاتنا. وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين والحمد لله ربّ العالمين.

وقد فرغت من الكتابة في ٢٤ محرّم سنة ١٤١٣ هـ.

علي البامياني

المصادر

القرآن الكريم ـــــــــــــــ كلام الله المجيد
نهج البلاغة ـــــــــــــــ كلام أمير المؤمنين عليه السلام

[أ]

الأئمة الأربعة ـــــــــــــــ د. مصطفى الشكعة
أبو هريرة ـــــــــــــــ السيّد شرف الدّين
أبو هريرة شيخ المضيرة ـــــــــــــــ الشيّخ محمود أبو رية
أخبار الدّول ـــــــــــــــ أحمد شلبي بن يوسف الدّمشقي
أسد الغابة في معرفة الصّحابة ـــــــــــــــ ابن الأثير
أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ـــــــــــــــ ابن الأثير الجزري
أصول الكافي ـــــــــــــــ الشّيخ الكليني
الأمالي ـــــــــــــــ الشّيخ الطّوسي
أهل البيت ـــــــــــــــ توفيق أبو علم
إحقاق الحق وإزهاق الباطل ـــــــــــــــ الشّهيد التّستري
الإرشاد ـــــــــــــــ الشّيخ المفيد
الإصابة في تمييز الصّحابة ـــــــــــــــ ابن حجر العسقلاني
الإمام الصّادق والمذاهب الأربعة ـــــــــــــــ الشّيخ أسد حيدر
الإمام علي عليه السلام ـــــــــــــــ محمّد رضا
الإمامة والخلافة ـــــــــــــــ مقاتل بن عطيّة
الإمامة والسّياسة ـــــــــــــــ ابن قتيبة الدينوري
الاحتجاج ـــــــــــــــ الشّيخ الطّبرسي

الاستيعاب ــــــــــــ ابن عبد البرّ الأندلسي

[ب]

البداية والنّهاية ــــــــــــ ابن كثير الدّمشقي

البرهان على عدم تحريف القرآن ــــــــــــ السّيد مرتضى الرّضوي

بنور فاطمة اهتديت ــــــــــــ عبد المنعم حسن السّوداني

[ت]

تاريخ أبو فداء ــــــــــــ أبو الفداء العسكري

تاريخ الإسلام السّياسي ــــــــــــ د. حسن إبراهيم حسن

تاريخ الخلفاء ــــــــــــ الحافظ السّيوطي

تاريخ الطّبري المسمى جامع البيان ــــــــــــ محمّد بن جرير الطّبري

تاريخ بغداد ــــــــــــ الخطيب البغدادي

تذكرة الحفّاظ ــــــــــــ الحافظ الذهبي

تذكرة الخواص ــــــــــــ سبط ابن الجوزي

ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ــــــــــــ ابن عساكر الدّمشقي

تفسير ابن كثير ــــــــــــ ابن كثير الدّمشقي

تفسير البرهان ــــــــــــ السّيد هاشم البحراني

تفسير الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور ــــــــــــ الحافظ السّيوطي

تفسير الصّافي ــــــــــــ الفيض الكاشاني

تفسير الطّبري ــــــــــــ محمّد بن جرير الطّبري

تفسير القرطبي ــــــــــــ القرطبي

التّفسير الكبير ــــــــــــ الفخر الرّازي

تفسير غريب القرآن ــــــــــــ الحافظ الهروي

تهذيب الأسماء واللغات ــــــــــــ محي الدّين العسقلاني

[ج]

جامع التّرمذي ـــــــــــــ الإمام التّرمذي

[ح]

حبيب السّير ـــــــــــــ غياث الدّين

حقيقة الشّيعة ـــــــــــــ أسعد وحيد القاسم

الحلب والتّشيّع ـــــــــــــ الشّيخ إبراهيم نصر الله

حلية الأولياء ـــــــــــــ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني

حوار ومناقشة كتاب عائشة أمّ المؤمنين ـــــــــــــ هشام آل قطيط

حياة الإمام الحسين عليه السلام ـــــــــــــ الشّيخ باقر شريف القرشي

[خ]

خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ـــــــــــــ الحافظ النّسائي

الخلافة والملك ـــــــــــــ السّيد عبد الأعلى المودودي

خلفاء الرّسول الاثنا عشر ـــــــــــــ الحائري البحراني

[د]

در بحر المناقب ـــــــــــــ ابن حسنوية الحنفي

ديوان النّابغ ـــــــــــــ النّابغة الذّبياني

[ذ]

ذخائر العقبى ـــــــــــــ المحب الطّبري

[ر]

روح الإسلام ـــــــــــــ السّيد مير علي ترجمة علي الدّيراوي

الرّياض النّضرة في فضائل العشرة ـــــــــــــ المحب الطّبري

[ز]

الزّهراء فاطمة بنت محمّد عليها السلام ـــــــــــــ عبد الزّهراء عثمان

[س]

السّقيفة ـــــــ أحمد بن عبد العزيز الجوهري
السّقيفة والخلافة ـــــــ عبد الفتاح عبد المقصود
سنن البيهقي ـــــــ البيهقي
السّيرة الحلبية ـــــــ علي بن برهان الحلبي
السّيرة النّبوية ـــــــ ابن هشام

[ش]

شرح المقاصد ـــــــ التّفتازاني
شرح تجريد الاعتقاد ـــــــ العلاّمة الحلّي
شرح نهج البلاغة ـــــــ ابن أبي الحديد
شواهد التّنزيل ـــــــ الحافظ الحسكاني
الشّيعة في الميزان ـــــــ الشّيخ محمّد جواد مغنية
الشّيعة والحاكمون ـــــــ الشّيخ محمّد جواد مغنية

[ص]

صحيح البخاري ـــــــ الإمام البخاري
صحيح التّرمذي ـــــــ الإمام التّرمذي
صحيح مسلم ـــــــ الإمام مسلم الدّينوري
الصّراط المستقيم ـــــــ البياض العاملي
صلح الحسن عليه السلام ـــــــ الشّيخ راضي آل ياسين
الصّواعق المحرقة ـــــــ ابن حجر العسقلاني

[ض]

ضحى الإسلام ـــــــ أحمد أمين المصري

[ط]

الطّبقات الكبرى ـــــــ ابن سعد

[ع]

العشرة المبشّرون بالجنّة ـــــــ عبد اللطيف عاشور

علم اليقين في معرفة أصول الدّين ـــــــ الفيض الكاشاني

علي إمام المتّقين ـــــــ عبد الرّحمن الشّرقاوي

علي في الأحاديث النّبويّة ـــــــ السّيد محمّد إبراهيم الموحّد

عمدة عيون صحاح الأخبار ـــــــ ابن البطريق الحلّي

[غ]

غاية المرام ـــــــ السّيّد هاشم البحراني

الغدير في الكتاب والسّنّة والأدب ـــــــ العلاّمة الأميني

الغرر والدّرر ـــــــ

[ف]

فاسألوا أهل الذّكر ـــــــ د. محمد التيجاني

فاطمة عليها السلام أم أبيها ـــــــ السيد فاضل الميلاني

فاطمة الزّهراء عليها السلام بهجة قلب المصطفى ـــــــ أحمد الرحماني الهمداني

فاطمة الزّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد ـــــــ السيد كاظم القزويني

الفتنة الكبرى ـــــــ د. طه حسين

فرائد السمطين ـــــــ إبراهيم الجويني الشّافعي

الفرق بين الفرق ـــــــ عبد القاهر البغدادي

الفصول المهمّة في معرفة الأئمة عليهم السلام ـــــــ ابن الصبّاغ المالكي

فضائل الإمام علي عليه السلام ـــــــ الشيخ محمد جواد مغنية

فضائل الصّحابة ـــــــ الإمام أحمد بن حنبل

في مدرسة الزّهراء ﴿عليها السلام﴾ ــــــــــــ د. علي القائمي

فيض القدر ــــــــــــ عبد الرؤوف المناوي

[ق]

قدّيسة الإسلام ــــــــــــ السيد محمد الحسيني الميلاني

[ك]

الكــامل ــــــــــــ ابــن الأثــير

كتاب سليم بن القيس الكوفي ــــــــــــ سليم بن قيس

كفاية الأثر في النص على الأئمّة الاثني عشر ﴿عليهم السلام﴾ ــــــــــــ علي بن محمد القمي

كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ــــــــــــ الكنجي الشافعي

كنز العمّال ــــــــــــ المتّقي الهندي

كنــوز الحقــائق ــــــــــــ

كواكب الإسلام ــــــــــــ د. علي شلق

[ل]

لأكون مع الصّادقين ــــــــــــ د. محمد التيجاني

[م]

مأساة الزّهراء ﴿عليها السلام﴾ ــــــــــــ السيد جعفر مرتضى العاملي

المجتنــى ــــــــــــ ابــن دريــد

مجمع البيان ــــــــــــ الشيّخ أبو الفضل الطبرسي

مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة ــــــــــــ عبد الرحمن الصفوري

مذاهــب الإسلاميّين ــــــــــــ د. عبد الرحمن بدوي

المذاهــب الإسلاميّة ــــــــــــ الشيّخ أبو زهرة

المرقاة ــــــــــــ ملاّ علي القاري

مروّج الذهب ــــــــــــ المؤرّخ المسعودي

مسألة الإمامة ــــــــــــ محسن عبد الناظر

مستدرك الحاكم ـــــــــــــــ الحافظ النيسابوري

مسند أبو داود ـــــــــــــــ أبو داود الطيالسي

مسند أحمد ـــــــــــــــ الإمام أحمد بن حنبل

مشكاة المصابيح ـــــــــــــــ الخطيب الترمذي

المصطفى من أحاديث المصطفى ﷺ ـــــــــــــــ مصطفى طلاّس

مطالب السؤال ـــــــــــــــ كمال الدين ابن طلحة

المغني في أبواب التوحيد والعدل ـــــــــــــــ القاضي عبد الجبّار

مفتاح النّجاة ـــــــــــــــ الحافظ البدخشي

مقدمة ابن خلدون ـــــــــــــــ ابن خلدون

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ـــــــــــــــ ابن المغازلي الشّافعي

مناقب الخوارزمي ـــــــــــــــ الخطيب الخوارزمي

المناقب المرتضويّة ـــــــــــــــ الحنفي الترمذي

المواقف ـــــــــــــــ عبد الرحمن الإيجي

الموطأ ـــــــــــــــ الإمام مالك

[ن]

النبوّة والإمامة ـــــــــــــــ السيد عبد الحسين دستغيب

[هـ]

هارون الرشيد ـــــــــــــــ شوقي أبو خليل

[و]

وفيات الأعيان ـــــــــــــــ ابن خلكان

الولاية ـــــــــــــــ محمد بن جرير الطبري

[ي]

ينابيع المودّة ـــــــــــــــ القندوزي الحنفي

الفهرس

الموضوع الصّفحة

الفصل الثّاني

الموضوع | الصّفحة

المناشدات من عليّ بن أبي طالب ﷺ

الموضوع	الصّفحة

الفصل الثّالث

الموضوع — الصّفحة

الفصل الرّابع: المقارنات

الموضوع الصّفحة

الموضوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصّفحة

الفصل الخامس